وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 08 مــــاي 1945 قالــــمة

كلــــية الــعلوم الإنــــسانية والإجتـــماعية

قسم التــــاريخ



تأثيرات المغول الحضارية على دولة سلاطين المماليك بمصر (658 - 923هـ/1260 - 1517م)

مذكـــرة مقـــدمة لـــنيل شـــهادة المـــاســـتر في التاريخ الوسيط

إعداد الطالبة:

طواهري نسرين

إشراف الدكتور:

رابح أولاد ضياف

لجنة المناقشة

الأســـــتاذ	الرتـــــبة	الصـــفة	الجامـــــــعة
أ.د/ كمال بن مارس	أستاذ التعليم العالي	رئيـــــسا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة
د/ رابح أولاد ضياف	أستاذ محاضر"أ"	مـشرفا ومقررا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة
أ/فؤاد طوهارة	أستاذ مساعد "أ"	مـــناقشــا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية 2017/2016 م





الشكر والتقدير:

أشكر الله رب العالمين صاحب العطاء والمنة على أن وفقني على إتمام هذا البحث.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى كل من ساعدني على الإنهاء فيها وأخص بالذكر الأستاذ / رابح أولاد ضياف/ الذي كان ليناصحا أمينا بتوجيهاته السديدة وأنا أدين له بالفضل الكبير.

كذلك أتقدم بالشكر إلى كل أساتذة التاريخ الوسيط الذين لم يبخلوا علينا طوال هذه السنوات ونطلب منهم أن يسامحونا إن أخطأنا معهم لهم جرير الشكر لمساعدتهم لنا من جميع الجوانب العلمية والنفسيةدون أن ننسى الأستاذ محمد سالم من جامعة القاهرة الذي أكرم عليا بالعديد من لكتب المهمة المتخصصة في هدا المجال باعتبار مذ كرتي جزء من رسالته الذي يحضر فيها هده السنة ,

وأقدم خالص الشكر إلى كل من قدم لي عونا أو نصيحة أو بحثا أو كتابا.



الإهداء

إلى كل من سلك طريقا يلتمس فيه علما.

إلى كل من نذروا حياتهم من أجل الإسلام والمسلمين.

إلى روح والدتي الطاهرة أسأل الله لها الرحمة والمغفرة.

إلى والدي أطال الله في عمره وأعطاه الله الصحة والعافية.

إلى أساتذتي الكرام الذين لم يبخلوا علينا بالعلم النافع.

إلى عائلتي الكريمة أخواتي وإخوتي وأحبتي الأوفياء.

أهدي هذا الجهد المتواضع.

خطة البحث:

مقدمة

الفصل الأول: الجذور التاريخية للمغول والمماليك.

أولا: أوضاع المشرق الإسلامي إبان الغزو المغولي.

ثانيا: الجذور التاريخية للمغول.

1. التعريف بالمغول والتتار.
2. الإطار الجغرافي لبلاد المغول.
3. قيام الإمبراطورية المغولية.

ثالثا: الجذور التاريخية للمماليك.

1. التعريف بالمماليك.
2. الإطار الجغرافي لبلاد المماليك.
3. قيام دولة المماليك في مصر.

الفصل الثاني: البدايات الأولى لاحتكاك المغول بسلاطين المماليك.

أولا: الهجرات المغولية نحو مصر والعوامل المساعدة لوفودهم.

ثانيا: معركة عين جالوت ونتائجها التأثيرية.

ثالثا: اعتناق المغول الإسلام.

الفصل الثالث: السطوة السياسية السياسية والاقتصادية المغولية على سلاطين المماليك.

أولا: التأثيرات المغولية الحضارية على الجانب العسكري لسلاطين المماليك.

ثانيا: التأثيرات المغولية الحضارية على الجانب السياسي لسلاطين المماليك.

ثالثا: التأثيرات المغولية الحضارية على الجانب الاقتصادي لسلاطين المماليك.

الفصل الرابع: الانعكاسات المغولية الثقافية لدولة سلاطين المماليك.

أولا: التأثيرات المغولية الحضارية على الجانب العلمي لسلاطين المماليك.

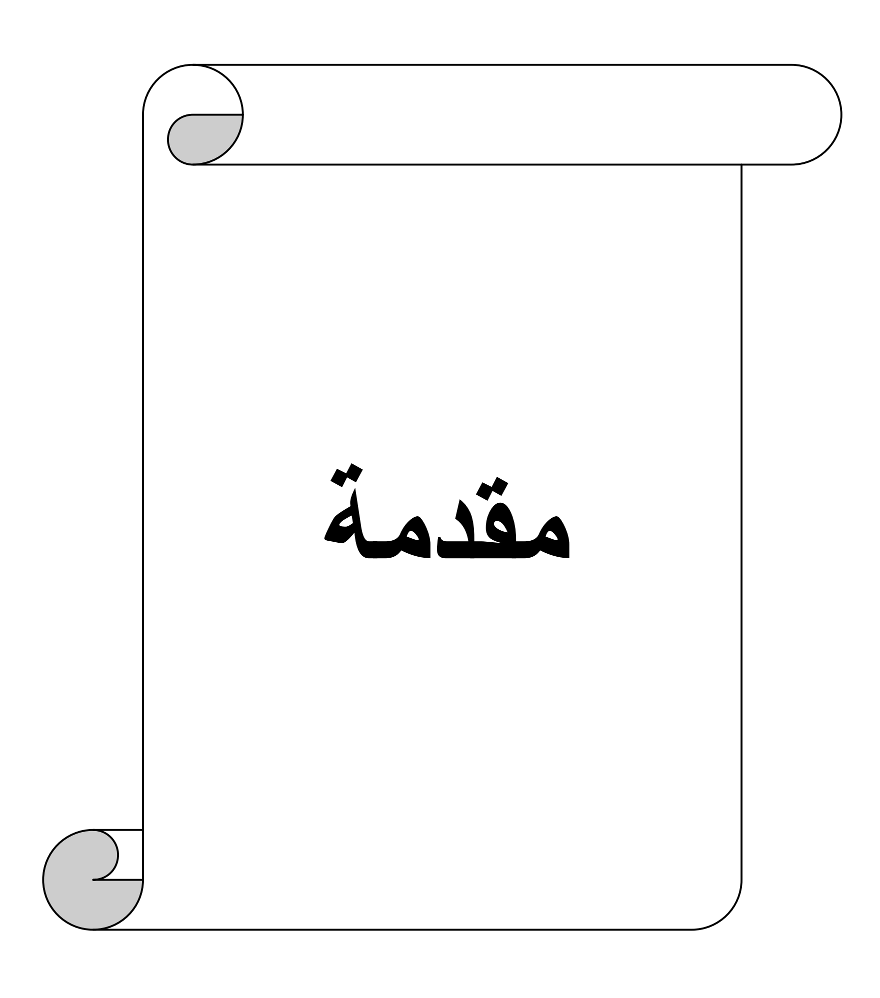
ثانيا: التأثيرات المغولية الحضارية على الجانب الاجتماعي لسلاطين المماليك.

ثالثا: التأثيرات المغولية الحضارية على الجانب العمراني لسلاطين المماليك

خاتمة.

الملاحق.

قائمة المصادر والمراجع.


مقدمة

الحمد لله الذي أرسل محمد صلى الله عليه وسلم بالحق بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه سراجا منيرا وأوضح به مناهج الرشد وسبيل الحق، وحمل الناس بشريعته على السنن العادل، حتى استقام اعوجاج كل زائغ ورجع إلى الحق كل جاحد عنه ومائل وسجد لله كل شيء.

أما بعد، تعد فترة الوجود المغولي في البلاد الإسلامية من أهم أحداث التاريخ خلال القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي إذا أن أغارت البدو على البلدان المتحضرة أمرا مألوفا، مما أدى بزوال العديد من الدول التي كانت ذات شان عظيم.

لكن هذه العاصفة الهوجاء صارت تزول تدريجيا حتى جاء الوقت الذي بسط فيه المغول حضارتهم التي وصلت إلي مصر حينما تأثر بها المماليك هناك،ونفوا ظنون كل من أخطا في حقهم بأنهم شعب همجي بربري لا يمتلك أية حضارة، لكنهم استطاعوا أن يثبتوا عكس دلك خاصة بعد إسلامهم حيث شرعوا في تصليح كل ما أفسده آباؤهم مند عهد جنكيز خان.

وأقبلوا يساهمون في النهوض بالحضارة الإسلامية في مصر أثر سقوط بغداد على أيديهم مما إنتقل مركز الريادة العلمية إلي دولة سلاطين المماليك، هذا التحول الجذري الذي أحدثه المغول قد غير مجرى التاريخ وأضاف له أحداثا جديدة مما جعلنا نطرح عدة تساؤلات عن هذا الواقع الجديد ومن بين هذه التساؤلات :

كيف أصبحت علاقة المغول بالمماليك في تلك الفترة تشكل بعدا حضاريا جديدا في حياة المجتمع المصري؟؟

وما هي الأسباب الرئيسية التي جعلت المغول ينتقلوا من العداء إلى المحبة ومن الجهل إلى العلم ولارتقاء ومن الكفر إلى الإيمان و التوحد ؟

وكيف استطاعت هذه الشعوب الهمجية أن تغير مجرى تاريخ مماليك مصر وتفرض حضارتها داخل مجتمعها وتأثر فيه؟

أسباب اختيار الموضوع:

ترجع لسببين أولا الرغبة في معرفة حضارة المغول وكيف إستطاعوا نشرها داخل بلاد المسلمين ونحن نعلم أن هدا الشعب بدوى متوحش كيف أن تكون له حضارة. ثانيا البحث في جانب من الجوانب التاريخ و الحضارة الإسلامية ومعرفة هل كان الوجود المغولي بالعالم الإسلامي بصفة عامة و في مصر بصفة خاصة نعمة أم نقمة.

حدود الدراسة:

مصر خلال عصر سلاطين المماليك و الوجود المغولي خلال الفترة الممتدة من 658هـ_1260م إلي 923هـ_1517م.

منهج البحث:

اعتمدت المنهج التحليلي الوصفي لمعرفة كل التأثيرات المغولية ومجريات كل الأحداث المهمة في علاقة المغول بسلاطين المماليك.

وعلي هذا فقد قسم هذا الموضوع إلي أربعة فصول وكل فصل مقسم إلي ثلاثة مباحث،الفصل الأول تضمن حياة المغول والمماليك من حيث النشأة والموقع و التعريف بهم، إضافة إلى أحول التي كان يعانى منها المسلمين في تلك الفترة.

أما الفصل الثاني تضمن أهم التأثيرات المغولية غير المباشرة لدولة سلاطين المماليك من حيث إسلامهم وأهم المعارك التي حدثت بينهما، أما الفصل الثالث والرابع فضما كل من التأثيرات الفعلية المباشرة التي نهضت بالمجتمع المملوكي، الفصل الثالث شمل كل متعلق بالجوانب العسكرية والسياسية كظم قوانين الياسة والألقاب والمصطلحات وتبادل السفرات وكل ما أرتبط بالحياة الاقتصادية من فتح الطرقات وتأمينها، والفصل الأخير الرابع ضم كل ما هو متعلق بالجانب الاجتماعي العلمي كالزواج والألبسة والفنون المعمارية وغيرها.

ثم تلثهم الخاتمة التي هي عبارة عن جملة استنتاجات البحث متبعة ببعض الملاحق إضافة إلي قائمة المصادر والمراجع.

عرض المصادر:

مما لاشك فيه أنه لا يمكن لأي باحث متخصص في دراسة التاريخ الوسيط الاستغناء عن المصادر المتخصصة ففي كل الأمور يقتضى عليه الرجوع إليها، وهناك العديد من المصادر أفادت هده المذكرة ومن أهمها كتب تقي الدين أحمد المقريزي ت845ه يأتي في مقدمتهم كتاب إغاثة الأمة بكشف الغمة حيث هذا المؤلف فريد من في موضوعه فلم نجد أحدا من المؤرخين قد خصص كتابا على الحياة الاجتماعية عهد المماليك مثله، حيث أنه كان معاصر لتلك الفترة إضافة إلي كتابه الخطط والسلوك الذي استفدت منه خاصة في الجانب العمراني وفي معركة عين جالوت.

أيضا اعتمدت على كتاب القلقشندى ت 821 ه بعنوان صبح الأعشى استفدت منه بكثرة في الجانب الاجتماعي وفي الوظائف العسكرية المغولية التي اتخذها المماليك فيما بعد وأضافها لجيشه، اعتمدت كتاب بدائع الزهور لابن إياس ت 929 ه استفدت منه في كل ما تعلق بالعادات والتقاليد المغولية والمملوكية وكل ما يتعلق بالمأكل والمشرب و الملبس إضافة إلي بعض الوظائف والمصطلحات، ولم تخلو هذه المذكرة من كتب بن تغري بردى أبو المحاسن ت 874ه سواء كتابه النجوم الزاهرة أو المنهل الصافي استعنت بهما في الجانب الحربي ونظام الياسة وكل المؤثرات الغير المباشرة والكثير من المصادر المهمة لكنني لم أذكرها كلها.

إضافة إلي المراجع فقد اعتمدت كتابي السيد الباز العرينى الأول باسم المماليك والثاني المغول استفدت منهم في النشأة وقيام دولتهم وغيرها من المعلومات القيمة،إضافة لكتاب الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق اعتمدته في أهم ما التأثيرات المغولية على المماليك خاصة المصطلحات، أيضا كتاب المغول لعبد المعطي الصياد الذي تحدث فيه بشكل مفصل عن حياة المغول، أما أهم كتب اعتمدتها وأرشدتني لطريق الصحيح كانا بعنوان الطوائف المغولية في مصر للمؤلف صلاح الدين نورا وكتاب العلاقات بين المماليك الأولى ودولة إيلخانية فارس لشوكت رمضان اللذان اعتمدتهما في الكثير من

المؤثرات بين المغول وسلاطين المماليك خاصة بعد إسلامهم إضافة إلي العديد من المراجع الأخرى.

صعوبات الدراسة:

لا يخلو أي بحث علمي من الصعوبات والعراقيل وحتى يكون ناجحا لابد من تخطى دلك بالقدر المستطاع أما أول صعوبة قد واجهتها:

- قلة المصادر والمراجع المتخصصة التي تتحدث عن التأثيرات بل هي نادرة لاسيما في الجانب الفني العمراني.
- كما أن هدا الموضوع يعد من المواضيع التي تهتم بعلم الآثار أكثر منها تاريخية خاصة في الطراز المعماري.
- ما تزال الدراسات عن الحضارة المغولية وتأثيراتها في مصر قليلة إلي حد الندرة علي الرغم من عمق التاريخ المصري والمغولي.

الفصل الأول: الجذور التاريخية للمغول والمماليك.

أولا: أوضاع المشرق الإسلامي إبان الغزو المغولي.

ثانيا: الجذور التاريخية للمغول.

1- التعريف بالمغول والتتار.

2- الإطار الجغرافي لبلاد المغول.

3- قيام الإمبراطورية المغولية.

ثالثا: الجذور التاريخية للمماليك.

1- التعريف بالمماليك.

2- الإطار الجغرافي لبلاد المماليك.

أولا: أوضاع المشرق الإسلامي إبان غزو المغول:

كان العالم الإسلامي في المرحلة التي بدأ فيها ظهور المغول منقسما إلى مجموعة من المماليك والدويلات الصغيرة بعضها قوي وبعضها ضعيف، سواء من الناحية العسكرية أو الاقتصادية، كما تميزت هذه المماليك والدويلات بالتنازع مع بعضها البعض من أجل السيطرة أو التوسع على حساب الأخرى، وكان الحكام المتنازعون يؤثرون مصالحهم الشخصية على مصالح المسلمين العليا،[1] متناسين قول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.[2]

وكانوا في سلوكهم الخاص ومعاملاتهم للعامة أو لبعضهم قد تخلوا عن قواعد الإسلام ومبادئه وانحرفوا عنه انحرافا شديدا وانتشرت بينهم الموبقات، من معاقرة للخمر وتضييع الوقت بحضور حفلات الرقص، وارتكاب الفواحش واللهو، وقد تبعهم في ذلك كبار قادتهم وكان من نتيجة ذلك فقدان روح التضحية، وحب الاستشهاد، وضعف الروح المعنوية في حروبهم مع المغول، فكانت الأمة قد تفرقت فأصبح لكل ناحية سلطان وفي كل قبيلة أمير.[3] ولقد صدق فيهم قول الله تعالى: ﴿بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾.[4]

فانتشر الخمر بين الأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة وغلبة القوم، وكذلك انتشرت الموبقات في العالم الإسلامي خاصة الخمر، وقد اشتغل في الحانات رجالا ونساء من غير المسلمين ،مما حرصوا على نشر هده الآفات في المجتمع الإسلامي.[5]

---

[1] - محمود سعيد عمران، **المغول والأوروبيون والصليبيون وقضية القدس**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2003، ص 15.

[2] - سورة الأنفال، الآية 46.

[3] - إيناس حسني محمد، **المغول وغزو الدولة الإسلامية**، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، 2014، ص 40.

[4] - سورة إبراهيم، الآية 28.

[5] - إيناس حسني محمد، مرجع سابق، ص48.

وانتشر الشعر الذي يدعو إلى الخلاعة وتلحينه وغنائه، ودفع الشباب إلى الموبقات ذلك لأنهم يعلمون أن هذه هي أقصر الطرق لتسهيل القضاء على المسلمين، وتحطيم المجتمع الإسلامي من الداخل، فأصبحت الحانات مملوءة بالجواري الفاتنات أغلبن من أجناس مختلفة يعرضن أنفسهن عليهم.[1]

وقد حول البعض بيوتهم إلى دور للعبث، وكانت أديرة النصارى هذه يذهبنا إليها المسلمين كانت تشغل أعياد النصارى وتدعو ا شباب المسلمين ومن تلك الأعياد "عيد الميلاد" كما كان في أكتوبر يقيمون عيدا للقدسية.[2]

فلم يتعرض الإسلام لأوقات عصبية مثل التي تعرض لها زمن الغزو المغولي في القرن 7 هـ/ 13م، إذ دمر مدن المسلمين وقتل الكثير من الناس وأباد السكان، قتل وأسرا وعذبا دون شفقة ولا رحمة، وهذا نتيجة الأوضاع التي كان يعاني منها العالم الإسلامي التي ذكرتها من قبل وكان الجانب الشرقي من العالم الإسلامي تتقاسمه عدة دول.[3]

ففي بلاد فارس أو إيران كانت تقوم الدولة الخوارزمية، التي امتدت حدودها من جبال الأورال في الشمال إلى الخليج العربي في الجنوب، ومن جبال السند شرقا إلى حدود العراق غربا.[4]

والتي تنسب إلى مؤسسها نوشتكين الذي كان عبد اشتراه أحد أمراء السلاجقة من غرجستان واشتغل فى منصب الطش تدار[5]. إلى أن نصب حاكما على إقليم خوارزم ومنذ ذلك الوقت كان نوشتكين يسعى إلى الإستقلال عن الدولة السلجوقية .[6]

---

[1]- إسماعيل الخالدي، **العالم الإسلامي والغزو المغولي**، مكتبة صلاح الدين، الكويت، 1984، ص 69.

[2]- نفسه، ص69.

[3]- فؤاد عبد المعطي الصياد، **المغول في التاريخ**، دار النهضة العربية، بيروت، 1970، ص62.

[4]- محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص16.

[5]- **الطشتدار:** أو القشطدار هو أحد الموظفي الذين يعملون في الطشت أي المكان الذي تغسل فيه الأيدي وملابس السلطان . القلقشندي أبو العباس، **صبح الأعشى فى صناعة الإنشا**، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987،ج4 ،ص10 .

[6]- حافظ أحمد حمدي، **الدولة الخوارزمية والمغول**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1949، ص19.

أثناء شعورهم بضعفها محاولين القضاء عليها ويحلوا مكانهم ، وبعد وفاة السلطان سنجر السلجوقي (552هـ/ 1157م) قد تحقق لهم ذلك، فأدخلت ممتلكات السلاجقة في فارس وخراسان في حوزة الدولة الخوارزمية، وباعتلاء تكش (568-596هـ/ 172-1199م) عرش الخوارزميين حاول طغرل الثالث آخر سلاطين السلاجقة في العراق أن يستعيد سلطنه على حساب الخليفة العباسي، إلا أن هذا الأخير استنجد بتكش وتما القضاء على السلاجقة نهائيا مقابل أن يمنحه الخليفة الناصر الرى، وأصبح حاكم فيها ثم انتقل إلى همدان فاستولى على إقليم العراق العجمي وتقلد الحكم رسميا من الخليف، ولم يكتفي بذلك فطلب من الخليفة أن يذكر اسمه في الخطبة بأن يعترف به سلطانا لكن رفض الناصر وبهذا أصبح تكش عدوا للخليفة ولسنة أيضا.[1]

وهكذا صارت الدولة الخوارزمية تتسع على حساب الأقاليم المجاورة لها حتى بلغت أقصاها فى عهد السلطان علاء الدين خواز مشاه (596هـ-617هـ/ 199-1219م) ،الذي لقب بقطب الدين قبل موت أبيه تكش ،أما السلطان محمد هو الذي عاصر المغول عهد جنكيز خان وكانت علاقته مع المسلمين المجاورة عداء ونزاع ،وحارب الغوريين والقراخطايئون الذين رفضوا دفع المبالغ المالية المستحقة عليهم لمدة ثلاثة سنوات، لكن محمد استطاع إزالتهم وبهذا قد ارتكب خطأ كبير لأن هذه الدولة كانت تعتبر سدا منيعا بين بلاد المسلمين وغيرهم.[2]

وا ٍلى جانب الدولة الخوارزمية كانت الدولة العباسية في بغداد تعانى ضعف شديد خلال سنة (575-622 هـ/ 1179-1225م)، فكانت العراق في تلك الفترة دولة ذات السيادة الروحية فقط، أما القوة السياسية والعسكرية فقد زالت عن هذه الخلافة، ولم يعد

---

[1]- ابن القلانسي حمزة ابن أسد، **تاريخ دمشق الكبير**، تح: سهيل زكار، دار حسان، دمشق، 1983. ص 528.

[2]- إبن الأثيرالجزر ي عز الدين، **الكامل في التاريخ**، تح: ابو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2003، ج12، ص229.

لهذا الخليفة الناصر من القوة إلا أن يطلب الدعوة على المنابر في صلاة الجمعة أو المناسبات الدينية فقط.[1]

والضعف الذي دب في الخلافة العباسية ببغداد ظهر قبل ظهور الخطر المغولي، وهذا الضعف كانت له جذور عميقة، التي بدأت منذ سيطرة العناصر الفارسية على الخلافة العباسية، عندما استأثرت الأسر الفارسية بمنصب الوزارة في الخلافة العباسية الأمر الذي أحدث خلافا بين العرب والفرس.[2]

أيضا ضعف الخليفة بذاته وأصبحت الخلافة تتمزق تدريجيا أي بداية انهيارها، وكل الولايات التي كانت تابعة لها سابقا انقطعت الروابط القوية التي تربطهم معها، لم يدعموها وتلك الحركات الاستقلالية أو الانفصالية السابقة كانت من الأسباب فساد الإدارة داخل الخلافة، وسهولة غزو المغول لها لعدم وجود من يساندها.[3]

إضافة إلى ذلك تعرضت الخلافة العباسية لسيطرت الأتراك السلاجقة، واتخذ حكامهم لقب السلطان وبقى الخليفة في القصر مجرد عن سلطته، وتصرف هؤلاء السلاطين في الأراضي والمدن دون أوامره. [4]

وعلى هذا الحال انفصلت أقاليم الدولة عن الحكومة المركزية، وأصبحت عاجزة عسكريا عن مواجهة أي غزو ولم يكن الخطر المغولي كأي خطر عادي، ولم يكن بوسع الخليفة المستعصم (640-656هـ/ 1242-1258م) آخر خلفاء بني العباس أن سيطر عليهم.[5]

---

[1]- ابن القلانسي حمزة ابن الأسد، المصدر السابق، ص166.

[2]- محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص17.

[3]- ابن الأثير على بن محمد، المصدر السابق، ج11، ص370.

[4]- ابن القلانسي حمزة ابن الأسد، مصدر سابق، ص165.

[5]- الداودار ركن الدين، **زيدة الفكر في تاريخ الهجرة**، تح: دو نالدس ريتشارد، د م ن، بيروت،1998، ص35.

إضافة إلى الدولة الأيوبية التي أسسها الأيوبي صلاح الدين يوسف بن أيوب،[1] حين توفي صلاح الدين(590ه\1193م)انقسمت دولته فضاعت وحدة الدولة وتماسكها.[2]

أما بالنسبة لهذه الدولة فقد كان لها مشاكلها الخاصة مع مملكة بيت المقدس والإمارات الصليبية على الساحل الشامي، ومما يزيد المشكلة تعقيدا أنه مع ظهور الخطر المغولي كانت الحملة الصليبية الخامسة قد استولت على برج دمياط عام (615ه\1218م)، مما أدى إلى وفاة الملك العادل،[3] ثم انقسام البيت الأيوبي إلى عدة ممالك أهمها مصر وعلى رأسها الملك الكامل (615هـ/636هـ) (1218م/1238م)، ودمشق على رأسها الملك المعظم عيسى (615هـ/624هـ) (1218م/ 1227م)، وذلك بعد إزالة الخطر الصليبي المؤقت ثم خرج المعظم عن طاعة أخيه ودعا جلال الدين خوارزم شاه الاستيلاء على ديار بكر، وحرض البعض على مهاجمة الموصل وحمص وما يكن على الكامل سوى الخضوع.[4]

---

[1]- **صلاح الدين الأيوبي:** ولد في تكريت عام 1838 من أبوين كرديين وانتقل مع أسرته إلى بعلبك، وقد عين عماد الدين زنكي أتابك الموصل 1127-1146م والده أيوب قائدا لحامية المدينة وأصبح صلاح الدين وزيرا للخليفة الفاطمي العاضد (1161-1171م) وما إن توفي قامت الدولة الأيوبية في مصر والشام والحجاز واليمن. ابن شداد بهاء الدين، **النواذر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، تح: جمال الدين الشيال، الدار المصرية، القاهرة، 1964، ص75. .

[2]- النويري شهاب، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح: مفيد قميحة، دار الكتب المصرية، القاهرة ،2004، ج27، ص5.

[3]- نفسه، ج27، ص75.

[4]- ابن العبري ابى الفرج، **تاريخ الزمان**، تر: الأب اسحق أرملة، دار المشرق، بيروت، 1986م، ص 275.

إضافة إلى ذلك فكانت الدولة المملوكية هنا في بداية نشأتها في مصر والشام، بعد وفاة الصالح أيوب وزوال الدولة الأيوبية وكيان هذه الدولة الجديدة لا يزال في كفة الميزان، أي لم تبلغ من العمر سوى بضع سنين والخطر الغولي يحيط بها من كل جانب فنزح هولاكو[1] حفيد جنكيز خان وجيشه،[2] غربا نحو فارس (652هـ\ 1254م) مستغلين أوضاع المسلمين فقضى على الشيعة الإسماعيلية، ثم قضى على الخلافة العباسية وجميع ولايات غرب آسيا ولم يبقى أمامه سوى الدولة المملوكية الناشئة الجديدة بمصر والشام.[3]

[1]- **هولاكو**: هو حفيد الإمبراطور جنكيز خان، اتجه إلى البلاد الإسلامية مدمرا ومحطما لها، بدأ من بلاد فارس حتى وصل مصر، سنة 1260 ولما جاء لمحاربة المسلمين ترك أخوه منجوقان الأعظم وبوفاته ترك هولاكو كتبغا نوين يكمل الحرب وهو صارع من أجل أن ينتخب مكان أخيه. محمود سعيد عمران، المرجع السابق،ص112، و كتاب أحمد مختار العبادي، **قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام**، دار النهضة العربية، بيروت، 1986، ص149.

[2]**- جنكيز خان**: ولد جنكيز خان على نهر أوتون 1155، أبوه يسوكاي عند ولادته كان أبوه يقاتل ضد التتار وصارع زعيمهم كان يدعى تيموجين لذلك أطلق على ابنه هذا الاسم تخليدا لانتصاره، ولما توفي يسوكاي كان جنكيز يبلغ 10 سنوات عاش بعدها في شقاء عندما تخلوا عنه قبيلة التايجوت لكنه انتقل مع أسرته إلى بروقان كالدون أي جبال كنتاي مقدس هناك برع تيموجين في مراماة أعدائه وبطباعه وصفاته استطاع أن ينحاز إليه القبائل الواحدة قبل الأخرى وقد عين حاكما وهو في سن السابع عشر من عمره. العقيد محمد أسد الله، **جنكيز خان**، دار النفائس،القاهرة ،ص28. أحمد حطيط، **حروب المغول**، دار الفكر اللبناني، لبنان، 1994، ص36. السيد الباز العريني، **المغول**،دار النهضة العربية، بيروت، ص44.. .56.

[3]- أحمد مختار العبادي المرجع السابق، ص145.

ثانيا: الجذور التاريخية للمغول:

1. التعريف بمصطلح المغول:

للتطرق لمفهوم مصطلح المغول لابد أن نفرق بين الاسمين المغول والتتار أولا، لأن العديد من المؤرخين لما يتكلمون عن المغول فيطلقون عنهم التتار، أيضا أما لما تبحث جيدا وتتعمق في الدراسة تجد الاختلاف واضح بين المصطلحين وتعرف أن التتار من أحد قبائل المغولية الموحدة.[1]

أ. مفهوم التتار:

كان التتار يقطنون المنطقة التي تحدها شمالا نهرى أرقون وسلنجا Selenga ومملكة القرغيز، وشرقا بإقليم الخطا (الصين الشمالية) وغربا بممالك الأويغور وجنوبا بإقليم التبت ومملكة التانجوت ،كانت هذه القبائل من أشد قبائل الجنس الأصفر بطشا وجبروتا في إقليم آسيا الشمالية، وهم يتشعبون إلى شعب كثيرة ويذكر أن هؤلاء التتار كانوا أكثر قبائل البدو ورفاهية ونعما، وأنهم كانوا أكثر ثراء، اشتهروا بالشر والغدر.[2]

وهؤلاء التتار كانوا في أغلب الأوقات مطيعين وخاضعين لملوك الخطأ ،ومن آن لآخر كانوا يثورون على الخطأ فيسرع هؤلاء لمقاومتهم وا إجبارهم على الخضوع مرة أخرى حيث عاشوا في صراع دائم مع بعضهم البعض، لأتفه الأسباب تنشب الحروب بينهم لعدة سنوات، إضافة إلى ذلك لم يكن لهم قانون يحكمهم أو شريعة يسيرون عليها حيث عاشوا على أطراف صحراء جوبي[3] عيشة البدو.[4]

فالتتار هم قبائل مستقلة عن المغول، وفي بدء هجوم المغول على الممالك الإسلامية كانوا يعرفون بالتتار، وكما أطلق عليهم أيضا اسم المغول، اشتهروا في التاريخ

---

[1]- فؤاد عبد المعطي الصياد، المرجع السابق، ص25.

[2]- محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية**، المكتب الإسلامي، دمشق، دت، ج1، ص 346.

[3]- **صحراء جوبي**: تمتد في منطقة شاسعة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي من لوب نور حتى تتصل بصحراء تكامان كان حتى جبال خنجان على تخوم منشوريا، السيد الباز العريني، **المغول**، المرجع السابق، ص 8.

[4]- نفسه، ص8.

بهذين الإسمين وتوحدوا في عهد جنكيز خان الذي ولد في منغوليا وحارب التتار ثم ضمهم إليه.[1]

كما يعتبر التتار من الجنس التركي،[2] الذي اعتبرهم الجغرافيون العرب من سكان الإقليم السادس الذي يبدأ من إقليم أذربيجان،[3] حتى بلاد المغرب.[4]

حيث تمتد مساكنهم حتى جبال طمغاج على تخوم الصين.[5] والتتار تعني تائهين في الأرض حيث تشتتوا التتار في الأرض فقالوا نحن التتار، بمعنى تائهين عن أراضينا وان قوما من جنسنا غلبوا علينا وقتلونا وأخرجونا من ديارنا، فخرجنا هاربين لا ندري أين نتجه فوقعنا في هذه الأرض تتارا أي تائهين.[6]

ب. مفهوم المغول:

أما بالنسبة لمفهوم المغول فهم شعب يسكن الجبال المكسوة بالغابات، اعتمدوا على الخشب بكثرة في صناعة العربات اليدوية الخشبية، أما القبائل التي تسكن مناطق السهوب تقطن في أكواخا من ألياف الأشجار داخل الغابات كانت أكثر توحشا بدائية.[7]

عاشوا في بداية الأمر في أعالي نهر أمور، وكانت في حرب دائمة مع التتار المقيمة في الشرق منهم، ولما اعتلى تيموجين زعيم القبيلة المغولية الحكم تحالف مع الصين ضد التتار وهكذا ضمهم.[8]

في الواقع يمكن القول أن التتار هم مغولا وليس المغول تترا لأن التتار شعبة متفرعة من المغول فالأصل هنا هم المغول وأصبح لهم دولة مستقلة في الواقع وكان ذلك تحت

---

[1] - القزويني زكريا بن محمد، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، 1989، ص575 .

[2] - ابن خلدون عبد الرحمن،**تاريخ ابن خلدون**، تح:خليل شحاذه، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992،مج5 ص596.

[3] - ياقوت الحموي، **معجم البلدان والأسماء** ، دار الصادر، ط2، بيروت، 1995، مج1، ص128.

[4] - القزويني زكريا بن محمد، المصدر السابق، 581.

[5] - ابن الأثير على بن محمد، المصدر السابق،ج12، 399.

[6] - الدوادار ركن الدين، المصدر السابق، ص56.

[7] - فؤاد عبد المعطي الصياد، المرجع السابق، ص32-33.

[8] - محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص31.

حكم جنكيز خان، ومن هنا أصبح المغول هم أصحاب الدولة والغلبة فأسسوا إمبراطورية لهم عرفت في التاريخ بالمغول وليست التتار.[1]

وبالتالي فالمغول هم شعب يشبه الترك إلى حد ما في اللغة،[2] وهم من الجنس الأصفر ذوي البشرة الصفراء.[3] أما بالنسبة لمكانهم الأصلي فيكون في هضبة منغوليا[4] وهي إقليم جذب فقير.[5]

وكان المغول الأصليون هم أجداد جنكيز خان، عرفوا باشتغالهم بالرعي وعاشوا على الصيد، لوقوع منازلهم بين السهول والغابات ويفصل نهر سرداريا بين العالم التركي والمغولي، ولهذا السبب ظل المغول الترك محافظين على تقاليد عنصرهم.[6]

وبالتالي فقد يغلب عليهم طابع البداوة والترحال،[7] واعتبروا التتار والمغول من أصل واحدا أي من جنس الترك الذي تشعب إلى شعوب كثيرة وقبائل شتى منها الخوارزمية، التتار، المغول، السلاجقة، الأفار، الكرايت، القفجاق، المجر والبلغار والنايمان وغيرها ولكل شعب من هاته الشعوب قوما مستقلا بذاته.[8]

---

[1]- إيناس حسني محمد، المرجع السابق، ص24.

[2]- أرمنيوس فامبري، **تاريخ بوخاري منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر**، تر: أحمد محمود السداتي، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1995، ص 161.

[3]- محمود ماهر حمادة، **دراسة وثيقة للتاريخ الإسلامي ومصادره**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988، ص 332.

[4]- **هضبة منغوليا**: تمتد في أواسط جنوبي سبيريا وشمال الثبت وغربي منشوريا وشرقي تركستان: حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف، **العالم الإسلامي في العصر العباسي**، دار الفكر العربي، القاهرة، د ت، ص635.

[5]- محمود السيد، **التتار والمغول**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006، ص13.

[6]- إيناس حسني محمد، مرجع سابق، ص31.

[7]- عبد القادر أحمد اليوسفي، **علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين 11 ميلادي و 12 ميلادي**، المكتبة العصرية، العصرية، بيروت، 1969، ص 189.

[8]- رجب محمد عبد الحليم، **انتشار الإسلام بين المغول**، دار النهضة العربية، القاهرة، دت، ص 16.

والبعض من المؤرخين الترك يرون أن أحد ملوك الترك في القديم ولد له ولدان توأمان أحدهما يدعى تتار خان والآخر يدعى مغل خان، ودخل الأخوان في صراع طويل أدى في الأخير إلى تغلب مغل خان على تتر خان لتصير السيادة لهم بعد ذلك.[1]

إذا التتار والمغول نعتبرهما فرعان متمايزان لأصل واحد ولكن الكثير ما لم يفصل بينهما، حيث استخدم اسم التتار مرادفا لاسم المغول حتى أثناء هجومهم على العالم الإسلامي، كان يطلق عليه المسلمون اسم التتار.[2] والبعض الآخر أطلق عليهم مغول أي أي هذان الاسمين كان متزامنين، واشتهروا بهما الاثنين في آن واحد.[3] فهم قوم همجي محبين للحرب أثناء حروبهم تغمرهم الفرحة والسعادة ويدخل على قلوبهم البهجة والسرور، لشدة قوتهم وعزمهم وعدم تراجعهم مطيعون لقادتهم.[4]

فهم أشد القبائل الجنس الأصفر بطشا وجبروتا ،ويتصفون بوجه عريض ذوي شعر مستقيم غير متجعد ،وقلب قاسي وصلابة البدن محبين للخصومات وسفك الدماء.[5]

والمغول تحريف لكلمة ما نغول وهي إحدى قبائل المغول أو التتار، وكان زعيم هذه القبيلة يسمى يسوغاي ،وكان سليل عائلة نبيلة قديمة وهو والد تيموجين الدي لقب فيما بعد باسم جنكيز خان.[6]

---

[1]- رجب محمد عبد الحليم،المرجع السابق ،ص 16.

[2]- حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام**، العصر العباسي الثاني ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1968، ج4، 130.

[3]- القزويني زكريا محمد، المصدر السابق، ص 581.

[4]- أرمينيوس فامبري، المرجع السابق، ص182.

[5]- محمد أسد الله صفى، **تيمور لنك**، دار النفائس، بيروت، 1992، ص17.

[6]- برتولد شبولر، **العالم الإسلامي في العصر المغولي**، تح: خالد أسعد عيسى، دار حسان، دمشق، 1982، ص 22. 22.

والحقيقة أن المغول أطلق عليهم اسم المغول ومغل،[1] وقد استخدم المغول لغة عرفت بأبجدية الأويغور وقد صنف الصينيون المغول إلى ثلاثة أنواع المغول البيض والسود والمتوحشون عاشوا في الغابات.[2]

2. الإطار الجغرافي لبلاد المغول:

المغول شعب بدوي يتكون من عدة قبائل، حيث نشأ المغول الأصليون بالهضبة المعروفة باسم هضبة منغوليا شمال صحراء جوبي، وهي تمتد في أوساط آسيا جنوبي سيبيريا وشمال التبث وغربي منشوريا وشرقي التركستان بين جبال التاي غربا وجبال خنجان شرقا.[3]

ويمكن تقسيم منغوليا إلى قسمين: قسم شمالي غربي مرتفع به جبال كثيرة توجد بينها هضاب ووديان تغطيها الحصى ،وقسم آخر قسم ثاني جنوبي شرقي منخفض يشمل صحراء جنوبي أو شامو التي ليست إلا سهلا مسطحا أو متوهجا ،تغطيه طبقة من الحصى شديدة الصلابة قد جردتها الرياح من المواد الدقيقة من الطين والرمل.[4]

وتنساب من بين جبال المنطقة الشمالية الغربية الفروع العليا لأنهار أوبي وينيسى ولينا بينما المنطقة الجنوبية لا يوجد بها أنهار إلا على الحافات فقط، إضافة إلى ذلك يوجد بمنغوليا القليل من البحيرات، كما تتفجر بعض الينابيع لكن المسافر رغم ذلك لا يعدم الماء لأنه إذا حفر وجده قريبا من سطح الأرض.[5]

أما المناخ فكان يمتاز بالشتاء طويل قاسي البرودة تهطل فيه الأمطار وتنخفض درجة الحرارة إلى أبعد حد ،إذ تصل في بعض الجهات إلى 58 درجة تحت الصفر فتتجمد المياه ويرى الجليد حتى على أواني الشرب ،فإذا ما حل الصيف القصير اشتدت

---

[1]- برتولد شبولر ،المرجع السابق ، ص23.

[2]- السيد الباز العريني، **المغول**، المرجع السابق، ص35.

[3]-فؤاد عبد المعطي الصياد، المرجع السابق، ص30.

[4]- السيد الباز العريني، **المغول**،المرجع السابق، ص5.

[5]- فؤاد عبد المعطي الصياد، المرجع السابق، ص31.

الحرارة فتصل أحيانا إلى 60 درجة، هذا يدل على مناخ قاسي رياح شديدة معظم السنة تحمل الحصى وأحيانا الأعاصير.[1]

فبهذا نقول قد عاش المغول في أراض شاسعة ،تقع شمال وغرب الصين هذا بعد توحدهم وكانت هذه الأرض مجموعها صحاري وسهوب تتصف بالمناخ القاري، لكنهم قبل التوحد عاشوا في أعالي نهرامور Amur [2].

إلا أن بعض المؤرخين قد ذكروا موقع بلاد المغول بطريقة أخرى ،حيث دكروا أن بلاد المغول التي نشأت في الهضبة المعروفة بهضبة منغوليا شمال صحراء جوبي وقد أملت ظروف البيئة في هذه الجهات على القبائل المغولية التي تعيش عيشة رعوية بحثة ،قوامها التنقل من مكان إلى مكان سعيا وراء الرزق تعيش عيشة بربرية، وكانت هذه القبائل تعيش في الأقاليم الواقعة بين بحيرة بيكال في الغرب وجبال كنجان على حدود منشوريا في الشرق ،وبهذا كانت غير محصورة في منطقة ضيقة كونها كثرة الترحال بحثا عن القوت.[3] وبالتالي فقد عاشت القبائل المغولية في المنطقة الواقعة أوسط آسيا بين نهري سيحون وجيحون من الغرب حتى حدود الصين الجبلية من الشرق.[4]

وتوسع البعض في حدودها حتى امتدا بها البحر الأدرياتيكي وسلاسل جيال تيان شان وحول بحيرة بايكال.[5]

---

[1]- بدر مصطفى طه، **محنة الإسلام الكبرى**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999، ص74.

[2]- محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص32.

[3]- حافظ أحمد حمدي، **الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000، ص129.

[4]- إسماعيل الخالدي، المرجع السابق، ص19.

[5]- السيد الباز العريني، **المغول**، المرجع السابق، ص8.

وفي هذه المنطقة تعيش العديد من القبائل على الصيد والرعي، تجري وراء المياه القليلة في صحراء جوبي[1]، وفي السهول بين الجبال وتعتلي المرتفعات، وكلما قلت الأعشاب وزاد الجفاف انتقلوا إلى أرض مجاورة.[2]

وهذا الإرتحال والتنقل هو القاعدة الطبيعية لحياتهم، إدا احتسبت الأمطار أو تعرضت المراعي للآفات وقلة الأعشاب وجد الراعي نفسه أمام خطر فقدان ماشيته وهي مصدر رزقه، ثم يتعرض للمجاعة وهذا بدوره يدفعه إلى السرقة والنهب من المناطق المجاورة لهم الذين يستغلون بالزراعة، ويقوم بسلب حتى أراضيهم في الكثير من الأحيان ، وهكذا توسعت منطقتهم وصعب تحديدها بعد ذلك.[3]

3. قيام الإمبراطورية المغولية:

ظهور المغول على مسرح الأحداث التاريخية في أواخر القرن 6هـ/12 م، ثم برزوا كقوة عالمية ذات شهرة واسعة على النطاق الخارجي خلال القرن 7هـ /13 م، وقد استطاعوا أن يؤسسوا لهم أكبر إمبراطورية عالمية عرفها التاريخ في أقصر مدة.[4]

وفي النصف الأول من القرن الثاني عشر ميلادي السادس هجري كما تقدم سابقا كانت تنزل شمال منشوريا ومنغوليا وتركستان قبائل بدوية تتخد الرعي والصيد مهنة لها ،كانت قبائل متأخرة نوعا ما كما تنتمي هذه القبائل من الناحية اللغوية إلى مجموعات منها مجموعة تركيا ومنغوليا إضافة إلى مجموعة تنفودية، لكن يصعب التفرقة بين هده المجموعات التي شكلت إمبراطورية بعد توحدها فيما بعد، ذلك راجع إلى بعض الصلات التي قامت بينهم جعلت ألقابهم وعاداتهم وكلامهم متقاربة.[5]

---

[1]- **جوبي**: اسم يدل على الجدب والفقر: إسماعيل الخالدي، المرجع السابق، ص20.

[2]- إسماعيل الخالدي،المرجع السابق ، ص20.

[3]- السيد الباز العريني،**المغول**، المرجع السابق، ص13.

[4]- إيناس حسني محمد، المرجع السابق، ص24.

[5]- السيد الباز العريني، **تاريخ الحروب الصليبية المغول والمماليك ونهاية الشرق الفرنجى**، دار الثقافة، بيروت، ص20.

فمنها القبائل التركية كقبيلة توركش وهي من أشهر القبائل في الغرب وكان رؤساؤها يلقبون بلقب خان، وقبيلة القرغيز وهم من الترك الذين كانوا ينزلون في أعالي نهر نيسي وكان أميرهم يلقب بخاقان احترفوا الزراعة، وبعد ذلك خضعوا للمغول زمن جينكيز خان (614هـ\ 1218م)،[1] أيضا قبيلة الأغوز ويطلق عليهم اسم القبائل العشرة، لأنهم كانوا يتألفون من عشر قبائل هؤلاء امتدوا حتى حدود مصر.[2]

وهناك قبائل أخرى غير تركية من بينهم الخطا أو قرة خيتاوي وكلها أسماء لشعب خيتاي والراجح أنهم قبائل تونفوزية، ويرى البعض أنهم مغول كانوا أعداء للترك وكان يلقب ملكهم بالكورخان، ولما تحطمت مملكتهم وحلت مملكة الأمير كجلك النايماني في جانب من أملاكهم اتخذ آخر ملوك قره خيتاي العادات والملابس الإسلامية ،وبقي إقليم ما وراء النهر في أيديهم.[3]

إضافة إلى التتار كان التتار في القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي قسمين: الأول تسع قبائل والثاني ثلاثين قبيلة سكنوا جنوب غربي بحيرة بايكال حتى نهر كبرولين، وهم ثلاث أقسام التتار البيض وهم الذين ينزلون خارج صور الصين ،التتار السود كانوا يتزلون شمال صحراء جوبي وهم بدوا رحلا، وتتار الغابة كانوا يعيشون حول الروافد العليا لنهري أونون وكيرولين مارسوا الصيد.[4]

أيضا قبيلة الكرايت التي بلغت جميع العناصر المغولية ومن أشهر ملوكهم كان يدعى طغرل الذي استطاع أن يهزم التتار، وبذلك صار أقوى ملوك منغوليا وقبيلة النايمان حيث يصح اعتبارهم تركا مغول سكنوا غرب الكرايت، وآخر هذه القبائل قبيلة

---

[1] -إيناس حسني محمد، المرجع السابق، ص27.

[2] - السيد الباز العريني، **تاريخ الحروب الصليبية المغول والمماليك** ،المرجع السابق، ص25.

[3] - نفسه،، ص25.

[4] - إيناس حسني محمد، المرجع السابق، ص29.

برجقين المغولية كانت تسكن عند انهارتولا أرنون وكيرولين وا إلى هذه القبيلة بنسب جانكيز خان.[1]

وهذه القبائل كانت تعيش في فوضى عارمة وكانت بحاجة ملحة إلى الإصلاح لتتمكن من التوحيد والنهوض، وهنا ظهرت شخصية طموحة ساعدت على الحد من هذه الفوضى وهو تيموجين المغولي، الذي استطاع بدهائه أن يجمع شمل هذه القبائل التي كانت متفرقة وانتهى الأمر بانتخابه خاقانا أي حاكما عليها سنة (603هـ/1206م)، وبعد أن تم له مأأراد استبدل اسمه إلى جنكيز خان أي أعظم الحكام The Greastes of Rubers ، واختار مدينة قره قروم حاضره لملكه.[2]

وكانت سنة (603هـ\ 1207م)دروة نجاح تيموجين في إخضاع قبائل بعد استعلائه على آخر قبيلة النايمان عند هزيمتهم في معركة شقيرموت، وهنا فرض جنكيزخان سيطرته على كل القبائل القاطنة بين حوض التاريم Tarim غرب سمرقند ونهر أمور الذي يصب في بحر مجلسا (قوريلتاى)، وأعلنت سيادته وأصبح يطلق عليهم اسم المغول.[3] منذ بداية القرن السابع الهجري أصبح المغول موحدون.[4] وقد ساعده في توحيد هذه القبائل حين عمل على كسب ود رجال قبيلته ووجهائها، وأن يوجههم نحو الحرب والقضاء على أعدائهم من التتار والكرايت والنايمان[5]، وعقد مؤتمرا عاما أثناء توليته تقرر فيه تعميم كلمة المغول على كافة القبائل الخاضعة لحكمه، وبعد هذا التاريخ البداية الرسمية للإمبراطورية المغولية تحت قيادته وأسرته المسماة بالأسرة الذهبية.[6]

---

[1] - إيناس حسني محمد، المرجع السابق، ص30-31.

[2] - حافظ أحمد حمدي، المرجع السابق، ص129.

[3] - محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص37.

[4] - رجب محمد عبد الحليم، مرجع السابق، ص 16.

[5] - خالد عزام، **موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر العباسي**، دار أسامة، عمان، 2003، ص282.

[6] - عبد القادر أحمد يوسفي، المرجع السابق، ص161.

وأن هذا تيموجين الذي أطلق على نفسه إسم الملك "جينكيزخان" هو إبن ياسوكاي بن بهادرين بن تومان برثيل خان.[1] والدى ولد حوا لي (561هـ/1167م)، حيث كان والده زعيما لإحدى القبائل المغولية،[2] ويمكن القول أن كايل خان جد يسوكاي حاول جاهدا توحيد القبائل في عهده، لكن بعد وفاته تمزقت ولم يستطع أحد ضمها منذ ذلك الحين حتى أن جاء جينكيزخان.[3]

والذي قد انتهج في حربه مع هذه القبائل سياسة الإستعانة بالقبيلة ضد الأخرى، والتحالف مع القوي ضد الضعيف حتى أستطاع أن يهزمهم جميعا.[4]

بعد أن استوى جنكيز خان على العرش وضع لشعبه سياسة محكمة ترمي إلى التوسع نحو الأقاليم المجاورة،[5]وتمكن بشجاعته من المحافظة على مراعي أسر ته واستطاع تحسين حالتهم المالية، فبدأت تتوافد عليه بعض القبائل لما توسمت فيه الزعامة والشهامة.[6] واستطاع أن يستعيد نفوذ والده بفضل ما تميز به من خبرة وجرأة في فنون القتال،[7] فعظمت جيوشه فتغلب على بلاد الختن وكاشغر والمالق[8] بعد أن أخضع الصين الصين للحكم المغولي ومن ثم بدأت توسعاته نحو البلدان الإسلامية،[9] واستلم له أرسلان خان حاكم القرلق وهو أول حاكم مسلم يخضع للمغول.[10]

---

[1] - ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ج5، ص623.

[2] - عبد القادر أحمد اليوسفي، المرجع السابق، ص189.

[3] - محمود شلبي، **حياة الملك المظفر قطز**، دار جيل، بيروت، 1992، ص72.

[4] - محمود السيد، المرجع السابق، ص191.

[5] - جورجي زيدان، **تاريخ التمدن الإسلامي** ، دار الهلال للنشر والتوزيع، القاهرة، دت، ج4، ص241.

[6] - عبد القادر أحمد اليوسفي، المرجع السابق، ص191.

[7] - خالد عزام، المرجع السابق، ص282.

[8] - ابن بطوطة محمد بن عبد الله، **مهدب رحلة ابن بطوطة** ، دار الحداثة، ط2، بيروت، 1985، ج1، ص30.

[9] - أحمد عبد الكريم سليمان، **المغول والمماليك حتى نهاية عصر بيبرس** ، دار النهضة العربية، ط2، القاهرة، 1994، ص16.

[10] - نفسه، ص17.

وانطلقت هذه القبائل الموحدة من موطنها الصحراوية المجدبة في وسط آسيا ، لتعبث في الأرض فسادا شرقا في الصين وجنوبا في الهند وشمالا في روسيا، وكان من أولى ضحايا المغول الموحدة الممالك الإسلامية الشرقية في فارس والعراق والشام ،وقد عامل المغول شعوب تلك البلاد بقسوة ووحشية.[1]

ووضع جينكيز خان أيضا أثناء توليه الحكم وقيام إمبراطوريته الموحدة دستور لشعبه كي يلتزم به المغول ويسيرون وفق قواعده، وقد نظم هذا الدستور الحياة العامة المغولية مدة طويلة حتى بعد وفاته لفترة.[2]

ولما أسقط عائلة كين وأسقط عاصمتها بكين(1215 م /612 هـ)، مما كسب ثروات كبيرة شجعته في التقدم والاصطدام بالمسلمية، وبالفعل أسقط القلعة الموت الحصينة سنة (1256م /654هـ) بإيران، اتجه المغول إلى عقر دار الخلافة العباسية في بغداد (656هـ/1258م) وتوفي جينكيز خان (624هـ\ 1227م) وترك إمبراطورية عظيمة يخشاها كل دول العالم.[3]

---

[1]- برتولد شيولد، المرجع السابق، ص 22.

[2]- صلاح الدين محمد نور، **الطوائف المغولية في مصر**، منشآة المعارف، الإسكندرية، 1996، ص1.

[3]- حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص137.

ثالثا: الجذور التاريخية للمماليك.

1- التعريف بالمماليك:

أ. المملوك لغة:

اسم مفعول جذره مادة ملك ويجمع على معاني، وهو العبد الذي سبى ولم يملك أبواه، والعبد القن الذي ملك هو وأبواه، والمملوك يباع ويشتري.[1]

ب. إصطلاحا:

وتسمية المماليك معنى اصطلاحيا خاصا في التاريخ الإسلامي فأصبح يقصد بالمماليك جموع الرقيق الأبيض، الذين يصلون إلى الديار المصرية والبلاد الشامية صبيانا عن طريق الشراء أو فتيانا كأسرى حرب[2]، أو ما قررا على دولة تابعة أو خاضعة أو هدايا من دول صديقة أو حليفة، وأن هؤلاء المجلوبين طغى عليهم الجانب العسكري، حيث تشكلت فرقا عسكرية وقد وضح ذلك بيبرس "واتخذوهم عدة في النوائب بما فيهم من الشجاعة والإقدام ورمي السهام ودرايتهم برياضة الخيول وصبرهم..وصيروا منهم الأمراء والأكابر والمقدمين على العساكر".[3]

والمماليك مفرده مملوك ويقصد به التعبير عن العبودية والرق،[4] وأصله المملوكي من امتلاك للشيء،[5] وهو العبد الذي لا يمتلك حريته فهو ملك لغيره وليس لنفسه.[6]

---

[1]- ابن المنظور محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ،2010، مج 10،ص 493.

[2]- الزبيدي، **تاجر العروس من جواهر القاموس**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت،2010، مج 7، ص181.

[3]- الدوادار ركن الدين،**مختار الإخبار في تاريخ الدولة** ،المصدر السابق، ص2.

4- قاسم عبده قاسم، **في تاريخ الأيوبيين والمماليك**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، دب، 2009، ص153.

[5]- محمد عبد المنعم الجمل، **معالم تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دت، ص211.

[6]- محمد العروسي المطوي، **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب** ، دار الغرب الإسلامي، ط2، تونس، 1980، ص124.

كما كان النخاسون يخطفون الأطفال ويستولون عليهم عنوة ثم يعرضونهم للبيع،[1] فيستخدمهم الأمراء والسلاطين والخلفاء كعنصر بديل ،عن العنصر العربي والفارسي سواء في الجانب العسكري اولتسير مهامهم الإدارية والأعمال الأخرى كالقصور.[2]

وقد ذكر ابن خلدون نسب هؤلاء المماليك أنهم كانوا من أولاد يافت بن نوح عليه السلام وهم بالنسبة للعرب من أبناء عامور بن سويل بن يافت، ومن جهة الروم فهم من أبناء طيراش بن يافت، والترك أجناس كثيرة وشعوب مختلفة فمنهم الروس ومنهم أبلان والخفجاق والهياطلة والخلج والغزويمك والقورو أركس والظطر.[3]

كما كان المماليك يرفضون التدني كغيرهم من الرقيق خاصة في الأعمال الدنيئة كسياسة الدواب.[4] وأول من استخدم المماليك والعنصر المملوكي في العالم الإسلامي يرجع إلى العصر العباسي الأول، وبالضبط عهد الخليفة المأمون وفي سنة (218هـ /833م) وعهد الخليفة المعتصم أكثر من شراء المماليك من الترك بعد أن فقد ثقته بالفرس وتمرد العرب له وكثر الفساد وثورانهم على الخلفاء.[5]

أما بالنسبة إلى مماليك مصر فقد ترجع جذورهم الأولى على أرض مصر، وذلك عهد المؤسس الأول للدولة الطولونية أحمد بن طولون (254هـ-292هـ/868-905م) يعتبر أول من جلب المماليك إلى مصر، وضمهم في جيشه وسار على نفس منهجهم الإخشدين من بعدهم (323-58هـ)/(934-968م)، هؤلاء كذلك اعتمدوا على المماليك وزادوا اهتمامهم لهم.[6]

---

[1]- أحمد شلبي، **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1990، ج5، ص215.

[2]- السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ الأيوبيين والمماليك**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2003، ص226.

[3]- ابن خلدون،**العبر وديوان المبتدأ و الخبر**، المصدر السابق،ج5، ص38.

[4]- أحمد مختار العبادي،قيام دولة المماليك الأولى، المرجع السابق، ص20.

[5]- النويري شهاب الدين، المصدر السابق، ج29، ص415

[6]- أحمد عودات وآخرون، **تاريخ المغول والمماليك**، دار الكندي أربد، بيروت، 1990، ص 63.

وبعد زوال الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف (569هـ-1181م) قام هذا الأخير بإنشاء جيش خاص به حيث أنه استبعد الأرمن والسودانية واستخدم الأكراد والأتراك ،إلا أن وفاته حدثت منازعات كبيرة داخل البيت الأيوبي في ظل الدعوة كالحملة أفرنجية الرابعة 598هـ-1202م، هنا كان لا بد على كل أمير أن يكون لنفسه جيش للاحتفاظ بإمارته، فقاموا بشراء عدد كبير من المماليك لكن كانوا يجلبون في ذلك الوقت خفية لأن وطنهم كان مصونا من التجاهر ببيعهم.[1]

أما عهد السلطان الأيوبي الصالح نجم الدين أيوب (638-647هـ/1240-1249م) أكثر من شراء المماليك لدرجة لم يبلغها أحد غيره.[2]

وبالتالي فالمملوك اقتصر على فئة الرقيق الأبيض دون غيره، يجلبوا لتكوين فرق عسكرية خاصة أيام السلم ويربوا تربية ناشئة ثم إضافتهم أثناء الحرب إلى الجيش، حتى أن صار ت الأداة الحربية الوحيدة في بعض الدول كمماليك مصر والشام.[3]

على أن استخدام المماليك في المجتمع الإسلامي يرجع إلى ما قبل عهد المعتصم بكثير ودليل ذلك أن يرجع استخدام هؤلاء في وظائف الدولة العباسية الأولى، ووضح ذلك ولاية يحي ابن داود الخرسى إمارة مصر (162هـ-164هـ) /(8م-780م) من قبل الخليفة أبي جعفر المنصور.[4]

ومن هذا وحده يتضح أن علاقة المماليك بمصر أبعد عهدا من قيام دولتهم بها، إذن لم يكن جديدا أو غريبا على مصر حينما قامت دولة المماليك الأولى بها.[5]

---

[1]- موريروليم، **تاريخ دولة المماليك في مصر**، تر: محمود عابدين وسليم حسن، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990، ص38.

[2]- النويري شهاب الدين، المصدر السابق،ج29، ص417.

[3]- السيوطي جلال الدين، **تاريخ الخلفاء** ، دار ابن حزم،ط2، بيروت، 2003، مج1، ص 222.

[4]- الكندي أبى عمر محمد، **كتاب الولاة والقضاة**، مح روفن جست، مطبعة الآباء اليسوعين، بيروت، 1908، ص123.

[5]- أحمد مختار العبادي، **قيام دولة المماليك**، المرجع السابق، ص13.

كما أطلق العباسيون على المملوك الذي اشترى بالمال من بلاد الترك والروم والزنج وبلاد فارس اسم غلمان ومفردها غلام.[1]

والمملوك خلاف العبد فالعبد يولد من الرقيق يولد عبدا ، بينما المملوك يولد حر من أبوين حرين ثم يباع، كما أن العبد يكون ذو البشرة السوداء بينما المملوك ذوي البشرة البيضاء غالبا.[2]

غير أن التحول الحقيقي في هذه السياسة جاء أيام الأيوبين وبالتحديد عصر سابع سلاطينهم،[3] كونوا ما يقارب 1000 مملوك عن طريق البحر من شبه الجزيرة القزم والقوقاز وبلاد فارس.[4]

والمماليك في الأصل هم مجموعة من الأرقاء يجلبون أطفالا من أسواق النخاسة، كما أن الشواهد التاريخية ثبتت أنهم لم يكونوا من أصل واحد[5]، فكانوا خليطا من الأتراك والجراكسة[6]، كما يستخدمونهم في القصور والإدارة.[7]

عندما غزو المغول لتلك الأصفاع بمعنى مناطق القفجاق في شمال آسيا وبلاد القوقاز وجزيرة القزم وفارس وتركستان، ساموا أهلها الذل وفتكوا بهم حتى هاجر سكانها فضعفت قبائلهم وشتت بلاد آسيا الصغرى.[8]

---

[1]- ابن المنظور محمد بن مكرم، المصدر السابق، ج3، ص383.

[2]- ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ج5، 373.

[3]- ابن دقماق صارم الدين، **نزهة الأنام في تاريخ الإسلام**، تح: سمير طيار، المكتبة المصرية،القاهرة، 1999، ص117.

[4]- الطولوني حسن بن حسين، **النزهة السنية في أخبار الخلفاء والملوك المصرية**، عالم الكتب لنشر، القاهرة، 1988، ص136.

[5]- حسين عبيد، **الحكام من عصر بن العاص إلى عبد الناصر**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1988، ص113.

[6]- محمود نديم أحمد فهيم، **الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري**، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1983، ص25.

[7]- حسين عبيد، المرجع السابق، ص113.

[8]- أنور زقلمة، **صفحات من تاريخ مصر، المماليك في مصر**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999، ص18.

وكانت تجارة الرقيق الأبيض والأسود في شدة انتشارها، وابتاع النخاسون أحسن أبناءهم وأقوامهم من أقاربهم وأبائهم، كما كانوا يختطفونهم ليبيعونهم لمن شاءوا من أمراء وأغنياء الديار الشامية والمصرية، فنشأ المملوك وقد نسى قومه وجنسيته واندمج في سك أمثاله من المماليك، وهكذا يعتبر المغول السبب الرئيسي لوفد المماليك نحو الشام ومصر هروبا من بطشهم إضافة لروج تجارة الرقيق.[1]

كان المماليك يفتخرون بأصلهم ونشأتهم ،ذلك لأن علاقة المملوك بسيده في الشرق كله علاقة عائلية أكثر منها علاقة عبودية، فتربوا تربية طيبة وتم إعدادهم حسن إعداد، عرف عن المماليك أيضا أنهم قليلو التمسك بالدين ومع ذلك فقد كانوا مثالا في وفائهم لسادتهم وشجاعتهم في القتال، فالتاريخ يحفظ مواقفهم البطولية المشرفة في حماية الدين والدفاع عنه.[2]

كان الواحد منهم لا يرضى إلا أن يساويه سيده معه ،في مطعمه، ومشربه ،وملبسه ومركبه، وما ميز علاقة المماليك برعايا الدولة عموما الشراسة وسلب الأموال وسفك الدماء ،ويرجع ذلك إلى شعورهم بأن حياتهم رهينة الأحداث، لذلك كانوا لا يثقون في أحد فلم يتركوا أية فرصة دون إستغلالها إتباعا لطموحاتهم وأطماعهم.[3]

فقد كان بوسع المماليك الجمع بين القسوة والوحشية ،وبين العطاء والرحمة،[4] ولكنهم ولكنهم لم يفعلوا ذلك عن عقيدة راسخة فيهم بل تطبيقا السياسة كامنة عند بعض منهم ،لكن رغم ذلك فالفضل يرجع إليهم في القضاء على الامتدادات الصليبية، وتحرير مدن الشام من الغزو المغولي والصليبي وأصبح لهم جاها كبير في العالم الإسلامي.[5]

---

[1]- أنور زقلمة، المرجع السابق، ص25.

[2]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص233.

[3]- أحمد مختار العبادي، **قيام دولة المماليك**، المرجع السابق، ص94.

[4]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص235.

[5]- الطولوني حسن بن حسين، المصدر السابق، ص137.

إضافة إلى ذلك كانت تربية هؤلاء المماليك وتدريبهم يمر بمراحل متعددة حتى ينتقل المملوك لخدمة سيده في حرسه الخاص، أو جيشه، أو حتى ديوانه، فكان السلطان يختار أحسن المماليك قامة وصحة، ومن تبدوا عليهم علامات الذكاء والنجابة، فيؤخذوا ويوضعوا في أبراج خاصة بينهم ويرتبوا لهم الفقهاء والعلماء لتلقينهم الدين والعلوم،[1] وقد عظم أمرهم على هذه المعالمة فصارت مقاليد الأمور في مصر مسندة إليهم.[2]

لأنهم خضعوا إلى نظام تدريب قاسي لذلك انضبطوا وكانوا أشد طاعة لسلاطينهم، وفي نفس الوقت قريبين من معلميهم إلى درجة كبيرة جدا.[3] ورغم أن المماليك ذوي جنسيات مختلفة إلا أنهم توحدوا في مصر، والمماليك هؤلاء ينقسمون إلى قسمين القسم الأول مماليك بحرية وهم الذين جلبهم الصالح نجم الدين وبنى لهم قلعة بجزيرة الروضة واستقروا بها ونشأوا أسطولا لذلك أطلق عليهم البحرية،[4] والقسم الثاني مماليك البرجية وهم شراكسة عهد السلطان قلاوون من أجل تدعيم حكمه.[5]

لذلك فهم سلالة من الجنود حكمت مصر والشام والعراق وأجزاء من الجزيرة العربية أكثر من قرنين ونصف القرن (1250\648 هـ) إلى غاية (1517م\923 هـ).[6]

أصولهم من آسيا الوسطى قبل أن يستقروا بمصر، والتي أسسوا بها دولتين متعاقبتين كانت عاصمتها القاهرة، وتمكنوا من إنشاء دولة حكمت في الفترة (648هـ/923هـ - 1250م/1517م).[7]

---

[1] - قاسم عبده قاسم،فى تاريخ الايوبين و المماليك ،المرجع السابق، ص153.

[2] - جورج كريك، **موجز تاريخ الشرق الأوسط**، تر: العمر الإسكندراني، دار الطباعة الحديثة، د م ن، ت د، ص49.

[3] - أنطوان خليل ضومط، **الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري**، دار الحداثة، ط2، القاهرة، 1982، ص29.

[4] - أحمد عودات، المرجع السابق، ص70.

[5] - إبراهيم ترخان، **مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة**،دم ن، القاهرة، 1960، ص8.

[6] - أحمد مختار العبادي،قيام دولة المماليك، المرجع السابق، ص148.

[7] - ابن دقماق صارم الدين، المصدر السابق، ص116.

فقد تربى المملوك الصغير الذي اشترى في طفولته المبكرة بتعلم العربية، قراءة وكتابة ثم القرآن الكريم، وفي ما يلي يتعلم مبادئ الفقه الإسلامي، وآداب الشريعة والصلاة، وكان يراقب المملوك مراقبة شديدة من مؤدبيه ومعلميه.[1]

أما عن رواتبهم فقد كان السلاطين في البداية يضعون لهم راتبا نقديا، وأما راتبا عينيا من توابل وخبز واللحوم الزيت وغير ها من المأكولات الغذائية العامة، تقدم له شهريا أي مرة في كل شهر، وبعد أن يصبح هذا المملوك فارس شجاعا سيتبدل منصبه ويصبح في زمرة الأمراء ،تمنح له إقطاعات زراعية يقدمها له السلطان دليل على ترقيته في منصبه، وتزداد رتبته العسكرية.[2]

أما حينما يتقاضون راتبهم نقديا فكان يصل حوالي مائتي ألف دينار لرأس الواحد ،لكنه غير مضبوطا فقد يتناقص إلى ثمانين ألف وقد يزداد.[3]

أما بالنسبة لتسميتهم فكان المماليك الأتراك ينسبون في تسميتهم إلى سيدهم،[4] فمنهم فمنهم العزيزية نسبة إلى العزيز عثمان بن صلاح الدين، والصالحية نسبة إلى الصالح أيوب الذين من كبارهم فارس الذين أقطاي الجندار وركن الدين بيبرس البند قداري وعز الدين أيبك الجاشنكير التركماني.[5] والاشرف خليل وغيرها.[6]

---

[1]- المقريزي تقى الدين، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تح: محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ج1 ص47.

[2]- قاسم عبد القاسم، فى تاريخ الايوبين والمماليك، المرجع السابق، ص 68.

[3]- القلقشندي أبو العباس،المصدر السابق، ج4، ص52.

[4]- قاسم عبده القاسم، في تاريخ الايوبين والمماليك، المرجع السابق، ص156.

[5]- ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ج5، ص443.

[6]- سعيد عبد الفتاح عاشور، **مصر والشام في عصر الأيوبين و المماليك**، دار النهضة العربية ،بيروت، ص168.

2- الإطار الجغرافي لبلاد المماليك:

إن الموقع الجغرافي لدولة المماليك يعد مهما استراتجيا من حيث حيازتها على أقاليم الشام ومصر، فكان له دور كبير في بسط نفوذها واحتلالها الركازة التجارية وغيرها فبلاد سلاطين المماليك لها حدود واسعة، حيت تمتد من نهر الفرات شرقا إلى الصحراء الليبية غربا ومن الشمال يحدها كل من نهر الفرات ومملكة أرمينيا الصغرى إضافة إلى البحر المتوسط أما في الجهة الجنوبية تحدها اليمن.[1]

فموطن المماليك الأتراك بلاد القفجاق شمالي البحر الأسود وبلاد القوقاز قرب بحر قزوين،[2] فمع كثرة الفتوحات الإسلامية والانتصارات في فترة صدر الإسلام ازداد عدد الرقيق وازدهرت تجارته وأصبح مختلطا ومتنوعا بتنوع البلاد التي فتحها المسلمون.[3]

وصار المماليك أشهر أنواع الرقيق الأبيض بحكم اتصال وقرب موطنهم الأصلي، في أواسط آسيا بالعالم الإسلامي، فقد وصل الفاتح الإسلامي قتيبة بن مسلم الباهلي أواخر القرن 1هـ/ 7م إلى بلاد تركستان وما وراء نهري سيحون وجيجون.[4]

وقد انحدرت أصولهم إلى مناطق آسيوي وأوروبية سواء منهم التركي والجركسي أو الرومي والزنجي وحتى الفارسي، ثم باعوا في المدن العربية والإسلامية فعهد سلاطين البلد وأمرائهم إلى شرائهم، لاستخدامهم في حجر دار الخلافة حتى كونت منهم فرق، وبالتالي يصعب تحديد موقعهم الجغرافي بدقة لكونهم جاؤوا متفرقين لكنهم استقروا بمصر.[5]

---

[1]- شوكت رمضان حجة، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى ودولة إيلخانية فارس (648-736هـ) (1250-1335م)**، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، الأردن، 2005، ص421.

[2]- سعيد عبد الفتاح عاشور، **مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك**، المرجع السابق ،ص167.

[3]- أحمد مختار العبادي، **قيام دولة المماليك**، المرجع السابق، ص11.

[4]- أحمد المختار العبادي، **في التاريخ الأيوبي والمملوكي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006، ص6.

[5]- أنطوان خليل ضومط، المرجع السابق، ط2، ص9.

3- قيام دولة المماليك في مصر:

نهاية الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك (642-923هـ) / (1250م-1517م)، الدولة الأيوبية أواخر أيام صلاح الدين ،حيث جعل هذا السلطان كل اعتماده على أخيه سيف الدين العادل في تدبير شؤون مصر عند خروجه من القاهرة بحيثيته، (578هـ-1182م) هذه السنة التي لم يعد صلاح الدين بعدها إلى مصر.[1]

ثم حدث وأن ولى العادل أمر حلب (580هـ-1184م) وعهد صلاح الدين بأمر مصر إلى تقي الدين عمر ابن أخيه، لكن العادل ما لبث أن عاد إلى مصر صحبة العزيز عثمان بن صلاح الدين (584هـ/1188م) بعد فشل تقي الدين عمر في تدبير أحوالهم، وأعد صلاح الدين أولاده ليتولوا الحكم بعده، فتولى أكبرهم وهو الأفضل دمشق،والعزيز مصر، وبقيت حلب من نصيب الظاهر غازي.[2]

وتولى أبناء عمومتهم حكم حماه وحمص وبعلبك، وولي اليمن عم لهم وهو طغتكين بن أيوب، أما الجزيرة وديار بكر فظلت على حالتها إقطاعا للعادل.[3]

وبعد وفاة صلاح الدين بدأ الانشقاق بين أولاده وأفراد عائلته الحاكمة، فبدأت الحرب ضد بعضهم حينما حاصر العزيز دمشق وتدخل العادل والظاهر في وقف النزاع وطارد الأفضل العزيز، وانتهز العادل الفرصة للعمل على توحيد الدويلات تحت حكمه من أجل مصلحته، وأدرك العادل الفرق الكبير بين كل من الأفضل والعزيز، إذا اغرق الأفضل في الخمر واللهو، والعزيز بالمروءة والسخاء فأخذ دمشق وأصبح له قوة بعد أن أصبح واليا

---

[1]- العيني بدر الدين، **عقد الجمان**، تح: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987،ج1، ص61.

[2]- بن تغري بردي يوسف، **النجوم الزاهرة** ، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1963، ج6، ص 122.

[3]- أبو شامة المقدسي، **تراجم رجال القرنين السادس والسابع(ديل الروضتين)**، تح: محمد زاهد ابن الحسن الكوثري، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 2002، ج2، ص52.

على الشام، وبوفاة العزيز أصبح العادل سيدا على إمبراطورية صلاح الدين جميعها ما عدا بلاد الغرب وأعالي الشام.[1]

واحتفظت هذه الدويلات الشامية (حلب- حمص- حماه) باستقلالها مقابل الاعتراف بزعامة العادل، ومن ثم خلع العادل المنصور بن عبد العزيز حكم مصر وأقام نفسه سلطانا وجعل أبناءه نوابا، غير أن لم يمض وقت طويل حتى أعد جان ذي بريين ملك بيت المقدس حملة صليبية على مصر (615 هـ -1218م)، في نفس السنة مات فيها العادل وحكم ابنه السلطان الكامل، حيث قام هذا الأخير بعقد معهم هدنة مدة 8 سنوات.[2]

لم يسلم الكامل من أقاربه رغم أنه استولى على أمد من يد الأرتقيين بعد أن لت في أيديهم 130 سنة، وحارب كيقباذ سلطان سلاجقة الروم في آسيا الصغرى ونزع منه الرها وعمل على تقوية أسرته، إلا أن توفي الكامل 630هـ ولم يمكث العادل الصغير بعد أخيه الكامل في السلطة سوى عامين كلها مجون ولهو، إلا أن خلعه الجند وتولى السلطنة أخوه الصالح (638هـ-1240م)،[3] واسمه الكامل صال أيوب أو صالح نجم الدين أيوب.[4]

فكل هذه الانقسامات التي حدثت داخل البيت الأيوبي لقبوا أنفسهم بالملوك، واستكثروا بجلب المماليك وذلك من أجل حماية إماراتهم، فشهدت أواخر القرن 6هـ/12م والنصف

---

[1]- ابن ثغري بردي يوسف، المصدر السابق،ج6 ،ص126.

[2]- أبو شامة المقدسى الدمشقى، المصدر السابق،ج2، ص184.

[3]- ابن ثغري بردي يوسف، المصدر السابق،ج6، ص149.

[4]- **الصالح أيوب**: هو الملك الصالح نجم الدين الأيوب ابن السلطان الكامل نصر الدين محمد بن الملك العادل سيف الدين تولى الديار المصرية سنة 637هـ/ 1239م كان محبا لأهل الدين أما زوجته كانت تدعى شجرة الذر، ابن ثغري بردي يوسف، المصدر السابق، ج6، ص319.

الأول من القرن 7هـ/13م تضاعف أعداد المماليك،[1] وازداد عندهم الشعور بأهميتهم الحربية لدى الأيوبيين فتصاعد نفوذهم السياسي.[2]

فقام الملك الصالح نجم الدين أيوب بجلب قدر عدد ممكن من هؤلاء المماليك، الذي أتى بهم من بلاد الخزر والقوقاز وسواحل البحر الأسود،[3] فقد استكثر الملك الصالح من مماليك الترك،[4] وذلك لحاجته إلى بناء جيش قوي يسانده.[5] وقد رعى الصالح للمماليك ثباتهم معه عندما سجن معهم، فأكثر منهم وجعلهم سنده وأسكنهم معه في قلعة الروضة بالنيل لذلك أطلق عليهم المماليك البحرية.[6]

استدعى الخوارزميين الفارين من وجه جينكيز خان فاستولى بمساعدتهم على بيت المقدس (641هـ-1244م)، وعلى دمشق (643هـ -1245م)، وعسقلان (645-1248م).[7]

حدوث اضطرابات عنيفة أواخر حكم الملك الصالح أيوب ، الذي كان منهمكا في إخماد الفتن وقعت في بلاد الشام،[8]

أغارت حملة صليبية على مصر، الحملة السابعة في ربيع الأول (647هـ/1246م) بقيادة ملك فرنسا لويس التاسع،[9] لتخلص من مصر والتفرع لبلاد الشام.[10]

---

[1]- سعيد عبد الفتاح عاشور، **مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك**، المرجع السابق، ص165.

[2]- سعيد عبد الفتاح عاشور، **الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد في العصور الوسطى**، مكتبة الأنجلو مصرية، ط4، القاهرة، 1996 ، ج2، ص850.

[3]- محمد العروسي المطوي، **الحروب الصليبية**، المرجع السابق، ص20.

[4]- ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ج5، ص443.

[5]- مفيد الزيدي، **موسوعة التاريخ الإسلامي العصر المملوكي**، دار أسامة، عمان، 2003، ص20.

[6]- المقريزي تقى الدين، **الخطط المقريزية**، تح: محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة ، ج3، ص122.

[7]- الجبرتي عبد الرحمن، **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، دار الجيل، بيروت، ج1، ص28.

[8]- السيد الباز العريني، **المماليك**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص39.

[9]- عبد الحكيم العفيفي، **موسوعة مائة حدث إسلامي** ، دار أوراق شرقية، ط2، بيروت، 1997، ص252.

[10]- أحمد مختار العبادي، **قيام دولة المماليك**، المرجع السابق، ص94.

اعتمد الصالح أيوب على المماليك في صراعه مع لويس التاسع وحملته فلما نجح الصليبيون في النزول إلى البر وسقطت دمياط في أيديهم سنة 647هـ /1249م،[1] ولما علم السلطان أن الفزنج ملكوا دمياط لحل عن حمص وسار سرعا إلى الديار المصرية فمرض في الطريق،[2] وعندما وصل المنصورة توفي هناك يوم الأحد 14 شعبان 647هـ / / 23 نوفمبر 1249م،[3] ودفن بالجزيرة في القاهرة.[4]

وبسقوط دمياط على يد الفرنج والقيام بتحصينها خشية شجرة الدر زوجة.[5] صالح نجم الدين بإعلان وفاته ،حتى لا تضطرب أوضاع المسلمين أمام الفرنج ويحطمونهم ، فصارت هذه الأخيرة تدبر لأمور الدولة وذلك باعتمادها على كبار المماليك، وهو عز الدين أيبك وفي نفس الوقت طلبت من ابنه المدعو تورانشاه بالحضور لأنه كان يقيم بحصن كيفا المشرفة على دجلة بين أمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر.[6]

استدعت ابنه لتولي مصر ،أثناء وصوله إلى القاهرة وجد انتصار الأيوبيين أو بالأحرى المماليك على الفرنجة ، وأسرا ملك فرنسا لويس التاسع في هذه الحملة السابعة.[7]

السابعة.[7]

فقوت شوكة المماليك وذلك بإحساسهم أنهم أصحاب الفضل في إنقاد مصر من خطر الصليبيين ،فهذا الإنتصار جعلهم يشعرون بأهميتهم في وقت كانت فيه الدولة الأيوبية في مصر تمر بضعف شديد ،وصارت لها مكانة ويد لتولي أمور الدولة.[1]

---

[1]- ابن بطوطة محمد بن عبد الله، المصدر السابق،ط2،ج1، ص51.

[2]- ابن العبري، **تاريخ مختصر الدول**،تح:انطون صالح اليسوعى ،ط3 ،دار الرائد اللبناني، بيروت، 1983،ج1، ص452.

[3]- الجبرتي عبد الرحمن، **المصدر السابق**، ج1، ص452.

[4]- أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، تح: محمد ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص286.

[5]- **شجرة الدر**: بنت عبد الله أم خليل تركية الأصل وقيل أنها أرمنية، اشتراها السلطان الصالح نجم الدين ثم تزوجها بعد أن قربها إليه، المقريزي تقى الدين، **الخطط القريزية**، المصدر السابق، ج1،ص459.

[6]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص570.

[7]- كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية الإمبراطورية وانحلالها**، تر:نبيه أمين فارس، دار العلم للملايين، ط3،بيروت، 1961، ص241.

لما تولى تورنشاه حكم مصر كان يتجاهل شؤون الحكم والسياسة وسوء التدبير، كما أنه أساء المعاملة للأمراء وأنكر الجميل لشجرة الدر، ولأنه عاش بعيد كان يستنكر ويكره مماليك أبيه فعرف بسوء الأخلاق هذا من جهة،[2] وبعدما حققه المماليك من انتصارات على الحملة الصليبية بدأ تورنشاه بالإحساس بالخطر من قبل هؤلاء البحرية، فخشي عن منصبه وأراد التخلص منهم بأي وسيلة حتى ينفرد بالحكم ولم يتزعزع من منصبه.[3]

كما هدد زوجة أبيه شجرة الدر لكونها دعمت المماليك، فقامت هذه الأخيرة بمكاتبة مماليك زوجها وأخبرتهم بذلك، وقامت بطلب من المماليك قتله فقتل على يد المماليك البحرية وقيل أنه أحرق بالنار.[4]

وأصبح للمماليك نفوذ واسع ،حيث كانت تستشيرهم شجرة الدر في أمور الدولة كلها وبعد مقتل تورانشاه وقع خيارهم عليها فملكوها الحكم وخطب لها على المنابر، ونقس اسمها على الدنانير والدراهم.[5]

مكثت بالحكم حوالي ثلاثة أشهر، ويرجع مكوتها لفترة قصيرة أنه ثار عليها الأهالي وواجهة معارضة شديدة داخلية وخارجية،[6] وكان ذلك سنة (648هـ-1250م)،[7] وتعد أول من ملك مصر من ملوك الترك المماليك.[8]

---

[1]- المقريزي تقى الدين،**الخطط المقريزية** ،المصدر السابق،ج3، ص121.

[2]- سعيد عبد الفتاح عاشور، **الحركة الصليبية** ، المرجع السابق ، ج2، ص851.

[3]- أحمد حطيط، **قضايا من تاريخ المماليك السياسي والحضاري**، دار الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، 2003، ص17.

[4]- شوكت رمضان حجة، المرجع السابق، ص40.

[5]- نفسه، ص40.

[6]- المقريزي تقى الدين ،**السلوك لمعرفة دول الملوك**،المصدر السابق ، ج1، ص328.

[7]- الجبرتي عبد الرحمن، المصدر السابق،ج1 ،ص256.

[8]- المقريزي تقى الدين، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، المصدر السابق،ج1 ،ص459.

ولكثرة الثوران عليها خاصة من قبل الخليفة العباسي المعتصم بالله، أجمع أعيان المماليك بان يزوجوها من الأمير عز الدين أيبك ،وتنازلت له بالسلطة بعد أن حكمت فترة قصيرة.[1]

وحتى لا يعارض الأيوبيين على هذا الأمر قام المماليك بمبايعة طفل صغير من البيت الأيوبي وهو الأشرف موسى بن الملك الناصر يوسف(648هـ/1250م)، وأصبح أيبك حاميا له وشريكا معه في الحكم ،وبدخول المغول وهجومهم على العالم الإسلامي استغل أيبك الحكم وأزاح الصبي (650هـ/1252م).[2]

وهنا يمكن القول بأن آخر حكام الأيوبيين كان تورانشاه، وبعد مقتله حكمت شجرة الدر والتي تعتبر أول تمهيد لبداية قيام دولة سلاطين المماليك.[3]

وفي هذه الظروف طمع أمراء الشام في أخذ مصر، وخرجوا لمقاتلة المماليك فدارت معركة قرب العباسية (648هـ/1251م) انهزم الأيوبيين فيها وعادوا إلى الشام، وانتهى الصراع بصلح العباسة(651هـ/1253م).[4]

وهنا ظهر الخطر المغولي في الشرق أدى بالمماليك إلى اجتماع على الأشراف، وا ٕقامة عز الدين أيبك على مصر لكن الأمور لم تستقر له فسرعان ما واجه مشكلة ازدياد نفوذ المماليك وعلى رأسهم فارس الدين اقطاي فقتله، عندها خشي المماليك على أنفسهم فروا إلى الشام كان من بينهم ركن الدين بيبرس وقلاوون قلصدين الملك الناصر.[5]

---

[1]- الدوادار ركن الدين بيبرس، **مختار الأخبار في تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية**، تح: عبد الحميد صالح حمدان الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1993، ص9.

[2]- اليونيني قطب الدين، **ذيل مرأة الزمان** ، دار الكتاب الإسلامي، ط2، القاهرة، 1992 ، ج1، ص55.

[3]- أبى الفداء إسماعيل بن على، **التبر المسبوك في تاريخ الملوك**، تح: محب الدين أبي سعيد العمري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1997، ص41.

[4]- الذهبي محمد بن احمد بن عثمان، **العبر في خبر من غبر**، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بيسوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985، ج3، ص28.

[5]- المقريزي تقى الدين،**السلوك لمعرفة دول الملوك**، المصدر السابق، ج1، ص479.

ومن جهة أخرى أصبح لا يتحمل تحكم شجرة الدر في كل شيء فأراد التخلص منها فشعرت بذلك فسبقته وقتله(655هـ/1257م)، ولكن مماليك المعز انتقموا منها وقتلوها في نفس السنة،[1] وقد أدى مقتل شجرة الدر والأيبك فراغ في السلطة المملوكية وصراع جاد بين الأمراء على الحكم،[2]

فاجتمع المماليك على اختيار علي بن أيبك سلطانا، وتلقب بالمنصور (655هـ /1257م) لكنه كان صغير لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره، لدلك عين له الأمير سيف الدين قطز اتابكا له، لكن المنصور يقض وقته في اللهو، في هذه الفترة استولى المغول على بغداد سنة (656هـ/1258م) وقاموا بقتل الخليفة المستعصم بالله.[3]

ثم توجه لتهديد الشام، هنا عقد قطز مجلسا من الفقهاء والأعيان للتشاور في الأمر و أن يستبعد الناصر لعدم اهتمامه بمنصبه، وأنه لابد من وجود سلطان قاهر يجابه العدو والمنصور مازال صغير لا يستطيع أن يتدبر الحكم لوحده،[4]

ولذا عزل المنصور بعد اتفاق الأعيان والفقهاء وكان ذلك (657هـ/1259م)، وبهذا أخذ قطز زمام الأمور وتقلد الحكم أو السلطة في 2 ذي القعدة (657هـ/1259م).[5]

وهنا قامت دولة المماليك بمصر والتي بدأت منذ (648-923هـ /1250-1517م) والتي انقسمت إلى قسمين رئيسيين الأولى دولة المماليك البحرية.[6]

التي استقدمهم الصالح نجم الدين أيوب وأسكنهم قلعة بجزيرة الروضة لذلك سمو البحرية حكموا فترة التي تمتد من (648هـ/784هـ/120-1322م)،[7]

---

[1]- الجبرتي عبد الرحمن، المصدر السابق، 28.

[2]- ابن دقماق صارم الدين ، المصدر السابق، ص264.

[3]- الدوداداري بيبرس المنصوري،**مختار الاخبارفى تاريخ الايوبية ودوله المماليك البحرية**، المصدر السابق، ص10.

[4]- المقريزي تقي الدين، **السلوك**، المصدر السابق،ج1، ص508.

[5]- أبي الفداء إسماعيل بن على، المصدر السابق، ص4.

[6]- فيليب حقي وآخرون، **تاريخ العرب** ، دار الكشاف ،ط4، ج2،دب،دس، ص 794.

[7]- نفسه،ط4،ج2،794.

أقاموا دولتهم بعد مقتل تورنشاه، واختيار شجرة الدر التي يعود أصلها قريب من المماليك أكثر منها من الأيوبيين و اعتبروها أول سلاطين المماليك البحرية في مصر بحكم أصلها.[1]

والقسم الثاني دولة المماليك الجراكسة أو المماليك البحرية، التي تعد امتداد للأولى أي تعتبر امتدادا لدولة المماليك البحرية.[2]

- والبرجية هم الذين سكنوا الأبراج والقلعة بجبل المقطم، ولذلك سمو بالبرجية فترجع نشأتهم إلى المماليك الجراكسة الذين كونهم السلطان المنصور قلاوون.[3]

حكموا فترة ما بين (784-923هـ/1382-1517م) أي إلى غاية سقوطهم وقيام الدولة العثمانية،[4] وأول من تسلطن منهم الملك الظاهر برقوق كان ذلك سنة (784هـ /1382م).[5]

انتهز فرصة الصراع التي حدثت بين الأمرين منطاش وبليغا حول السيطرة على الحكم في عهد حاجي بن الأشرف شعبان (792-791هـ/1389-1390م) الذي يعتبر آخر سلاطين البيت القلاووني.[6]

فخلع السلطان الحامي (784هـ-1382م) وأخذ السلطة بنفسه ،ومن هنا تنتهي دولة المماليك البحرية وتقوم مكانها دولة المماليك الجركسية،[7]

[1]- سعيد عبد الفتاح عاشور، **الحركة الصليبية**، المرجع السابق، ص 852.

[2]- فيليب حتى وآخرون، المرجع السابق، ص75.

[3]- محمد عبد المنعم الجمل، المرجع السابق، ص 288.

[4]- فيليب حقي وآخرون، المرجع السابق، ج2،795

[5]- محمد عبد المنعم الجمل، المرجع السابق، ص 292.

[6]- الجبرتي عبد الرحمن، **عجائب الآثار**، المصدر السابق، ص 64.

[7]- نفسه، ص65.

والفرق بين الطرفين المماليك الثانى كانوا من أصول جركسية على عكس المماليك الأولى والفرق الثاني أنهم لم يعتمدوا الحكم الوارثي الجراكسة على ما فعله مماليك البحرية.[1]

أما القيام الفعلي للمماليك الأولى البحرية كان بعد انتصارهم في معركة عين جالوت والتي تقع ببلدية لطيفة بين بيسان ونابلس بفلسطين. [2]

[1]- سعيد عبد الفتاح عاشور، **مصر الشام**، المرجع السابق، ص247.

[2]- ياقوت الحموي، المصدر السابق ، ج3، ص389.

الفصل الثاني: البدايات الأولى لاحتكاك المغول بسلاطين المماليك.

أولا: الهجرات المغولية نحو مصر والعوامل المساعدة لوفودهم.

ثانيا: معركة عين جالوت ونتائجها التأثيرية.

ثالثا: اعتناق المغول الإسلام.

أولا:الهجرات المغولية نحو مصر و أهم العوامل المساعدة لوفودهم.

شهد القرن السابع الهجرة الثالث عشر ميلادي وفد العديد من المماليك من عنصر المغول القبجاق، أو الفرس، أو الأويرانية، مع غيرها من العناصر الأخرى إلى مصر أواخر العصر الأيوبي وخلال العصر المملوكي خاصة أثناء فترة دولة المماليك البحرية، وقد جاءت هذه العناصر المغولية عن طريقتين: الأولى كانت في شكل مماليك رقيق، بطريقة الشراء و البيع أطلق عليهم اسم الجلبان أو الأجلاب[1].

منذ العصر الأيوبي، وذلك عندما أقبل أبناء الملوك من الأيوبيين على إقتناء أعداد كثيرة من هؤلاء المغول الرقيق، لإنشاء الجيوش اللأزمة في حروبهم الداخلية أثناء الصراع الأسري بين أبناء البيت الأيوبيو لاسيما الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل الذي أكثر من شراء المماليك ومنهم من أصول مغولية خاصة من مغول القبجاق، بعد أن تبين له فساد الخوارزمية، وعند قيام دولة المماليك البحرية سار سلاطين المماليك على نفس النهج في شراء مماليك جدد، وتربيتهم طبقا لنظم عسكرية محكمة أي بنفس الطريقة التي تربو ا بها حين كانوا مماليك[2].

أما الطريقة الثانية التي أتوا بها إلى مصر في شكل لاجئين أو منفيين، بأعداد كبيرة هاجروا إلى دولة سلاطين المماليك ليجدوا فيها مستقرا ومقاما نتيجة للصراعات بين دول المغول الدائمة، التي إختلفت فيما بينها بعد وفاة جنكيز خان[3].

---

[1] - إبن شاهين الظاهري،**كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، تص: بول راويس، دار العرب للبستاني للنشر، باريس، 1989، ص116.

[2] - السيد الباز العرينى، المماليك، المرجع السابق، ص 54.

[3] - بن الفرات ناصر الدين محمد، **تاريخ إبن الفرات**، تر: قسطنطين رزيق، منشورات كلية العلوم والأدب، بيروت، 1938، مج 8، ص ص 3-4.

أو بين القبائل فيما بينها أو حتى بين ايلخانات[1]. أوقانات المغول في فارس بعضهم البعض، وبصفة خاصة ما حدث من تطوراتو اضطرابات داخلية في دولة مغول فارس بعد اعتناق محمود غازان إيلخان مغول فارس الإسلام، كان ذلك عام(694هـ/1295م) بعد أن غدا وأصبح بقائهم في أوطانهم أمرا مستحيلا لعدة أسباب حياتية ،منها أسباب سياسية و أخرى اقتصادية[2].

وتتمثل هذه الأسباب السياسية والعسكرية عندما قسم جنكيزخان (603-624هـ/1206-1227م) الخان[3]. أو القان الأعظم للمغول قبل وفاته قسم الإمبراطورية المترامية الأطراف بين أبناءه الأربعة، جوجي وجغتاي وتولوى وأوكتاي قآن، وكان من نصيب جوجي أكبر أبناء جنكيز خان البلاد الواقعة بين نهر أرتش أو أريتش، والسواحل الجنوبية لبحر قزوين وبالتحديد مناطق السهوب الممتد من أراضي الفوجا الوسطى والعليا ومنطقة شمال شرقي البحر الأسود حيث أقيمت دولة هناك عرفت باسم مغول القبجاق أو القبجق أو القفجاق، ويطلق عليها تسمية القبائل المغولية الذهبية، نسبة إلى خيم معسكر القادات اللون الذهبي وكان غالبا أهلها من الأتراكو التركمان.[4]

بدأ الامتزاج المغول التركي في هذه البلاد أصبحت هذه العناصر فيما بعد تكون جيش قوي داخل الجيش المملوكي، وكان من بين هؤلاء أيضا منهم سلاطين مماليك البحرية، ولم يلبث الإسلام أن أنتشر بين هؤلاء الفرع من مغول القبائل الذهبية ثم تلتهم

---

[1]- **إيلخانات:** أو قانات ويقصد بها الدولة ومنها الدولة الإيلخانية نشأت تحت حكم سلالة مغولية حكمت في بلاد فارس(إيران) العراق، أجزاء من الشام،شرق الأناضول والقوقاز. محسن الأمين العاملي، **موسوعة أعيان الشيعة**،دائرة المعارف الكبرى، دمشق، 1983، مج3، ص176 .

[2]- بن الفرات ناصر الدين محمد،المصدر السابق، ص4.

[3]- **الخان:** لفظ لقب به المغول أطلقه المغول على الرئيس الأعلى لدولتهم ومعناه رئيس الرؤساء أو أعظم الحكماء ولقب خان فكانوا يطلقونه على رؤسائهم الذين يتولون جزء من الإمبراطورية المغولية ومما هو جدير بالذكر أن الفرق بين خان وخاقان يشبه الفرق بين كلمتي سلطان وملك هذا اللقب الذي عرفه المغول بعد إسلامهم. حافظ أحمد حمدي، **الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي**، المرجع السابق، ص 130.

[4]- إبن شاهين الظاهري،المصدر السابق،ص118.

بعض القبائل الأخرى، لكن المصادر لم توضح لنا أسباب اعتناقهم الإسلام، إلا أن إحدى المؤرخين المحدثات في دراسة لها عن تاريخ الترك في العصور الوسطى تذكر أن اعتناق مغول الإسلام نتيجة لتأثرهم بالمدينة الإسلامية ،و إعتنق زعيم هذه القبائل بركة خان الإسلام قبل إعتلائه العرش فكان أول حاكم مغولي مسلم، إضافة لذلك حتى يستطيعوا العيش مع المسلمين عندما هاجرو ويتقبلوهم في وسطهم[1].

إلا أن البعض الآخر من المؤرخين الغربيين من بينهم المؤرخ الفرنسي رامبوله رأي آخر حيث يذكر أن إنتصار المماليك على المغول في معركة عين جالوت دفعت بهم أي المغول بغربي آسيا إعتناق الإسلام، وذلك بتحول بركه خان القبيلة الذهبية وقومه إلى الإسلام،و أعلن عداءه للإخانات في إيران، حتى يحافظوا على إستقرارهم في مصر أثناء هجرتهم إليها[2].

وبإسلام بركة خان ترتب عليه إزدياد أواصل الصداقة والتقارب بين المغول و السلاطين المماليك بمصر، والقوى الإسلامية عامةو ازديادالعداو ة والصراع بين المغول القبجاق وبقية الطوائف المغولية الوثنية وزعمائهمو على رأسهم هولاكو،[3] إيلخان مغول فارس الذي ظل على دين التتار ولم يهاجر إلى مصر[4].

و استياء هولاكو من تدخل بركة خان في شؤون الملك، و التقرب إلى سلاطين المماليك، ولذلك كان هذا الأخير يكن في قلبه حقدا شديدا لأبن عمه بركة خان وحتى بركة يبادله نفس الشعور، لكونه هدم المدن الإسلامية وقضى على أسر ملوك الإسلام

---

[1]- صلاح الدين محمد نور، المرجع السابق، ص13.

[2]- السيد الباز العريني، **المماليك**، المرجع السابق، ص49.

[3]-**هولاكو: (**1265-1271) حاكم منغولي ابن تولوى حفيد جنكيز خان وهو مؤسس سلالة الخانات بفارس قام بالقضاء على الخلافة العباسية وبعدها وجه حملته نحو مصر والشام وانهزم في معركة عين جالوت الشهيرة. عباس إقبال، **تاريخ المغول**، تر: عبد الوهاب علوب: المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2000، ص17.

[4]- سعيد عاشور،**مصر و الشام**، المرجع السابق، ص333.

ولم يميز بين الصديق والعدو و أعدم الخليفة العباس المستعصم دون مشورة كبار الأسرة،و جرت بينهم حرب طاحنة سنة (660هـ/1261-1262م)، إضافة إلى ذلك قيام منكو أومونكو،[1] (649-656هـ)(1251-1258م) قاأن المغول الأعظم بجعل بلاد القوقاز وما جاورها و هي في الأصل تابعة لقبائل المغول الذهبية من نصيب هولاكو، هذا ما زاده في العداوة بين الطرفان وسكان بلاد القوقاز رفضوا حكم هولاكو لهم بعد إسلام الكثير من الوثنيين بها فقاموا بالهجرة مع المغول الرافضين[2].

إضافة إلى ذلك مطالبة بركة خان بنصيبه مما فتحه هولاكو إيلخان مغول فارس من البلادو أخذه من الأمول، و ذلك طبقا لما جرت عليه عادة إيلخانات المغول،إلا أن هولاكو قتل رسول بركة فأشتد غضب بركة خان وكتب لسلطان بيبرس سفاره ليعبر له عن موافقته لمغول فارس لبلاد الشام ومصر، وكان من نتاج هذا التنافس بين دولتي المغول حدوث تقرب بين المماليك في مصر و الشام ومغول القفجاق المسلمين، أن السلطان بيبرس لم يكن يعلم بإسلام بركة خان حتى كتب إليه يغريه بقتال هولاكو[3].

ويرغبه في ذلك كما قام العديد من المغول هؤلاء القبجاق الذين أسلموا وكنو ا عدائهم لأبناء عمومتهم ببلاد فارس، بأن ينزحوا أي قرروا النزوح نحو مصر متامنين بسلاطين المماليك، أي أنهم بسبب وفودهم إلى مصر طالبين الأمن فأستقدموا معهم نسائهم و

---

[1]- **مونكو:**1208-1259كان رابع خانات الإمبراطورية المنغولية وهو إبن الإمبراطور تولوى بن الإمبراطور جنكيز خان أي أنه حفيد يتموجين وشقيق الأمبراطور هولاكو خان وقوبلاي خان لما تولى العرش كان في 43 من عمره. عباس إقبال، المرجع السابق، ص 37.

[2]- الهمداني رشيد الدين،**جامع التواريخ (** تايخ المغول)، تر: محمد صادق نشأت وآخرون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1960، مج2، ص 332.

[3]- نفسه، ج2، ص337.

أولادهم وبناتهم وبنينهم، ورحب بهم الظاهر بيبسرس وأكرم وفدهم[1] وكان بعض هؤلاء المغول خاضعين لهولاكو ونتيجة قهره لهم هربوا منه[2].

أما بالنسبة للسبب الثاني لهجرتهم كان بدافع اقتصادي، فالدوافع الاقتصادية هي التي أدت بالعناصر المغولية للنزوح نحو مصر،والتي توضع في المقدمة من حيث التأثير الفقر الشديد الذي تتميز به بيئتهم، هذه المناطق ما عدا تجارة الرقيق التي كانت تصدر إلى مصر سنويا آلاف من هؤلاء الرقيق ويرجع ذلك بالشكل الرئيسي إلى قسوة المناخ وشدته.[3]

لكون مناخهم يتميز بالبرودة الشديدة والجفاف في هذه المناطق،وكانوا في جهد من قشف العيش لأنهم ليسوا أهل الحاضرة،وشدة البرودة تهلك مواشيهم و لا يعرفون في المأكل ما يعاف مما لا يعاف و لا التحريم من التحليل ،حيث أنهم تعرضوا المجاعات عديدة مما جعلوا يضطرون لبيع أبنائهم لضيق العيش،و لا شك أن مثل هذه الأحوال الاقتصادية المتردية أدت إلى إجبار أعداد كبيرة من المغول على النزوح من أراضيهم، وا إلى التفريق في بلاد الإسلامية وعلى رأسهم مصر[4].

بعد أن غدا أمر بقائهم شبه مستحيل بعدما سمعوا عن رخاء مصر الاقتصادي، ومدىما يتمتع به المماليك من ثراء ونفوذ بجانب الاستقرار السياسي الداخلي، الذي كان يتمتع به مصر في عصر السلاطين المماليك الأوائل،وكانت هذه العوامل بالنسبة لمصر المملوكية عوامل جذب وتشجيع لهؤلاء المغول على الهجرة إليها في شكل جماعات أو أفراد وليجدوا فيها المأوى و البديل لأوطانهم[5].

---

[1]- ابن عبد الظاهر محي الدين، **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، تح: عبد العزيز الخويطر، الرياض، 1976، ص 88.

[2]- نفسه، ص178.

[3]- القلقشندي أبو العباس، المصدر السابق، ج4، ص 458.

[4]- نفسه، ج4، ص 459.

[5]- بن تغري بردي أبو المحاسن، المصدر السابق، ج7، ص3.

أما بالنسبة للعوامل الخاصة بمماليك مصر التي تمثل عوامل جذب واستمالة لهذه العناصر المغولية، التي شجعها على الهجرة إلى مصر و اتخاذها ملجأ أمينا يعولون على ارتيادهو الإقامة به كبديل لديارهم[1].

إن سلاطين المماليك و على رأسهم بيبرس الأول يوصفهم عنصر دخيل على رعاياهم في مصر و الشام، لان هؤلاء حرصوا أشد الحرص على الروابط التي كانت تربطهم بأصولهم العرقية من ناحية وبعضهم من ناحية أخرى، ووجدوا في هذه الروابط ما كانوا يأملونه من أمان وراحة نفسية،و هذا له علاقة كبيرة بالعوامل النفسية ،كما أصبحوا فيما بعد أيضا يكونوانا جزء من سلاطين المماليك، كالسلطان عز الدين أبيك مثلا كان تركي قبجاقي الأصل و سبق الدين قطر أيضا كان مغولي برغم دعواه بأنه ابن أخت خوارزم شاه.[2]وبيبرس نفسه ولد في أرض القبحاق(625هـ-1227م) و نقل إلى القاهرة وهو صغره السن[3].

و من الطبيعي أن يعتمد سلاطين المماليك المواسسون لدولتهم على بني جنسهم من مغول القبجاق، و لما كان هؤلاء المماليك يكونون عنصر دخيلا مختلفا عن بقية سكان البلاد التي حكموها، وكونوا طبقة أرستقراطية حاكمة[4].

و يضاف إلى ذلك معركة سلاطين المماليك قد زود هذه العناصر من المغول من الناحية العسكرية ور اعتهم بأساليب القتال والفروسية، و لم ينسى هؤلاء المماليك الدور الكبير الذي قامت به الفرق التي أرسلها بركة خان القبائل الذهبية، قبيل معركة عين جالوت أثناء صراعه مع بني عمومته، مما سهل انتصار المماليك في تلك المعركة حيث

---

[1]- القلقشندي أبو العباس: المصدر السابق، ج4، ص 458.

[2]- ابن شاهين الظاهر غرس الدين، المصدر السابق، ص117.

[3]- أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردى، المصدر السابق، ج7، ص 72.

[4]- ابن بطوطة محمد بن عبد الله، المصدر السابق ،ط2،ج1،ص65.

لعبوا دورا هاما في إحراز النصر، وبرزت القوة العسكرية لسلطنة المماليك طيلة العصر المملوكي في مصر و الشام[1].

أما بالنسبة للعوامل الاجتماعيةوالنفسية و الدينية أيضا التي تمثل القاسم المشترك بين مماليك مصر ومغول القبجاق، فالتركيبة الاجتماعية لكليهما متشابهتين إلى حد كبير كلاهما من سكان سهوب أواسط آسيا، وكلاهما على النيل كما تتكون الطبقة الحاكمة في كل منهما من أفراد يتمتعون بالخصائص التركية، ويحكمون شعبا ذو طبيعة مختلفة تماما.[2]

لقد أدت العلاقاتالسياسية الطبيعية بين المغول و المماليك بتتويج نوع من التعاون السياسي الذي دعمه الحلف،وبين سلاطين المماليك و الإمبراطور البيزنطي إلى تسهيل مهمة شراء المماليك القبجاق، وذلك بإبرامهم المعاهدات التجارية بينهما والتي وافق عليها الإمبراطور البيزنطي وسمح بمرور بعض السفن المملوكية تحمل الرقيق المغولي وغيرها، عبر البوسفور والبحر الأسود في كل عام، كما ألغى السلطان المملوكي بيبرس الرسوم المفروضة على التجار المغول سواء القبجاق أو فارس وكرمان حتى يشجع التجارة أكثر، وجلب أكبر عدد من المغول لضمهم في صفوفهم العسكرية، وقد سار على هذا النهج كل من السلطان المنصور سيف الدين قلاوون و الذي جاؤوا من بعده في إستجلاب المماليك من بلاد التتار،وكان معظمهم من الأرمن و الجراسكة الذي جعلهم في أبراج القلعة وسماهم البرجية[3].

وكان الصراع القائم في خانات المغول شجع إلى سبي الكثير من النساءو الصبيان المغول الذين جلبوا في سوق النخاسة في مصر والشامو لاسيما عصر السلطان محمد بن

[1]- ابن بطوطة محمد بن عبد الله، المصدر السابق ،ط2،،ج1، ص65.

[2]- عباس إقبال، المرجع السابق، ص 65 .

[3]- صلاح الدين محمد نور، المرجع السابق، ص 29.

قلاوون وبالإضافة ازدادت أيضا هجرات أقوام وطوائف و أجناس التي غدت خاضعة لتتار،و هؤلاء التحقوا بالجيش المملوكي وفي مراتب أعلى مما كانت فيه[1].

وإن كانت تقل مقاما عن المماليك السلطانية الذين اشتروا بالمال وقضوا مدة الرق في التعليم الديني والعسكري، ثم اكتفواو أصبحوا جنودا مؤهلين وأسلموا، ويلاحظ هجرات المغولية إلى مصر كانت أثناء حكم اثنين من السلاطين، بيبرس المؤسس الحقيقي لدولة المماليك البحرية و الثاني زين الدين كتبغابن عبد الله المنصور (694-696هـ/1294-1296م)و هو مغولي الأصل[2].

أما قدوم الوافدين بين المغول القبجاق إلى مصر فبدايتهم من أوائل عهد السلطان بيبرس الأول، و الهاربين من وجه هولاكو أيلخان فارس، وأول مجموعة وصلت (660هـ/1261م)، وكان عددها يزيد عن مائتي فارس بخلاف نسائهم و أطفالهم[3].

أما هؤلاء الفرسان الذين أرسلهم خان بركة أمرهم بدخول بلاد الإسلام ويكنون الطاعة للسلطان الظاهر بيبرس، وخرج بيبرس لإستقبالهم بنفسهوأمر بإنزالهم في أدرو مساكن بنيت خصيصا لهم في منطقة اللوق[4]

بظاهر القاهرة فتكاثروا بديار مصر وتزايدت العمائر باللوق وما حولها، وفي سنة (661هـ/1261م)وفدت مجموعة أخرى من المغول إليها من مغول فارس تزيد عن ألف وثلاثمائة فارس، فكتب لهم السلطان بيبرس بالإحسان إليهم ثم قدمت طائفتان أخريات من التتار والأتراك و البغاددة في السنة التالية (662هـ-1263م)[5].

1- السيد الباز العريني، **المماليك**، المرجع السابق، ص 56.

2- نفسه، ص 57.

3- نفسه، ص57.

4- **اللوق:**كانت تعرف قديما باسم باب اللوق وأطلقت على الأراضي التي انحصر عنها النيل و كانت أرضا لينة بها بساتين ومزروعات سكنها المغول عند استقدامهم إلى مصر: المقريزي تقى الدين، **الخطط المقريزية**، المصدر السابق، ج2، ص 117.

5- نفسه، ج2، ص 117.

هنا بدأ قلق وتخوف السلطان المملوكي بقدوم هؤلاء،و اعتبرها سياسة مرسومة من قبل مغول فارس الوثنية إلا أنه إستقبلهم ووضعهم في اللوق لكنه كان شديد الحذر منهم، و هنا تزايدت العمائر في اللوق و ما حولها التي أصبحت بمثابة مستوطن لهم، إضافة إلى ذلك أسكنهم القلعة ذلك لكثرة وفودهم إلا أن هؤلاء كان غير مسموح لهم في البداية الاختلاط بطبقات الشعب المصري الأخرى، بحيث كونت هذه العناصر بما يمكن أن يسمى في المجتمع المصري المملوكي بجيتو GHITTO أي أقليات أو بالأحرى جاليات[1].

فاحتفظوا بعاداتهم وتقاليدهم ونظمهم العسكرية و لغاتهم و قوانينهم التي أتوا بها من موطنهم رغم اعتناق الكثير منهم الإسلام، وباعتبار أن العديد منهم كانوا من الفرسان وظل هؤلاء يمثلون طبقة أرستقراطية عسكرية حاكمة،و أصبحوا مدافعين على البلاد من الأخطار الخارجية، ويلاحظ أنه رغم فضل سلاطين المماليك هؤلاء من التقرب والفصل بين هذه العناصر وطبقات الشعب المحكومة إلا أن ذلك لم يمنع من تأثر المجتمع المصري المملوكي بالعادات والتقاليد التي حملها هؤلاء، بل وتأثر المجتمع المملوكي بانظم العسكرية والسياسية و القوانين التي حملوها أثناء نزوحهم إلى مصر[2].

و أجلبهم إلى مصر في شكل رقيق من بلاد القرم، كما انزل هؤلاء التتار إلى اليافا بعد إستعادتها من أيدي الصليبيين كان ذلك سنة (666هـ/1267م)، على أن الهجرة المغولية الوافدة المستأمنة شهدت تراجعا كبيرا بعد انتهاء حكم بيبرس حتى إعتلاء زين الدين كتبغا عرش السلطنة عام(694هـ/1294م)[3].

---

[1]- السيد الباز العريني، **المغول**، المرجع السابق، ص68.

[2]- صلاح الدين محمد نور، المرجع السابق، ص 35.

[3]- المقريزي تقى الدين، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، المصدر السابق، ج1، ص 712.

شهدت مصر وفود تسعة عشر فارسا مع نسائهم و أولادهم زمن السلطان المملوكي المنصور قلاوون،و حوالي ثلاثمائة فارس عام (691هـ-1291م) عهد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون[1].

أما المغول الذين نزحوا عهد زين الدين أطلق عليهم إسم الأويراتية أو العويراتية وكان طبيعيا أن يرحب كتبغا بهؤلاء الأويراتية و أن يعمل على إدخالهم الجيش المملوكي.[2]

لأنهم من نفس جنسه وكانت الأسباب التي أدت إلى نزوح هؤلاء الأويرانية إلى مصر و الشام تكمن في الخلافات السياسية، و الصراعات الداخلية بين المغول فارس لاسيما بعد اعتناق محمود غازان خان مغول فارس لإسلام، فخافوا أن يبطش بهم غازان لكونهم بوديين فهربوا خارج فارس ورحب بهم كتبغا، لكن المصرين رفضوا مجيئهم وأبرزوا كراهيتهم لعاداتهم السيئةوا ٍستثارة شعور الأهالي و نقمتهم على السلطان كتبغا.[3]

فأضطر إلى إرسال عدد كبير منهم إلى ساحل الشامى في عتليت والبقاع وفي تاقون ومنطقى المرج من دمشق،و اختلطوا بالسكان المحليين و دخلوا الإسلام و تفرقوا في البلاد .أما كبائرهم و فرسانهم إهتم بهم كاتبغا بما معهم من نسائهم وأولادهم و ماشيتهم رحب بهم و أسكنهم في منطقة خاصة بهم يطلق عليها الحسينية، و أثاروا إهتمام أمراء المماليك بجمالهم وتزوج كثير منهم من نساء أويرات وا ٍشتركوا في الفتن التي نشبت في مصر بين عناصر الجيش المملوكي،و السبب الرئيسي لاستقدام كتبغا للمغول الأويرانية إلى مصر ومبالغته في إكرامهم ومحاباتهم وإ ٍنزال جزء كبير منهم في الساحل الشامي له جانب سياسي و عسكري حتى يكونوا عونا له يستعين بهم على خصومه[4].

---

[1]- إبن كثير اسماعيل بن كثير، **البداية والنهاية** ، مكتبة المعارف، ط6، بيروت، 1985، ج13، ص22.

[2]- إبن سباط حمزة بن احمد بن عمر، **تاريخ ابن سباط**، تر: عمر التدمري، بروس برس، طرابلس، 1993، ج1، ص 506.

[3]- نفسه، ج1، ص 507 .

[4]- إبن كثير اسماعيل بن عمر، المصدر السابق،ط6،ج13،ص23.

وبعد خلع كتبغا قام السلطان الناصر محمد عن استعادة عرشه بطرد الأويرانية من البلاد، بتحريض من المماليك السلطانية بسبب كانوا يقومون بالانقلاب على سلاطين المماليك،وأغدروا بهم باستعادة السلطان الناصر محمد بن قلاوون لعرشه بعد أن قاموا الأويرانية بمؤامرة ضده لإعادة زين الدين كتبغا للعرش، لكنهم فشلوا هنا بدأ يتلاشى دور المغول الأويرانية[1].

وهنا بدأت هجرات أخرى فردية في أوقات متباعدة من جماعات مختلفة ،اقتصرت في بعض الأحيان على حالات الهجرات الفردية مثلما حدث في عام(703هـ/1903م) عندما وفد إلى مصر أحد المقدمين التتار، وهو حاكم أمد ويدعى سيف الدين جنغلي ومعه جريمه وأبنائه وكان يناصح السلطان الناصر محمد بن قلاوون، ويدله على عورات المغول و أصبح السلطان يستشيره في الكثير من الأمور،و هناك درب ضمن دروب القاهرة خارج باب زويلة ينسب إلى هذا الأمير المغولي يعرف بإسم دروب ابن البابا، وفي سنة (704هـ/1304م) وفد من القبيلة الذهبية رسول من قبل أنغاي ابن أخي الملك بركه خان وبصحبته جوارى كثيرة و مماليك[2].

وفي سنة (717هـ/1317م) عبر جماعة من المغول الفرات وقدموا دمشق، ومنها إلى القاهرة عدهم حوالي مائة فارس بأولادهم ونسائهم وعليهم أمير كبير اسمه طاطاي.[3] ولعل من الشخصيات المغولية التي وفدت إلى مصر في عهد الناصر بن قلاوون القائد دمرداش، أوتمرتاس أو تيمورتاش بن جوبان النوين ومعه ثلة من المماليك المغول فرارا من بطش أبي سعيد إيلخان مغول فارس[4].

1- شوكت رمضان ،المرجع السابق،ص382.

2- صلاح الدين محمد نور ،المرجع السابق،ص43.

3- المقريزي تقى الدين،**السلوك لمعرفة دول الملوك**،المصدر السابق،ج2،ص174.

4- الدواداري ركن الدين،**الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر**،تر:هاني روبرت رويمر ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1960، ج1، ص 345.

و أما الشخصيات المغولية التي وفدت إلى مصر قادمة من القفجاق الأمير سيف الدين قوصون الناصري (720هـ/1320م)، وتزوج السلطان قلاوون من أخته وصار قوصون من أكابر أمراء الدولة و أعيان المملكة، وفي السنة التي توفي فيها الناصر محمد (741هـ/1340م) جاءت هجرة كبيرة أخرى من الوافدية المغول إلى مصر، بسبب ما انتشر في الشرق من طاعون وغلاء شديدين، ومن الواضح ما درسنا من مصادر المعاصرة لهذه الفترة أوالقريبة منها لم تشير من قريب و لا من بعيد لوفود عناصر أخرى من المغول سواء في شكل جماعي أو حتى في شكل فردي[1].

[1] - الدواداري ركن الدين، المصدر السابق، ج1، ص 361.

ثانيا: معركة عين جالوت.

فمن التأثيرات الغير المباشرة بين المغول ودولة سلاطين المماليك هو انتصار المماليك على المغول في عين جالوت سنة (658هـ/1260م).[1]

وقبل أن نتكلم عن التأثيرات الحضارية التي خلفتها هذه المعركة بعد الانتصار لبد أن نتطرق ونتحدث عن المعركة أولا،والتعريف بها و بأحداثها ومجرياتها قبل أن نتكلم عن تأثيراتها، كونها بداية أول احتكاك بين الطرفين وقد ذكرت جالوت في القرآن الكريم لقوله تعالى: " فهزمهم بإذن الله وقتل داوود جالوت".[2]

وقد ذكرت جالوت في الضفة اليمنى لنهر جالوت الذي يأخذ مياهه من عيون قرب عين جنوبي بلدة القوله ثم ينساب حتى بيسان.[3]

وعين جالوت في منطقة أو بلدة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين واسمها يرتبط بالقضة التي ذكرت فى القران، وتقول أن داوود عليه السلام قتل فيها جالوت.[4]

وكان الاستعداد لهذه المعركة على عدة مستويات استعد لها المماليك لمواجهة المغول العدو المظفر، فاهتم قطز بتعزيز الجانب النفسي باعتبار المغول جيش لا يهزم، فبدأت تتدهور معنويات الأهلي والجيش وبداية تخوفهم من هذه القوة القادمة إليهم التي قد ظفرت بالمسلمين وأسقطتهم، وهي في طريقها إليهم قام قطز بإرسال منادين داخل القاهرة وكل الأقاليم التي تنتمي إلى مصر لدعوة الناس للجهاد في سبيل الله ،وبهذا استطاع

---

[1]- المقريزي تقى الدين، **السلوك** لمعرفة دول الملوك، المصدر السابق، ج1، ص433. أبو الفداء عماد الدين، **المختصر في أخبار البشر**،المطبعة الحسينية المصرية لنشر، ط1،مصر ،ج3، ص65. ابن الوردي زين الدين، **تتمة المختصر في أخبار البشر**،المصدر السابق، ط1، مج2 ، ص297. السيوطي جلال الدين، المصدر السابق، مج1، ص437.

[2]- سورة البقرة، الآية 251.

[3]- **بيسان:** مدينة بالأردن يطلق عليها اسم لسان الأرض تقع بين حوران وفلسطين قاسم عبده قاسم،عصر سلاطين المماليك ،المرجع السابق، ص265.

[4]- قاسم عبده قاسم، **في تاريخ الأيوبيين والمماليك**، المرجع نفسه، ص123.

الحصول على الولاء من قادة الجيش، ووفقوا على مقاتلة المغول واستقدم إليه قبائل العربان.[1]

فعمل السلطان المملوكي قطز على جمع الجيوش، وأمر ولاته على مدن وأقاليم مصر بإرسال العساكر، ومن يتخلق عن ذلك فسيتعرض إلى عقوبات قاسية،[2]

كما قام باجتماع مع القضاة وعلماء مصر لاستشارتهم فيما يجب أن يتقاضاه من الرعية من أجل تجهيز الجيش، فأمتثل قطز لرأي رجال الذين ولم يشرع جمع الأموال من المصريين إلا بعد أن أحضر كل امرائه ما عندهم من الأموال والحلي ووضعوها بيد الشيخ عز الدين بن عبد السلام.[3]

كان يتمثل الموقف الشعبي للمصريين اتجاه المغول.[4] فأصدر فتوى في أمر هولاكو وجيوشه مقررا وجوب قتالهم والاستعانة بأموال الأغنياء في تجهيز الجيوش.[5]

بعد أن فرغ المظفر قطز من إعداد الجيش وتجهيزه تقدمت طائفة بقيادة بيبرس البندقداري لاستطلاع أخبار المغول ومعرفة مناطق استحكاماتهم، وكانت مقدمة الجيش المغولي قد وصلت إلى مدينة غزة بقيادة بيدار الذي سرعان ما تنبه إلى تحرك الجيوش المصرية، وأرسل إلى كتبغا وهو على بعلبك يستنجده ويكشف له حقيقة الأمر.[6]

---

[1]- سيد علي الحريري، **الحروب الصليبية، أسبابها، حملاتها، نتائجها**، تح: عصام محمد شبارو، دار التضامن، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، 1988، ص263.

[2]- محمد فتحي أمين،**الغزوالمغولى لديار مصر**، دار الأوائل، دمشق، 2005، ص 147.

[3]- **عز الدين بن عبد السلام:** هو العزيز بن عبد السلام ولد عام 578هـ-1182م تفقه على يد الإمام فخر الدين بن عساكر، قرأ الأصول العربية ودرس وأفتى وضاف وبرع في المذهب الشافعي وله التصانيف المفيدة والفتاوة السديدة الذهبي محمد بن احمد، **تاريخ الإسلام وديله** ، تح عمرعبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربى، ط2، 1990 ، ص416.

[4]- سعيد أحمد برجاوي، **الحروب الصليبية فى المشرق**،دار الأفاق العلمية ،بيروت،1984،ص598.

[5]- ابن إياس محمد بن احمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تح : محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1984، ج1، ص301.

[6]- ميرخوند، **روضة الصفاء في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء**، تر: أحمد عبد القادر الشادلي، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، 1988 ، مج4، ص 902.

ثم تقدم كتغا نحو البقاع واستدعى الملك الأشرف موسى صاحب حمص وقاضي القضاة محي الدين بن الزكي وبعض الأمراء والقواد،[1] واستشارهم في أمر المواجهة مع الجيوش الإسلامية فمنهم من أشار عليه بالانتظار حتى قدوم إمدادات هولاكو،[2] وبعضهم أشار بغير ذلك وتفرقت الآراء فاقتضى رأي كتبغا على الملتقى والقتال.[3]

وكان بيبرس البندقداري في هذه الأثناء قد هاجم مقدمة الجيش المغولي في غزة وطاردها حتى نهر العاصي، ووصل المظفر قطز إلى غزة وأقام بها يومه حتى تلاحقت الجيوش.[4] ولما خرج من غزة سلك طريق الساحل الفلسطيني ، فكان عليه استئذان فرنجة فرنجة عكا لاجتياز أراضيهم لتوفير المؤون اللازمة والمساعدة العسكرية للجيش المصري أثناء عبورهم.[5]

فعقد بارونات عكا اجتماعا للتشاور وقد كان هؤلاء يحسون بالمرارة أي أنهم كانوا فاضبين جدا من المغول الذين نهبوهم في صيدا كما أنهم لم يثقوا بالمغول لسجلهم الحافل بالمذابح،[6] إضافة إلى أنهم كانوا يثرون المسلمين على حساب المسيحين المحليين الذين شملهم المغول بعطفهم واحسانهم و انتهى قرار البارونات إلى استبعاد فكرة التحالف العشري مع المسلمين والإكتفاء بالسماح بمرور الجيوش الإسلامية عبر الأراضي الفرنجية وتقديم التسهيلات اللازمة لتموين جيش السلطان.[7]

وقد أشارت بعض المصادر الإسلامية إلى مرور الجيش الإسلامي من أراضي الفرنجة ومنها ما جاء به: "ولما خرج المظفر قطز غزة سلك طريق الساحل، فاجتياز بمدينة عكا وهي يومئذ بيد الفرنج فلما عاينوه أرسلوا له الهدايا والتحق والتقاه ملكها

[1]- اليونيني قطب الدين، **ذيل مرأة الزمان**،المصدر السابق ، ط2 ، ج1 ، ص360.

[2]- بن شاكر الكتبي، **عيون التواريخ**، تح: عفيف نايف حاطوم ، دار الثقافة، بيروت، 1996، ج20، ص226.

[3]- بن كثير اسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية**،مكتبة المعارف ،بيروت، 1990، ج13، ص 220.

[4]- ابن دقماق صارم الدين، **نزهة الأنام فى تاريخ الاسلام**، المصدر السابق،ص 262.

[5]- ستيفن رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبية**، تر: السيد الباز، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د ب، 1967، ص534.

[6]- محمود سعيد عمران ، المرجع السابق، ص67.

[7]- وليم موير، **تاريخ دولة المماليك في مصر**، تر: محمود عابدين سليم حسن، مكتبة مدبولي، 1995، ص544.

فعرض عليه يأخذ عسكره ويسير في خدمته فلاطفهم السلطان وخلع عليهم ،واستحلفهم أنهم يكونوا لا له ولا عليه وقال لهم: والله العظيم متى سار معي فارس منكم أو راجل قاتلتكم قبل ملتقاي التتار".[1]

ولا شك أن السماح للجيش المصري بإتخاذ الطريق الساحلي الذي كان خاضعا لسيطرة الفرنجة، وتجمع هذا الجيش هناك بفضل تموين الفرنجة له كان ميزة كبيرة تمتع بها الجيش المصري وأتاحت لهم فرصة ذهبية للقاء العدو وهم على أتم الاستعداد ،هذا فضلا عن كثرتهم بالقياس إلى جيش المغول.[2]

وفي الخامس عشر من شعبان سنة (658هـ/1260م) خرج قطز بعساكره من قلعة الجبل يريد الصالحية، وكان جيشه مكونا من العرب والتركمان وانضم إليه عسكر الشام وصحبه الملك المنصور محمد صاحب حما أخو ه الملك الأفضل.[3]

وعلى إثر ذلك وضع قطز لقائد جيشه بيبرس خطة ،تتلخص في أن يزحف بمقدمة الجيش لاستطلاع أخبار المغول ودرس مواقفهم وخططهم،[4] فسارت القوات المصرية بقيادة قطز بملاقاة المغول يتقدمها الأمير بيبرس على رأس قوة صغيرة استطلاعية.[5]

كان هدف هولاكو بعد سقوط بغداد أن يستولي على سوريا ثم مصر، لذلك أرسل إلى حكام البلاد التي ستمر فيها جيوشه رسائل كلها تهديد ووعيد.[6]

وبعد أن أتم استعداداته الحربية اتجه نحو الغرب مكتسحا ما بقى من بلاد ما بين النهرين ثم رحل إلى حلب وخربها (658هـ-1260م)، وقبل أن يتم إخضاع البلاد السورية رأى أن يعود إلى بلاده تاركا لقائده كتبغا إتمام هذا المشروع، أما عن السبب

---

[1]- ابن دقماق صارم الدين، **النفحة المسكية فى الدولة التركية**، تح : عمر تدمري،مكتبة العصر لنشر، صيدا، 1999 ، ص50.

[2]- فؤاد عبد المعطى الصياد، المرجع السابق، ص307.

[3]- أبو شامة المقدسى الدمشقى، المصدر السابق،ج3، ص317.

[4]- محمد جمال الدين سرور، **دولة الظاهر بيبرس في مصر**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993، ص49.

[5]- أحمد فتحي أمين، المرجع السابق، ص152.

[6]- السيوطي جلال الدين، المصدر السابق، ط2، مج1، ص314.

الذي دفع هولاكو إلى بلاده في هذا الوقت قبل أن يتم فتوحه في سوريا ومصر فهو رغبته في الاشتراك في انتخاب خلف لأخيه مانجوخان الذي كان قد توفي (658هـ-1259م) ،بل يقال أنه كان يفكر في المطالبة بعرش المغول بعد وفاة أخيه، إلا أنه لما وصل إلى مدينة تبريز علم أن أخاه كوبلاي خان قد انتخب خاقانا فعدل عن الذهاب إلى منغوليا، والمهم أن كتبغا اتجه بجيش قوامه عشر آلاف مقاتل ميمما شطر البلاد المصرية، ولم يهتم المصريون بتهديده ووعيده بل سارعوا إلى ملاقاته.[1]

فكانت بداية الاحتكاك الأولى بين المغول والمماليك تلك السفارة المغولية التي أرسلها هولاكو إلى مصر في أوائل(1260م /658هـ)تطلب من السلطان قطز الخضوع للسيادة المغولية، لكن قطز أمر بقتل الرسل يعني أن هذا الحرب قائمة بين الطرفين وكان قطز مستعد للقتال حيث أنه حشد قواته وضم إليها حتى الخوارزميين، حيث أنه جعل قواته أكبر من قوة المغول تفوقها بكثير أما القيادة فتولها بيبرس،[2] أما قوة كتبغا ضمت قوات أخرى غير مغولية منها كرجية وأرمنيية وعلى هذا الأثر تقدم قطز نحو الشمال حتى وصل عكا وعسكر لعدة أيام ظل بها.[3]

لم يكن كتبغا في بداية الأمر يدري بأحوال المعركة ذلك لأن قطز هو الذي خطط لها وكانت خطة هذا الأخير، تقص بأن تختبئ القوات الرئيسية في التلال حتى يظهر أمام القوات المغولية إلا القليل بقيادة بيبرس مما جعل زيادة شرع القوات المغولية داخل حيز، هنا انقضت القوات المغولية لملاحظة المماليك التي تظاهرت بالانسحاب إن حاصرتها بنزول الجيوش الأخرى من التلال وأصبح القوات المغولية داخل حيز، هنا انقضت القوات الإسلامية الجيش المغولي بهزيمة صخبا وبخطة محكمة.[4]

---

[1]- حافظ أحمد حمدي، **الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولى**، المرجع السابق، ص139.

[2]- محمود سعيد عمران، المرجع السابق، 112.

[3]- بن عبد الظاهر محى الدين، المصدر السابق، ص63.

[4]- الداودار ركن الدين، زبدة الفكر في تاريخ الهجرة، المصدر السابق، ج27 ، ص50.

مما جعل المغول يتوجه نحو الجبال لكن المسلمون تبعوهم وأفنوهم، إلا أن القليل منهم نجى وهرب نحو الشرق ،أما كتبغا فقد وقع أسير وحمل مقيدا للسلطان حيث أمر السلطان المملوكي بقتله ،كما أسر الملك السعيد وأمر السلطان بقتله هو كذلك، أما الملك الأشرف طلب الأمان من السلطان وفارق المعسكر المغولي، وقد جرت هذه المعركة بتقدم كتبغا من بعلبك نحو الناصرة ثم إلى عين جالوت يوم الجمعة 25 رمضان 658 هو الموافق لـ: 2 سبتمير 1260م.[1]

ويقول أبو الفداء بعد انتصار المماليك على المغول "وتضاعف شكر المسلمين لله تعالى على هذا النصر العظيم، فإن القلوب يئست من النصرة على التتار لاستيلائهم على معظم بلاد الإسلام، ولأنهم ما قصدوا إقليما إلا فتحوه ولا عسكرا إلا هزموه". [2] وسقطت القوة المغولية وأضعفة الحامية التي كانت في غزة تابعة للمغول بقيادة بيدار، والذي استنجد بكتبغا وأمره هذا الأخير بالاحتفاظ بغزة،[3] والتي قامت بها معركة عنيفة عرفة بمعركة موقعة الحربية لم تستطع الحامية المغولية الصمود فيها فدخلها بيبرس سنة (658-هـ/1260م).[4]

أما بالنسبة لبداية القتال فقد بدأ من الفجر حتى منتصف النهار،[5] وقائدهم كتبغا فقد وقع أسير وسيق مكبلا إلى السلطان قطز الذي صار يسخر منه قائلا: "أترى كيف أصبحت أسير بعد أن كنت آسرا"، فرد عليه بكبرياء 'إن أمرت بقتلي فهي إرادة الله وليست إرادتك والويل لكم يا سافكي الدماء".[6]

---

[1]- الداودار ركن الدين، زبدة الفكر فى تاريخ الهجرة ،المصدر السابق، ج27، ص53.

[2]- نفسه ،ج3 ،ص214.

[3]- يوسف حسن غوانمة، **في التاريخ والحضارة العربية والإسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000، ص109

[4]- نفسه، ص243.

[5]- المقريزي تقي الدين، **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، إش: محمد مصطفى زيادة، جمال الدين محمد الشيال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1940، ص515.

[6]- نفسه، ص516.

بعد الانتصار أيضا تقدم قطز إلى طبرية وكتب إلى أهل دمشق يبشرهم بإندحار المغول فسروا لذلك وسارعوا للإنتقام من العناصر التي تعاونت مع المغول، وفي مقدمتهم اليهود والمسيحيين فقتلوا العديد منهم ونهبوا دورهم، وهدموا كنيسة مريم التي كانت لليعاقبة.[1]

وقيل أن أثناء هذه المعركة قتل في مقدم المغول كتبغا نويان بيد الأمير جمال الدين أقوش الشمسي، [2]

وقد أجمعت المصادر التاريخية على الدور البطولي الذي لعبه قطز في تقرير مصر وقعه عين جالوت، فقد وصف ابن تغري بردي شجاعته وتفانيه في خدمة الإسلام قائلا: "وأبلى المظفر قطز بلاء حسنا وشجع أصحابه على القتال... ويحسن إليهم الموت، وهو يكربهم كرة بعد أخرى حتى نصر الله الإسلام عزه".[3]

وفي يوم الأربعاء آخر شهر رمضان 10 سبتمبر وصل الملك المظفر قطز إلى ظاهر دمشق، فخيم هناك ثم دخل المدينة وجرد ركن الدين بيبرس إلى حمص، فقتل من المغول وأسر وعاد إلى دمشق وذلك إثباتا وتوكيدا لسيطرته على سائر بلاد الشام، من الفرات شرقا إلى حدود مصر غربا.[4] وقام المظفر قطز بدمشق نيفا وعشرين يوما ثم سار عائدا نحو الديار المصرية.[5]

وفي طريقه إلى مصر تنكر له بيبرس البندقداري وتغير عليه وعزم على قتله، وسبب ذلك أن الأمير بيبرس كان يأمل أن يجد من السلطان قطز حظا من التقدير والاحترام لما أبداه من عزيمة وقوة وشجاعة في محاربة المغول، فطلب من قطز أن يوليه

---

[1]- الهمداني رشيد الدين، المصدر السابق، 315.

[2]-ابن الور دي زين الدين، المصدر السابق، ج2، 290.

[3]- نفسه، ج2، ص79.

[4]- بن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، تح : تركى مصطفى، دار أحياء الثروات العربى، 2000، ج9، ص395.

[5]- ابن أيبك الداوداري، **كنز الدرر وجامع الغرر**، تح: هانس روبرت رويم ،مصادرة تاريخ مصر الإسلامية، القاهرة، 1960، ج8، ص60.

نيابة حلب وأعمالها بعد أن كان قد وعده بتوليته عليها، ولكن قطز امتنع وتنكر للجميل.[1]

كل هذه الأحداث التي جرت في معركة عين جالوت تعتبر تمهيد للاندماج الحضارتين وبدايات تواصل بين الطرفين، بالفعل تعتبر معركة عين جالوت من أهم التأثيرات المغولية على دولة سلاطين المماليك وبالأحرى يمكن أن نعتبر هذه المعركة البداية الأولى لتفاعل المغول بمماليك مصر، وتحالف معهم ضد إخوانهم أو أبناء عمومتهم إضافة لما جمعته من نتائج المعركة بضم الأسرى الذين أثروا فيما بعد في إنشاء حضارة عريقة، من نقل لغة وعادات وتقاليد.[2]

فمن التأثيرات الغير مباشرة هوان انتصار المماليك على المغول في عين جالوت أدى إلى أن احتفظت مصر بمالها من حضارة ومدينة هذا من جهة، حيث أنها لم تتعرض لما تعرضت له بغداد من الخراب والدمار وتحطيم كل ما كانت تزخر به بغداد من الفنون والعلوم والآداب، فأصبحت القاهرة في عصر المماليك معقل الإسلام والثقافة العربية، إذ ضمت عدد هائل من العلماء وأصحاب لحرف والصناعات الذين لقوا التشجيع من سلاطين المماليك، وقد جلب أهل الحرف منهم بعض أساليب بلادهم الفنية.[3]

فمعركة عين جالوت تعتبر بداية تواصل المغولي المملوكي أي بداية الاحتكاكات الأولى للقومين، فانتصار المماليك على التتار في عين جالوت أهمية كبرى إذا أن التتار لم يهزموا من قبل فوضع لهم المماليك حد يتوقفوا عنده، وكسر التدمير الذي كانوا يفتخرون به.[4]

---

[1]- بيبرس المنصور الدوداداري، **مختار الإخبار في تاريخ الدولة الايوبية ودولة المماليك البحرية**، المصدر السابق، ص 544.

[2]- السيد الباز العريني، **المماليك**، المرجع السابق، ص49.

[3]- عبد العزيز محمود عبد الدايم، **تأثيرات المغول الحضارية على دولة سلاطين المماليك**، جامعة القاهرة، د ت، ص169.

[4]- السيد الباز العريني، **المماليك**، المرجع السابق، ج2، ص50.

وعلى الرغم من أغاراتهم الكثيرة على بلاد الشام فيما بعد فإن الهزائم لحقت بهم وصاروا يلتمسون الصلح وتحسين العلاقات بينهم وبين المماليك، وعجلت هذه الواقعة بزوال الإمارات الصليبية في الشام، كما دفعت التتار الذين حلوا بغربي آسيا إلى اعتناق الإسلام فتحول بركة خان ملك قبيلة الذهبية إلى الإسلام وأعلن عداءه على أبناء عمه للإيلخانات في إيران، وتوطدت الصداقة بينه وبين بيبرس على إماراتهم ولم تبقى في أيديهم منها إلا حماة التي دخلت في طاعة المماليك سنة(746ه\1345).[1]

وتحالف السلطان بيبرس مع كيخسر وسلطان السلاجقة بالروم الذين وقعوا تحت حكم المغول، وعلى الرغم من استمرار هجوم المغول على البيرة ومخاضات الفرات وتوغلهم في الشام حتى أفاميا فإن بيبرس خرب هذه الأطراف الشمالية من ممتلكاته، حتى لا يجد أعداؤه المؤن والعلق ومن ثم قل تهديد التتار لهذه الجهات، وذلك بالدعم من مغول القبجاق وهنا يعتبره تأثيرا أيضا في المحافظة على البلاد من الدمار والخراب.[2]

من التأثيرات أيضا النتائج التي ترتبت عن المعركة فقد جعلت من دولة المماليك قوة الرئيسية في منطقة الشرق الأدنى الإسلامي حتى فتح العثماني، كما أنها جعلت قوة عظمة للمسلمين في آسيا كلها وأضعفت العناصر المسيحية وا ٕسلام المغول الذين بقوا في إيران والأقاليم الغربية للإمبراطورية، وحتى الذين اتخذوهم أسرى المماليك وعلموهم أصول الإسلام والحضارة المغولية ثم باعوهم في سوق الرقيق، مما نشروا تلك الحضارة المكتسبة وبهم تمكنوا من القضاء على الصليبيين في بلاد الشام، ويعتبر إسلام المغول من نتائج المعركة.[3]

من بين التأثيرات الحضارية أيضا الغير المباشرة تمكن سلاطين المماليك من إعادة إحياء الحضارة الإسلامية وا ٕحياء الخلافة العباسية، مما أدى إلى دعم شرعية المماليك في

---

[1]- المقريزي تقى الدين، **الخطط المقريزية**، المصدر السابق، ج3، ص221.

[2]- ابن ثغري بردي، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي** تح :محمد محمد أمين، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة ، 2012، ج2، ص 236.

[3]- محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص116.

الحكم وخسارة المد المغولي خارجيا وتضاؤل بنائهم وتزايد انهيار ملكهم السياسي وا إمبراطوريتهم، فكسر سلاطين المماليك القاعدة التي استنها كبار المغول من أيام جنكيز خان والقائلة أن قوة المغول لا تقهر، فمنح هذا الانتصار السلطان المملوكي في مصر والشام الثقة القوية بالنفس.[1]

كما جعلت دولة مغول فارس تقف عند حدود العراق هذا لا يعني انتصار على المغول وا إضعافهم أن يوقف أطماعهم بصورة كلية، كما أن ضعفهم لا يعني أنهم لم يؤثروا فيهم بل استطاعوا أن ينشروا أو أنهم استطاعوا أن يوضعوا بصمتهم داخل السلطة.[2]

فقد كان لها أثر واضح في تغيير مجرى التاريخ المملوكي بأشكاله المختلفة ،فبقيت الحضارة دون الهمجية، والبربرية وبقي الإسلام دون الوثنية والبوذية، وظلت العروبة شامخة على حساب المسيحية، وبقيت مصر صامدة في مركز القيادة بعيدة عن التدمير والحرق والتخريب.[3]

كان لهذه الواقعة أثر كبير في تحرير بلاد الشام من المغول وخطرهم، وحفظت لمصر مركز الزعامة والقيادة للأمة الإسلامية في العصر المملوكي منذ بدايتها حتى نهايتها.[4]

فأصبحوا جاسرين على شرح تعاليم الإسلام للحكام الإيلخانية، فما كان منهم إلا أن دخلوا للإسلام اتخذوه دينا رسميا للمغول ، فهنا كان تأثير متبادل للطرفين.[5]

---

[1]- عبد المعز عصري محمد بني عيسى، **الغزو المغولي وآثاره السياسية والاجتماعية والثقافية**، (هولاكو، محمود غازان، تيمور ليك)، إش: أحمد جوارنه، جامعة اليرموك، كلية الأدب، قسم التاريخ، 1997، ص137.

[2]- سعيد عبد الفتاح عاشور، **مصر والشام في عصر المماليك**، المرجع السابق، 185.

[3]- شوكت رمضان، المرجع السابق، ص115.

[4]- فؤاد عبد المعطي الصياد، المرجع السابق، ص317.

[5]- نفسه، ص315.

فقد اثر المغول تأثير غير مباشر على سلاطين المماليك فكان تأثيرهم إيجابيا يتمثل في تثبيت الوحدة بين مصر والشام تحت السلطنة المملوكية، والتي استمرت على ما يزيد قرنين من الزمان.[1]

كما أنها أفقدت الأيوبيين سلطتهم الشرعية في الحكم بسبب عجزهم عن حماية ديار الإسلام والمسلمين.[2]

أيضا كانت المعركة حافزا قويا لتوطيد العلاقات بين الحكام المغول المسلمين في القبجاق وبين المماليك في مصر، وتحالف ضد عدوهم المشترك هولاكو في دولة أيلخانية فارس.[3]

إعادة تغيير موازين القوى السياسية والعسكرية في مصر، وتجسدت في قيام دولة السلاطين المماليك وريثا شرعيا لكل من العباسيين والأيوبيين.[4]

احتفظت مصر بما لديها من حضارة فلم تتعرض لما تعرضت له بغداد من قبل من خراب ودما ر،لذلك أصبحت مصر أو القاهرة المركز الجديد للإسلام، فهرع إليها عدد كبير من العلماء المسلمين وأصبحوا باعثا لهيئة جديدة للإسلام، زمنها اكتسبت عاصمة الدولة المملوكية مكانة متميزة من الناحية العلمية وأصبحت مركز لإشعاع الثقافة العربية والإسلامية خاصة بين إحياء الخلافة العباسية عهد السلطان بيبرس.[5]

إضافة إلى ذلك ظهور عنصر جديد داخل المجتمع المملوكي المصري وذلك عند مصاهرة السلاطين المماليك للمغول المسلمين.[6]

---

[1]- نعمان محمود جبران، **دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك**، مؤسسات حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، الأردن، 2000، ص278.

[2]- درتياكرا فولسكي،**العرب وا إيران دراسات في التاريخ والأدب من المنور الإيديولوجي**، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر، بيروت، 1993، ص107.

[3]- نفسه، ص191.

[4]- قاسم عبده قاسم، **عصر سلاطين المماليك، التاريخ السياسي والاجتماعي**، مؤسسة عين، دب، 2009، ص134.

[5]- أحمد عبد الكريم سليمان، المرجع السابق، ص70. سعيد أحمد برجاوي، المرجع السابق، ص605.

[6]- السيد عبد العزيز سالم وسحر السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص269.

أيضا كان من بين أسرى المغول أهل الحرف والصناعات فتأثر المعمار وبذلك انتقلت مركز الزعامة الفكرية والفنية في العالم الإسلامي إلى القاهرة، ومن التأثيرات التي أحدثتها غزوة المغول للعالم الإسلامي على دولة المماليك بفضل انتصارها على المغول في معركة عين جالوت صارت أقوى دولة في الشرق الأدنى، لمدة تزيد على قرنين من الزمان.[1]

فما حدث سنة (657هـ\ 1259م) من انقسام إمبراطورية صلاح الدين في مصر والشام والجزيرة بين الأمراء الأيوبيين، وما تلى ذلك من العداء بين السلاطين الأيوبيين في مصر وسائر الأمراء الأيوبيين ثم قيام دولة المماليك سنة (648هـ -1250م)، وما ترتب على ذلك من العداء بين المماليك في مصر والأيوبيين في الشام وأفادت المغول والصليبيين من هذا الانقسام كل هذه الأوضاع تغيرت بعد زحف المغول على بلاد الشام، إذ أسهم المغول في تدمير السلطان الأيوبي بالشام وفي إزالة الانقسام بين المسلمين في الشام ومصر.[2]

ولما قاموا المماليك بتخليص بلاد الشام من الخطر المغولي كانت فرصة سانحة بضم كل بلاد الشام إلى دولتهم، وبهذا توسعت حدودهم وممتلكاتهم ومما لا شك فيه أيضا من التأثيرات المغولية الغير مباشرة على دولة المماليك هو أن انتصار المماليك عجل بزوال ما تبقى من الإمارات الصليبية، فما كان من مشروع أقمت تحالف بين المغول والصليبيين قد تبدد، ولم يعد في وسع هولاكو وخلفائه أن يوجهوا الحملات لمساندت الأرمن والفرنج دون أن يتعرضوا لهجمات من قبل أقاربهم المغول الذين اعتنقوا الإسلام، وهم مغول القبيلة الذهبية في جنوب روسيا وبيت جفتاي في تركستان.[3]

---

[1] - عبد العزيز محمود عبد الدايم، المرجع السابق . ص130،

[2] - نفسه، ص130.

[3] - السيد الباز العريني، **المغول**، المرجع السابق، ص269.

ثالثا: اعتناق المغول الإسلام (تأثيرات دينية).

الخطر المغولي على العالم الإسلامي لم يكن بمثل فداحة الخطر الصليبي حقيقة أن التتار زلزلوا أركان هذا العالم بعنفهم المدمر، وما شاهده من حرق ونهب وتخريب ولكنهم لم يلبثوا أن ذابوا في خضم الحضارة الإسلامية، بل صاروا في ما بعد من المساهمين في بنائها والحفاظ عليها على عكس الصليبيين هدفهم الأول القضاء على الدين والوجود الحضاري للمسلمين.[1]

فقد أثروا فيها بطريقة غير مباشرة قبل إسلامهم حين تمكن هؤلاء المغول من إسقاط الخلافة العباسية فكانت كارثة بالإنجازات الحضارية الإسلامية دمروا مكتبات وأحرقوا كتب وقيل أنهم رموا الكتب في نهر الدجلة بالإضافة قتل آلاف الشعر اء والعلماء، وخربوا المدارس، إضافة إلى سمرقند (بخاري) ينسابور كانت مركز المشرق العظيمة حضاريا تتمتع بازدهار اقتصادي نظرا لوقوعها على خطوط القوافل التجارية مما اعتمدت لنقل المنتجات، فقام المغول بتدميرها فهؤلاء الذين تعرضوا للهجومات المغولية واضطهاداتهم هربو ا إلى مصر مستأمنين بسلاطين المماليك، حاملين معهم مؤلفاتهم الدينية والفقهية من مصاحفو غيرها، نقلوا معهم كل ما تبقى من الآثار الحضارية المتعلقة بالإسلام فضمتهم مصر وأصبحت القاهرة مركز مشاعا لدين الإسلامي.[2]

إلا أن إسلام المغول يرجع إلى تسامحهم وا يمانهم بالفطرة، فيذهب الرمزي أحد كتاب الأتراك بقوله أن المغول لم يكونوا متدينين بدين من الأديان ولم يعبدوا الأوثان والأصنام ولكن كانوا يعرفون الله سبحانه وتعالى بالفطرة،ويوحدونه ويتقر بون إليه بمقتضى الظنون والأوهام، وأن ما ذكر في بعض التواريخ من أنهم عبدة الأصنام وأنهم وثنيين فإن ذلك غير صحيح، فإن عقولهم كانت أرقى من أن يعبدوا شيء صنعوه بأيديهموا نما أراد

---

[1]- محمود ماهر حمادة، **وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي**(1096، 1404م)، منشورات مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1982، ص75.

[2]- سليمان بن حمد العودة، **كيف دخل التتار بلاد المسلمين** ، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط3، الرياض، 2000، ص147.

المؤرخون أن ينفوا كل ما هو جميل وحسن لهذه الشعوب ، واظهارهم بالوحشية أكثر مما هم عليه.[1]

أما البعض يرى وجهة أخرى للديانة المغولية الأولى، حيث قالوا أن الديانة التي اتخذها المغول في بداية الأمر هي ما كانت تسمى بالشاماتزم وتتمثل بعبادة مظاهر الطبيعة وخاصة الشمس، وتمتاز بشدة الطاعة لكهنتهم وبفتح المغول الصين و الهند تحولت ديانتهم إلى البوذية، إلا أن المغول الذين اتجهوا صوب روسيا اتخذوا الديانة المسيحية والبعض منهم اتخذوا السلام أي أنهم تفرقوا لقسمين، أما الذين جاؤوا للمشرق الإسلامي فذابوا في الإسلام، كما كانوا يعبدون أرواح أجدادهم التي كانوا يعتبرونها ذات سلطان في حياتهم الاجتماعية، كما أنهم قدسوا الطبيب والقسيسين الشامان والسحرة اعتبروهم ذوي نفوذ خفي فكان المغول سريعي التأثر بالمجتمعات الأخرى وهذا يرجع إلى سهولة تغير ديانتهم.[2]

إلا أن الكثير من المؤرخين من بينهم الباحث إسماعيل عبد العزيز الخالدي يثبت بأن المغول يعترفون بوجود إله واحد و أنه خلق السماوات والأرض، ولكنهم يشركون معه بعض المخلوقات مثل الشمس والأرواح وغيرها، وهم يستنكرون القتل والزنا واللواط والكذب والسحر والتلبس وكلها من صميم النواهي والمحرمات التي حرمها الله سبحانه وتعالى على عباده بواسطة الرسل، وكانت لهم عقيدة صحيحة تشوهت مع مرور الزمن.[3]

وبقدوم المغول إلى مصر ولبثوا فيها وتربوا بدار الإسلام ولقنوا القرآن وعرفوا أحكام الملة المحمدية فجمعوا بين الحق والباطل وضموا الجيد إلى الرديء، فانسجموا مع المسلمين وشكلوا حضارة برزت حتى في الجانب المعماري.[4] وبإسلام زوجة بركة خان

---

[1]-م م الرمزي ،**تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار**، تح: ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002 ، مج1، ص39.

[2]- إيناس حسني محمد، المرجع السابق، ص36.

[3]- إسماعيل عبد العزيز الخالدي، المرجع السابق، ص35.

[4]- عبد المعطي الصياد، **المغول**، المرجع السابق، ص347.

ليجيك خاتون واتخذت مسجدا من الخيم كانت تسافر به ولها مؤذن وإمام ، كما امتد إسلام بركة خان.[1] (640هـ/1242م) حتى وفاته سنة (665هـ/1267م)، يحافظ على إقامة الصلوات في أوقاتها جماعة وله مؤذن وإمام خاص به، وامتد ذلك الحين وهو يحاول التقرب إلى سلاطين المماليك ويقدم لهم الدعم والسند، وكان ظهر ذلك أثناء مساعدته لهم في معركة عين جالوت فيعود لهم الفضل في الإنتصار.[2]

وتتحدث المصادر المصرية عن بركة خان انه أقام عدة مدارس لتعليم القرآن الكريم فكان هذا التأثير ديني مباشر،فقد دخل المغول وأهالي مصر في مدرسة مشتركة لتلقين العلوم الدينية، وأنه كان له ولجيشه إمام ومذن، أما بالنسبة لبيت جغتاي كان ابن الخاتون أورقنه طفل يدعى مباركشاه أول من أسلم من أمراء المغول، إلا أن أمه ظلت بوذية لكنها بسطت حمايتها على المسلمين خاصة مصر.[3]

وبالنسبة لإيلخانية فارس كان أول من أسلم هو أحمد تيكودار (تكودر) وتولى الحكم سنة (662هـ\1264م)، فتقرب هو كذلك إلى مماليك مصر أثناء إسلامه وقضى على المشاكل التي كانت قائمة بين الدولتين ،فاستطاع الحد من المناوشات التي كانت دائمة بين الطرفين.[4]

ويقول ابن العبري النصراني في كتابه أن تكودركان متسامحا مع جميع الأديان، وبإسلامه استطاع الحد من الصراعات القائمة مع سلاطين المماليك ،كما أنه حول المعابد الوثنيةوالكنائس إلى المساجد ،وكان إسلامه أساسا لمفاوضته مع مصر وإيجاد

---

[1]- **بركة خان**: 640-665، 1242-1267، بركة خان بن جوجي بن جنكيز خان أول من أسلم من أمراء المغول وبركة خان هو ثالث أبناء جوجي، حكم بلاد الأورد الذهبية وهي منطقة بروسيا وحوض القولجة وبلاد الغار وحكم بلاد ما وراء النهر جيجون أموداريا وهي أرض تركستان بعد أن قضى على أمراء من بيت جغتاي وهو ابن عم هولاكو فاتح بلاد فارس وكان بينهم عداء كبير كما دافع ضد هولاكو أثناء هجومه على خرسان وإيران العراق وشارك في معركة عين جالوت: محمد علي البار، **كيف أسلم المغول**، دار الفتح للدراسات والنشر، الأردن، 2008، ص116-117.

[2]- نفسه، ص120.

[3]- ابن بطوطة محمد بن عبد الله، المصدر السابق،ط2، ج1، ص30.

[4]- محمد علي البار، المرجع السابق، ص140.

روابط ودية بين الدولتين للحد من الصراعات وتعاونا مع في مهاجمة أبناء هولاكو ،ومن بينهم أرغون وهو ابن أخ تكودو من بعده أسلم غازان بن أرغون وفي عهده ثبت الإسلام في إيلخانية فارس، مما تقرب إلى سلاطين المماليك المصرية لاندحار البوذية و الشامانية والقضاء على الصليبيين، كما ساعد غازان أيضا سلاطين مصر على التصدي لأبناء هولاكو خاصة الابن الأول باقا الذي أقام حلفا لمواجهة المماليك في مصر.[1]

فبالنسبة لمغول القفجاق بعد إسلامهم ساعداو سلاطين المماليك في معركة عين جالوت ضد هولاكو، فكان إسلام هؤلاء مغول روسيا الحاكم جورجي وابن بركة (655هـ\1257م-665هـ\1267م) القبيلة الذهبية فانتشار الإسلام في بلاد القفجاق كأول قبيلة مغولية تعتنق الإسلام، هذا أدى إلى ظهور العداء مع القبائل المغولية الأخرى، وقد ترتب على ذلك تقرب القفجاق المغول إلى الدول الإسلامية المجاورة وخاصة دولة المماليك.[2]

كما سعى أيضا المماليك بدورهم للتقرب إلى خانات القفجاق خاصة أن الصراع ظل شديد بين خانات فارس وبين المماليك في مصر، وتبودلت السفارات والرسائل بين الطرفين مثال إرسال الخان بركة عام(661هـ\ 1263م)سفارة إلى مصر، حملت معها رسالة للسلطان بيبرس، وقد امتلات هذه الرسالة بالعبارات التي تفيدان بركة متحمس بالإسلام والمسلمين وأنه يريدان يتواصل مع المماليك وتتم بينهما مبادلات تجارية وعسكرية وا ٍعلاء كلمة التوحيد، وأن الله الواحد الأحد وقد أرسل بيبرس رسالة عبر فيها على انحيازه الكامل لقبيلة القفجاق واحترامه للخان بركة.[3]

ولم يقف بيبرس على هذا الحد من المجاملة بل أنه أمر بالدعاء للخان بركة بعد الدعاء للسلطان المملوكي على منابر البلدان الإسلامية مكة، المدينة، بالإضافة إلى منابر القاهرة، واستمرت العلاقة المملوكية مع القفجاق الإسلامية إلى حتى عهد الخان

---

[1]- محمد علي البار، المرجع السابق ، ص141.

[2]- ابن عبد الظاهر محى الدين، المصدر السابق، ص135.

[3]- نفسه ، ص140.

مانكو تيمور (665-678هـ\ 1267-1280م) بقصد توحيد الجهود لمواجهة أخطار مغول فارس، وكان لدخول المغول الإسلام أثرين مهمين أولهما ديني إعلاء كلمة الله، يمكن أن أقول تشجيع المماليك لمغول القفجاق وذلك من خلال الدعاء لهم في المساجد وإلى جانب ذلك عسكري التحالف ضد فارس.[1]

وتعتبر إمبراطورية المغول أكثر الإمبراطوريات اتساعا خلال العصور الوسطى التي امتدت من كوريا حتى بولندا ومن طنكين إلى سواحل البحر المتوسط ثم الصين والخوارزمية إيران وأزربيجان ،وفضلا عن هذا أن المغول قد تسامحوا مع كل الأديان ولما كان سكان البلاد في غرب آسيا أي البلاد التي فتحها المغول كان يسودها الإسلام لذلك أصبحت الديانة الإسلامية في الغاية على المجتمعات التي أصبحت تحت السيادة المغولية في إيران، ولكن قد أصبحت القاهرة أو دولة سلاطين المماليك في مصر هي العاصمة الإسلامية أو العاصمة الإسلامية الروحية وأصبحت هذه الدولة المؤهلة للدفاع عن الإسلام بعد ما خرب المغول بلاد الشام.[2]

ولقد لعب الدين والإقتصاد دورا كبير عند المغول لما لهما من تأثير عالمي في تلك العصور، والواقع لم يكن للمغول دينا محددا في تلك المرحلة وقد تعاملوا مع كافة الأديان سياسة التسامح ،وفي بداية الأمر كان المغول يميلون إلى المسيحية وأما الذين كانوا يميلون للإسلام فقد اتبعوا الطائفة الشيعية، لأن هذه الطائفة عانوا من النظم الإسلامية أي من أهل السنة لذلك تقربوا إلى المغول، يضاف إلى ذلك هولاكو كان يميل إلى البوذية وأن زوجته قطز خاتون كانت سنطورية، ومن جهة أخرى كان سعد الدولة وزيرا الخان أرغون كان يهوديا.[3]

---

[1]- محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 122.

[2]- السيد الباز العريني، **المغول**، المرجع السابق، ص 244.

[3]- عبد الله حمد المخيال، **المغول رعاة السهول**، مكتبة العبيكان، الرياض، 2007، ص 12.

وقد تحول المغول إلى الإسلام في الحقيقة نجد أن مغول القبيلة الذهبية اعتنقوا الإسلام قبل مغول إيران، وكان الزعيم خان بركا أول من أسلم كذلك أسلمت أسرته وزوجته على يد شيخ القبيلة نجم الدين كبرا، واتخذوا مسجدا من الخيم كان متنقلا، ولما سمع هولاكو باسمه قام بثوران عليه كان ذلك اللقاء على نهر ترك المتجمد ماؤه لشدة البرد فعبره هولاكو وقواته وا إلتقى الجمعان وانهزم هولاكو وعسكره ،وتكدسوا في النهر فانكسر ت الثلوج من تحتهم وغرق جنود هولاكو، ومن نجا عاد بصحبته من حيث أتوا، وقد علم السلطان المملوكي بيبرس بالواقعة كما علم أيضا بإسلام بركة خان وقد رأى السلطان بيبرس أن يتقرب من الخان بركه، فكتب إليه بقوله على هولاكو ويعرفه أن جهاده واجب عليه كما أعطاه مجموعة من الخطط لهزم هولاكو.[1]

أرسل السلطان بيبرس بعد إسلام الخان بمجموعة رسل ليعلمه إقامة الفرائض والسنن والزكاة والجهاد في سبيل الله، وقد طبق وتقبله بركة خان بكل حب وثقة وأخبره أنه حارب هولاكو الذي من لحمه ودمه لإعلاء كلمة الله العليا تعصبا لدين الإسلام، كما أخبره بأنه دعا الخان بركه السلطان بيبرس لأنه أعاد إحياء الخلافة العباسية في بغداد.[2]

كما أرسل السلطان المملوكي إلى مغول القفجاق برسل محملة لكتب ورجال الفقه والدين والعلوم الشرعية الصحيحة، وبهذا انتشر المذهب الإسلامي السني داخل بلاد القفجاق وكان لكل أمير في بلادالخان مؤذن وا إمام ولكل زوجة من زوجات الخان مؤذن وا إمام أيضا، كما كان الصغار عندهم مكاتب خاصة بهم يتلون القرآن فيها مما كان يجلب الأئمة من مصر واتخذوا الكثير من الأساتذة لتعليمهم العربية والفقه والحديث والسنة الصحيحة.[3]

---

[1]- إبراهيم أحمد العدوي، **نهر التاريخ الإسلامي**، منابعه العليا وفروعه العظمى، دار الفكر العربي ، القاهرة ص39.

[2]- أحمد عبد الكريم سليمان، المرجع السابق، ص175.

[3]- ابن عبد الظاهر محى الدين، المصدر السابق، ص170.

وأن المذاهب الشافعية والمالكية والحنيفية هي التي سادت داخل أهالي القبيلة الذهبية ومعنى ذلك أن مسلمي القبيلة الذهبية لم يعرفوا المذهبية الضيقة، وهذا يعني أيضا أن الحنابلة كان لهم جانبا داخا مسلما هؤلاء المغول وتقول أن القبيلة الدهبية كانت على المذهب السني لذلك تحالفت مع المماليك ضد الشيعة.[1]

ومما هو جدير بالذكر أن إسلام المغول في إيران وسيطرتهم على بغداد بعد سقوط الدولة العباسية جعلهم أقرب إلى دولة سلاطين المماليك التي حكمت مصر والشام ،فقام أحمد تكودار لما جلس على كرسي الخانية أظهر إسلامه وكتب إلى السلطان قلاوون في مصر يخبره بانتقاله إلى الدين الإسلامي ومن معه من المغول ،ومن الآثار التي ترتب على المغول بعد إسلامهم أنهم نشروا الدين داخل المدارس التي كان يدرس فيها أبناء المغولين.[2]

وباحتكاكهم مع المماليك عرفوا الأوقاف وجميع وجوه البر ويرجع كل ذي حق إلى حقه في أوقاف المساجد والمدارس ولا يخرجون من القواعد الإسلامية، فترتب عن هذا دخول القبائل المغولية الأخرى في الدين ومطالبين منهم عم السلام والأمان وأن لا يقاتلوا المسلمين حتى ينعم بينهم الإخاء وحفظ المسافرين بين البلدين وكذلك التجار.[3]

وفي عهد الخان غازان الرجل الصالح الأمين الحق(1294م\693هـ) أصبح الإسلام بفضله ناظرا مزدهرا بعد أن كان مندسا من قبل عند التتار، وساد العدل والإخلاص وعم الإنصاف وعلت كلمة الحق سبحانه وتعالى، وكان قد زين وآثار قلوب قبيلته وصارت ذاته الشريفة مخزن أسرار القدس وحاملة المعرفة ،وأزال حجاب الظلمات مع المماليك وأحسن إليهم عند اتجاههم نحو بغداد سواء للتجارة أو غيرها، كما كان يرس أهاليهم لأخذ دروس الدينية في مصر التي كانت مزدهرة انأ ذاك ،كما أنه نفى البوذية

---

[1]-م م الرمزي، المصدر السابق، ص40

[2]- الداودار بيبرس المنصور، **مختار الاخبار فى تاريخ الدولة الايوبية ودولة المماليك**، المصدر السابق، ص 218.

[3]- نفسه، ص 227.

حيث أنه قال كيف يقتض العقل أن يسجد رجل عاقل لجماد موضوع على الأرض وأذن بعبادة الأصنام والسجود للأوثان، وبهذا رفع شأن الإسلام وقال أن الدين الإسلامي هو زبدة جملة الأديان وخلاصة النواميس الإلهية، وفي عهده دخله طوائف وأفواجا من الأطراف والنواحي والبوادي في الإسلام.[1]

وأرسل له السلطان المملوكي بأن يدعم كل من دحل في الإسلام بالهبات والمناصب العليا حتى يشجعهم على ذلك ،وصفوة القول انه بعد ذلك صارت طاعة السلطان غازان واجبة ولازمة ملوك الإسلام وسلاطينهم، وأصبح غازان سلطان الإسلام واعتبر نفسه أعلى منزلة من حكام هؤلاء المسلمين حتى سلطان المماليك في مصر، والذي يعتبر أكبر وأعظم حكام المسلمين في تلك المرحلة والذي ساعده كثيرا في تطبيق الأحكام الشريعة الصحيحة حينما أرسل له فقهاء.[2]

ومن هنا رجع لهم العداء بين المغول والمماليك، كما كان غازان يعامل سلاطين المماليك فيما بعد باستهزاء ذلك عند ما يقول لهم أن غازان بن أرغون بن باقاخان بن هولاكو بن تولوى بن جنكيز خان هذا دليل على أنه يفتخر بنسبه إلا أن سلاطين المماليك لم يكونوا يعرفوا أي شيء على نسبهم، من هم ومن أين أتو فكان غازان يذكرهم دائما بأنهم عبيد مهما وصلوا لسلطنة ويذكر ذلك في الرسائل التي رسلها إليهم، هذا دليل على انه يريد مقاتلتهم على عكس ما كان يفعله هو في بداية الأمر والخان أحمد تكودار قبل أن يقتل، فمن تأثير المغولي غازان على المماليك أنه قام بنشر الإسلام داخل صفوف جيشه، وقام بنشر مذهبهم كما أنه تأثر بهم أيضا، فبعد اعتناقه الإسلام واختلاطه بمسلمين المماليك أصبح يحمل لقب سلطان يدل من لقب خان.[3]

---

[1]- عباس إقبال، المرجع السابق، ص 367.

[2]- الهمداني رشيد الدين، المصدر السابق، ص 414-415.

[3]- ابن طباطبا محمد بن على، **الفخري في الأدب السلطانية والدولة الاسلامية**، دار صادر، بيروت 2012، مج1، ص274.

ولذا ظل الصراع بين مغول فارس والمماليك في مصر تارة يثور وتارة يخمد، فهؤلاء من البداية هم أعدائهم رغم أنهم اشتهروا بسياسة التسامح ،مع سائر المذاهب التي تحالف مذهبهم فمغول فارس عرفوا بحقدهم الكبير على المسلمين بصفة عامة وعلى الإسلام بصفة خاصة ،حتى وا ٍن دخلوا الإسلام ظلوا أيضا يقون السلاطين وأهالي مصر والشام حتى وا ٍن أسلموا فقد اتخذوا المذهب الشيعي.[1]

ودائما ظلوا ضد المسلمين السنيين في بلاد الشام ومصر وحتى العراق، واستغلوا الأقليات في هذه المناطق الغير الإسلامية وحرضوهم على أصحاب السنة، وتحالفوا مع الأرمن في مهاجمة المساجد وتعطيل الصلاة فيها وبلغ الحال بهولاكو قبل ذلك أن تحكم بالمناصب الدينية ووضعها تحت سيطرته ومسؤوليته الخاصة، كما أن مغول فارس حاولوا تدنيس المقدسات الإسلامية لكن سلاطين المماليك كانوا متفطنين لذلك خاصة عهد السلطان بيبرس.[2]

إلا أن مغول القبجاق وقفوا ضد ذلك وساندوا المسلمين في مصر والشام حيث قام سلطانهم بغلق الخمارات ومواضع الزنا من الخانات.[3]

رغم العداء والحقد المستحكم بين الأيلخانين الذين لم يكن لهم ديانة سماوية كما يقول البعض والمماليك المسلمين إلا أن المغول فارس اعتنقوا الإسلام وثبتوا أركانه اعترفوا به دينا رسميا في البلاد التي خضعت لسيطرتهم، هذا في الوقت الذي فشل فيه المسيحيون في إقناعهم باعتناق الديانة المسيحية. [4]

ويبدوا أن دوافع الإيلخانين واعتناقهم الإسلام كان ينبع من عدة نقاط أساسية أهمها يتمثل في: أن استقرار أحفاد هولاكو بإيران الإسلامية قد أدى إلى الانقطاع بين فكر

---

[1]- السيد الباز العريني، **المغول**، المرجع السابق، ص248.

[2]- ابن عبد الظاهر محي الدين، المصدر السابق، ص356.

[3]- ابن كثير اسماعيل بن احمد، **البداية والنهاية**، المصدر السابق،ج13، ص10.

[4]- ابن خلدون عبد الرحمن، **العبر وديوان المبتدا والخبر** ، المصدر السابق، ج5، ص545.

مغول في إيران وارتباطهم بالقبائل المغولية الأخرى، ومن هنا بادر الإيلخانيون إلى التأثير بالثقافة والحضارة الإسلامية ورغبوا تدريجيا في اعتناق العقيدة الإسلامية.[1]

وبعبارة أخرى أن المسلمين قد أثروا في حياة المغول وفكرهم ذلك نابع من قوة العقيدة الإسلامية، وبادروا لنشر اللغة العربية ونشر الإسلام باللغات الأخرى، وأن انهزامهم في معركة عين جالوت قد أثر عليهم من ناحية التنازل عن أفكارهم الرئيسية حول سيادة العالم والنظر إلى الديانات السماوية عامة ،وبذلك كان اكبر أثر أنه تحولوا عن فكرة السيادة إلى القبول والإعتراف بالحدود المشتركة وكان تكودار بن أبقا أول من اعتنق الإسلام من الإيلخانين وسمى نفسه أحمد تكودار.[2]

وعمل هذا الأخير على نشر الإسلام في بلاد المغول وذلك بمنحهم الهبات والعطايا لكبار المغول، إضافة إلى ذلك منحهم ألقاب الشرف وعززهم في مناصبهم وكانت نتيجة ذلك استجابة الكثير من هؤلاء لدعوته.[3]

ونهج طريق الصداقة مع سلاطين مصر والشام، ومن أثر اعتناقهم الإسلام فتح أبواب التجارة بين الطرفين وحل الصفاء والمودة محل العداوة.[4]

وساد الأمن والسلام وتظاهروا بالعطف على الإسلام إلى جانب تطور قوتهم بسبب انتشار الإسلام في البلاد ونشر اللغة العربية وأبدوا سياسة التسامح مع المسلمين ،وذلك كان أثر هذا التسامح أعضاء العلماء ورجال الذين وأشراف بيت المال من الضرائب ولم يكتفوا بذلك فقط، بل أنهم نقشوا على عملتهم كلمة الشهادتان ذلك على عهد الإيلخان

---

[1]- ابن خلدون عبد الرحمن، **العبر وديوان المبتدا والخبر** ، المصدر السابق، ج5، ص545.

[2]- نفسه،ج5، ص546.

[3]- أرنولدتوماس، **الدعوة إلى الإسلام**، تر: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970، ص260.

[4]- الهمداني رشيد الدين، المصدر السابق، ج2، ص97.

كيخاتو وبايدو وغيرهم، وكان بايدوغير مسلم لكن أدخل ابنه الإسلام وكان يرسله لصلاة مع المسلمين.[1]

أما بالنسبة للخان الأعظم عند المغول كان يحكمها في هذه الفترة **تيمور أو لجاتيو** كان في العاصمة **قراقورم** وأبلغه باعتناق رجاله الإسلام فغضب الخان الأعظم، وأرسل إلى غازان يأمره بالسجود للأصنام ولكن جميع الأمراء رفضوا ،ذلك وطلب منهم القدوم ناقشوه عما يجري وظلوا ثابتين على الدين وقد أقنع أننده الخان الأعظم بأن معظم أهل ولايته مسلمون وليس من المصلحة إجبارهم على ترك الإسلام ،وبعد ذلك أمر بإخراج الأمراء من السجن وكان على رأسهم الخان غازان بخروجهم أمر أننده بتحطيم الأصنام وخرب معابدها وعملوا على تقوية الدين وأقاموا المساجد في معسكراتهم، ومن ثم إنتشر الإسلام في نواحي الصين وتركستان وغيرها.[2]

ويرجع الفضل في دخول المغول للإسلام لإحتكاكهم بالعباسيين ومماليك الشام ومصر ومن ثم كان الأثر الأكبر في رفع رايات الإسلام في كل مكان، وبروز التفوق الروحي للإسلام.[3]

وقد قام غازان خان لفترة وجيزة دامت أربع أشهر في جعل الإسلام دين دولة الرسمي لها، ثم دخل الكثير من طوائف التتار الأخرى من كل الضواحي والبوادي .[4]

ومن آثار ذلك أنه حرم عند المغول زواج النساء الآبات زوجة الأب وسمح لهم بالزواج من المسلمين والمسلمات، ويعد إسلام المغول نقطة تحول كبيرة في تاريخهم أدخل الإسلام محل الوثنية والتسامح والمحبة محل الحقد والكراهية، والصلح محل الغزو وتغلب النظام والحضارة على الجهل والفوضة، حيث أزيلت كل الحواجز التي تحول دون تفاهم

[1]- رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص184.

[2]- الهمداني محى الدين، المصدر السابق، ص31.

[3]- عماد الدين خليل، **المغول**، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، دار الفرقان، ، 1985، ص75.

[4]- بدر مصطفى طه، المرجع السابق، ص14.

بين الحكام فيما بينهم وجعل للحكام حب لرعايتهم وعطفوا عليهم، مما ساعد الإسلام إندماج المغول داخل المجتمع الإسلامي بسرعة.[1]

وأصبح لهم تاريخ سياسي عريقة كما كانت من الآثار التي ترتبت على إسلام هؤلاء أن طرأ تحول كبير على رسم المكاتبات بين الإلخانيين والسلاطين المماليك المصرية ،بعد أن كانت من قبل المراسلات بينهم تعتمد على العداوة، ومن الناحية الاجتماعية أيضا عمد المغول على إجراء بعض التغييرات على كثير من القوانين والعادات التي تمس الديانة الإسلامية، وقامو بتجديد قوانين الياسة.[2]

واستبدلوا كلمة إيلجي بكلمة رسول وألزموا أهل الذمة بفرض الجزية واستبدلوا لباسهم حيث نزعوا التاج أو الخوذة المغولية ،واستبدلوها بالعمامة وحاربوا الربا وشرب الخمر.[3] وشجعوا الزواج والصدقات وتكوين أسرة، وضبطوا دفاتر الدواوين والأوقاف وذلك من أجل حذف بعض الأمور التي كان يعتمدها على المنجمين واليهود.[4]

كما قاموا ببناء المساجد والجوامع والأوقاف ،وفرضوا الجزية على اليهود والنصارى وحرصوا على تطبيق شعائر الدين ونشروا اللغة العربية ،ونقشوا على السكة الشهادتين وعلى الرسائل الإدارية الله أعلى، وقد كان إسلام المغول وحجهم إلى بيت الله محل تقدير سلاطين المماليك وتشجيعهم لهم.[5]

---

[1]- عبد المعطي الصياد، ، المرجع السابق، ص261.

[2]- القلقشندي ، المصدر السابق، ج8، ص65.

[3]- الهمداني، المصدر السابق، ص149.

[4]- المقريزي، **السلوك** ، المصدر السابق، ج1، ص70.

[5]- نفسه، ص71.

الفصل الثالث: السطوة العسكرية السياسية والاقتصادية المغولية على سلاطين المماليك.

أولا: التأثيرات المغولية الحضارية على الجانب العسكري لسلاطين المماليك.

ثانيا: التأثيرات المغولية الحضارية على الجانب السياسي لسلاطين المماليك.

ثالثا: التأثيرات المغولية الحضارية على الجانب الاقتصادي لسلاطين المماليك.

أولا: التأثيرات المغولية الحضارية على الجانب العسكري لدولة سلاطين المماليك.

عمل المغول على تنظيم جيشهم فانقسموا إلى فرق كبيرة تتكون كل منها من عشرة آلاف رجل وهذه المجموعة تنقسم بدورها إلى فرق من مائة وفرق من عشرة، أما كل فرقة يكون على رأسها قائد يتصرف في فرقته حسب ما يراه على أن تلك القوات جميعا كانت ترجع في النهاية إلى الخاقان الأعظم وقد يجعل هذا الأخير أساس الترقية في يده من رتبة إلى رتبة أعلى منها، وذلك يعتمد على كفاءة الجند وبالتالي فقد كان الجيش المغولي أكثر تنظيما لدرجة أعجب به سلاطين المماليك أثناء قدومهم في معركة عين جالوت حينما شاهدوا جيشا عظيما صاخبا منظما محكما وكأنه جسم واحد متحرك.[1]

فلم ينس المغول أن ينظموا جيوشهم تنظيما محكما أثناء قتالهم ضد أعدائهم فقسموا جيوشهم إلى وسط وجناحين أيمن وأيسر، فتتحرك هذه الفصائل أثناء المواقع الحربية إلى ذلك وكانت القوات الوسط تتكون من فرق ثقيلة أمامية وأخرى خفيفة خلفية ، أما الأخيرة فتكون مسلحة بأدوات الحرب الخفيفة حتى تتمكن من التنقل من مكان إلى آخر ومناورة العدو فيسهل بذلك على الفرق الثقيلة الأمامية التنكيل به.[2]

فبالنسبة لفن الحرب عند المغول فقد كانت أسلحتهم الحربية ولا تزال من الأمور التي يقف عندها الباحثون، فقد كانوا يستعملون خلاف القوس والنشاب والسيوف والمجانيق آلات لقذف الرماح على الأعداء Machines Lancer des Javelots.[3]

[1]– حافظ أحمد حمدي، الشرق الإسلامي،المرجع السابق، ص133.

[2]– إيناس حسن محمد، المرجع السابق، ص97.

[3]- حافظ أحمد حمدي،الشرق الإسلامي،المرجع السابق، ص134

وهي تستعمل في قذف السهام بكثرة ولمسافات بعيدة على الأعداء كما كانوا يستعملون آلات متشابهة لقذف اللهب Machines a Lancer des post de naphts تساعدهم على إشعال الحرائق في المدن المحاصرة .[1]

وكان التوكان أوتومان الذين يتكونون من عشرة آلاف محارب قائد هؤلاء يطلق عليه نويان أو نوين، والكوكبة التي تتألف من خمسين شخصا محارب يطلق على قائدهم يوزباشي، أما المقدمة يسمى قائدها أو نباشي وهي تتكون من خمسين أيضا وبالنسبة للجماعة التي تتألف من عشرة محاربين والتي تعتبر أصغر وحدة مقاتلة قد يجوز تجزئتها تقاتل وتعيش وتموت سوية.[2]

إضافة إلى ذلك كانت جميع هذه الوحدات تزود بالخيول التي تعتبر السلاح الرئيسي للمغول فكانوا يختارونهم الجياد ذات اللون الواحد، وهؤلاء الخيالة مقسمين إلى ثلاثة أنواع منها السر ايا الفدائية واجبها فتح المعركة، وذلك بالشروع بالقتال والاشتباك مع العدو، وسرايا الصاعقة وهي الخيالة الثقيلة واجبها المطاردة وستر الجناحين في القتال, فكان سلاح الخيالة الصاعقة الثقيلة هو السيف وقوسين للسهام إضافة إلى سهاما وفأسا ثقيلة.[3]

كان المغول يقسمون قوتهم إلى أربع أقسام: المقدمة والمجنبة والمؤخرة وفي وسطهم تسير الماشية وعربات العائلات وهذه الطريقة التنظيمية تعتبر أول تأثير اتخذه سلاطين المماليك من المغول فى هذا الجانب.[4]

أيضا كان المغول أثناء حروبهم يترك خيمهم منصوبة والنار مضرمة فيها كما لو كان المعسكر آهلا حتى إذا جاء أعدائهم لقتالهم لم يحسوا بتحركاتهم أثناء تغيير مناطقهم,أيضا

---

[1]– حافظ أحمد حمدي،الشرق الاسلامى ،المرجع السابق، ص134.

[2]- فتيحة النبراوي، قضايا العالم الإسلامي ومشكلاته السياسية، منشأة المعارف الإسكندرية، 1983، ص72.

[3]– نفسه، ص73.

[4]– إيناس حسن محمد، المرجع السابق، ص61.

القيام بمهاجمة أعدائهم قبل مهاجمتهم لهم فكلها كانت تأثيرات إيجابية للجيش المملوكي فيما بعد[1].

فمن التأثيرات الإيجابية التي أخذها سلاطين المماليك من القبائل المغولية أنهم أخذوا عنهم السرعة والخفة إضافة إلى تحركات الجيوش وكأنها يد واحدة، وسرعة إطباقهم على العدو ثم سرعة الرماية وأحكامها، فكل أعمالهم الحربية كانت قائمة على السرعة والقدرة في السبق والتبلج أي البدء بالحرب ،وهي المعبر عنها اليوم بالحرب الخاطفة كما اخذوا عنهم القتال بالنبال ذات الأطراف الفولاذية أو العظمية أو القرنية، وهاتين الأخيرتين اعتمد عليها المماليك عند اندماجهم بالمغول، واتخذوا سيوفهم المدببة الحادة الصالحة للطعن منها للضرب لأن المماليك قبل تأثرهم بالمغول كانت سيوفهم ودروعهم مسطحة ,أما دروع خيولهم كانت تصنع من الجلد المقسى المطلي إضافة إلى الجعبات الجلدية التي توضع فيها أسلحتهم وأمتعتهم التي يمكن نفخها ليستعينوا بها على اجتياز الأنهار.[2]

كما يوجد محاربون آخرون لإدارة المقاطعات المحتلة، وكان لديهم هيئة خاصة للاستخبارات تمكن سلاطين المماليك من التعرف على إمبراطورية المغول وأساليبهم وخططهم ونقاطهم الحيوية ومواردهم العسكرية، وكل ما يتعلق بالجانب العسكري ,أيضا استفادتهم من وصايا القواد لجيوشهم مثلا: يمنع اتصال قائد بقائد آخر من نفس الرتبة وليس له الأمر على القوات الأخرى غير التي يشرف عليهاهو فقط، كما لا يمكنه التدخل في شؤون غيره.[3]

---

[1]– أحمد حطيط، حروب المغول،المرجع السابق، ص36.

[2]– أحمد مختار العبادي،قيام دولة المماليك ،المرجع السابق، ص146.

[3]- محمد فتحي أمين، المرجع السابق ، ط2، مج1، ص87.

ومن أساليبهم في تسيير شؤون الجيش معاقبة بشدة كل من لم يسمع ويطع الأوامر، يكلف بالقيادة كل من كان عاقلا شجاعا، أما الضعفاء والعجزة فلا يتخذونهم للحروب أبدا، على جميع القادة الاجتماع مع حاكمهم الأكبر ليتلقوا الأوامر منه ويصغوا إلى نصحه.[1]

كما كان الجيش يتكون من العناصر الأصلية من نفس أصولهم ثم يضاف إليهم عناصر أخرى تلتحق بهم لكن لم يكن لها جاها كبيرا وإنما تكون تابعة فقط ,وهذه الطريقة اعتمدها أيضا المماليك حتى يحافظوا على نفوذهم وحتى لا يعتلي قوم آخرون مكانهم, ولما هاجم المغول العالم الإسلامي قبل مواجهتهم لسلاطين المماليك كان هؤلاء يترقبون كل تحركات الجيوش المغولية، وكل أفعالهم وطرقهم الحربية وكل خططهم وكانوا يعلمونهم لجيوشهم حتى أثناء مقاومتهم، لذلك استطاع المماليك التغلب عليهم، وقيل أن المغول وجدوا أنفسهم أمام قوة تكتيكية تشبههم تماما وكأنها صورة مصغرة لأنفسهم، وكان هذا يعتبر أكبر تأثير على المماليك في معركة عين جالوت وجدوا حتى أسلحتهم القتالية عند أعدائهم.[2]

إضافة إلى جمع الكثير من المهندسين والأخصائي في فن قذف المجانيق وآلات الحصار وإصلاح مختلف أدوات القتال واقتضاء الطاعة التامة، كما أن المماليك أثناء حروبهم أشركوا معهم مغول القبجاق واخذوا عنهم فن الحرب، كما أن نساء المغول يتمتعن بحرية كبيرة ويحاربن مثلما يحارب الرجال وصفوه القول أن الأمة المغولية كلها عملت في صفوف الجيش المغولي لتوفر ما يحتاج إليه من الطعام ومعدات وأدوية، أيضا اتخذ المماليك أثناء حروبهم البعض من النساء كان يشرفن على طبخ الطعام والتمريض وغيرها من الأعمال لمساندة الجيوش.[3]

[1]– محمد فتحي أمين، المرجع السابق ، ط2، مج1 ، ص87.

[2]– إيناس حسن محمد، المرجع السابق، ص98.

[3]– ابن بطوطة محمد بن عبد الله، المصدر السابق،ط2،ج1، ص60.

كما كان السلطان أو الخان الأعظم في مقدمة الجيش بمعنى كلا الطرفين يخرج زعيمه الأعظم ويسير في مقدمتهم، ويكون على جبهة عريضة وبثلاثة أرتال جناح أيسر ووسط وكان الجناح الأيمن والأيسر يتقدمان على مستوى واحد تقريبا، في حين كان وسط الجيش يتقدم متأخرا قليلا عن الجناحين الأولين بحيث يسمح له بمساندة أي منهما دون أن يعرض نفسه للصدمة المعادية، كما يسمح في الوقت نفسه للجناحين بتطويق مؤخرة العدو إذا تعرض الوسط للمهاجمة.[1]

والملاحظ عن معارك المغول أنها كلها تبدأ في فصل الشتاء وتنتهي مع نهاية فصل الربيع هذا راجع إلى البيئة التي يقطنون بها وهم لا يتحملون الصيف وحره، إضافة إلى لبستهم الجلدية، أما معارك المماليك السلطانية فكانت في فصل الصيف وتنتهي في الخريف وهذا الوقت تشتد فيه الحرارة في بلاد الشام وتنقص كمية الماء في الأنهار والأفلاج.[2]

فهناك بعض الأمور التي تأثر بها سلاطين المماليك على الجانب العسكري المغولي حين كان المغول يقسمون غنائمهم الحربية، فكان كل خان يأخذ نصيبه حتى ولم يشارك في الحرب ورغم تقسمهم وتفرعهم للحكم في مختلف الأماكن هذا الجانب اعتمده المماليك أيضا كما استعمل المغول الأسرى فكانوا يعرضونهم في واجهة الحر ب القتالية والمغول يكونوا خلفهم، وبذلك يستهلكون قوة أعدائهم في قتل الأسرى وفي الوقت المناسب يتقدم المغول للقضاء على خصومهم وكانت من بين أهم ما أخذه سلاطين المماليك من المغول.[3]

ويشير أحد الباحثين إلى أن المماليك قلدوا المغول في خططهم الحربية، فقد قامت خطة الحرب عند المغول على استخدام الكشافة وهي طائفة من الجند تسير على مسافة من

---

[1]- محمد فتحي أمين، المرجع السابق، ط2، مج1 ،ص88.

[2]- محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص116.

[3]- نفسه، ص41.

مقدمة الجيوش ومهمتها مراقبة العدو وبعد أن تتخذ من التدابير والوسائل ما يكفل عدم إحساس العدو بحركاتها.[1]

بدخول بركة الإسلام تمت علاقة وطيدة بينه وبين بيبرس وبعد صراع هولاكو مع بركة وإعادة إحياء الخلافة العباسية أدى إلى تحقيق نتائج منها أن كشافة المسلمين قد خرجت من دمشق وغيرها فظفروا بكثير من المغول يريدون القدوم إلى مصر مستأمنين وفي الإسلام راغبين.[2] وكان من بينهم بعض الأعيان وقد بلغ عددهم حوالي ألف نفس كان هؤلاء قد أرسلهم الخان بركة نجدة لهولاكو فأقاموا عنده مدة فلما وقع الخلاف بين هولاكو وبركة كتب هذا الأخير إليهم بأن يفارقوا هولاكو أو يتوجهوا إلى الديار المصرية.[3]

ولما علم السلطان بوصولهم إلى الحدود الشامية كتب إلى نوابه في بلاد الشام بأن يكرمهم والإقامة بهم وحمل الخلع إليهم وإلى نسائهم والإحسان إلى مقدميهم وبدأ السلطان يستعد لاستقبالهم وقد خرج أهل القاهرة ومصر للقائهم و أمر السلطان بإقامة المساكن لهم في اللوق (باب اللوق حاليا) ,ولما قرب المغول وشاهدوا السلطان نزلوا وقبلوا الأرض فأقام السلطان حفلا صاخبا باللوق وأمر كبراءهم بمائة فارس، وباقيهم أنزلهم في جملة بحريته ومماليكه (يعني ضم الكشافة إلى جيشه) وصار كل منهم كأمير مستقل له الأجناد والغلمان وأسبغت عليهم النعم ظاهرة وباطنة.[4]

كما كتب السلطان إلى الخان بركة كتابا وأرسل معه الفقيه مجد الدين والأمير سيف الدين كشتك وحثه في الخطاب على الجهاد ووصف له عساكر المسلمين في مصر والشام وكثرتهم وعدة أجناسهم وما فيها من خيل وتركمان وعشائر وأكراد وأنها كلها سامعة مطيعة،

[1]– عبد العزيز محمود عبد الدائم، المرجع السابق، ص137.

[2]– المقريزي، المصدر السابق، ج1،ص473.

[3]–الداودار ي ركن الدين، المصدر السابق، ص84.

[4]– ابن عبد الظاهر محى الدين ،المصدر السابق، ص137-138.

كما أرسل أيضا له الهدايا العظيمة كان فيها فيل وزرافة، إضافة إلى الكتاب أرسل أيضا له رسالة شفهية فيها صلاح.[1]

والكشافة كما قلت هي طائفة الجند تتخذ من التدابير والوسائل ما يكفل عدم إحساس العدو بحركاتها, ويليها فرقة من الفرسان يركبون البراذين ويتخذون أماكنهم في مقدمة الجيش وعلى المجنبتين مهمتهم مباغتة العدو بإرسال وابل من سهامهم عليه حتى يقع الاضطراب بين صفوفه ، فإذا انتهى هؤلاء من عملهم وجد العدو نفسه مشتبكا في صراع عنيف مع الفرسان المدركين الذين يتخذون مواضعهم في قلب الجيش، ويعتمدون في قتالهم على استخدام السيوف، وفي كل هذه العمليات يحرص التتار على استدراج عدوهم إلى المكان الذي يختارونه للإيقاع به فيتظاهرون بالانسحاب من موضعهم حتى يطمع الذي نصبه له وهذه الطريقة درسها جيدا قطز السلطان عند مواجهته لهم، ووضع كل احتياطاته لذلك فكانت سببا في انتصار السلاطين المماليك، كذلك كان المغول يطمئنون عدوهم بالإبتعاد عن قواعده الأصلية حتى يوقعه في الكمين الذي نصبه له.[2]

أما الفروسية اعتبرت نظاما عسكريا محبوبا لذا كانت له خصائص فريدة أيام سلاطين المماليك في مصر والشام، وكان الجيش المملوكي يتألف من أربع فئات وهي المماليك السلطانية ويشملون مماليك السلاطين المتقدمين وهم القرانصة ومماليك السلاطين الذين في دست الحكم وهم المشتروات ويطلق عليهم في كثير من الأحيان الجلبان أو الأجلاب.[3]

أما الفئة الثانية فتشمل مماليك الأمراء أصحاب الإقطاعات وأرباب الدولة والوظائف ويعرفون باسم أجناد والأمراء ويطلق على الفئة الثالثة أجناد الحلقة وفئة أخرى تضم مماليك أبناء الأمراء واشتهر أولئك الأبناء باسم أولاد الناس.[1]

---

[1]– ابن عبد الظاهر محى الدين، المصدر السابق، ص140.

[2]– السيد الباز العربي، المماليك، المرجع السابق، ص252. عبد العزيز محمود عبد الدايم، المرجع السابق، ص137.

[3]- خليل بن شاهين الظاهري، المصدر السابق، ص116.

[4]–نفسه، ص116.

وجاء عناصر الجيش المملوكي من أجناس مختلفة أو لها جنس الترك لكن الترك يقصد بها جنس من المماليك الذين جاؤوا من بلاد القبجاق أصحاب سيادة في العصر المملوكي موطنهم حوض نهر أرتش ثم فئة منهم اتجه جنوبا حوض نهر سرداريا, بينما فئة أخرى اتجه إلى شرق أوروبا ودخل أكثرهم في صفوف التتار[1]. فبدأ امتزاج التتار والمغول بالترك ذلك بضمهم في صفوفهم مما جعل تشابه بين هاتين الدولتين ونشطت حركة جلب الرقيق من العناصر التي أخضعت للتتار على يد تجار مختلفين، وأقبل أبناء الملوك الأيوبيين على اقتناء أعداد كثيرة من ذلك لإنشاء الجيوش الكافية لحروبهم ولذا فإن معظم سلاطين المماليك في العصر المملوكي الأول من بلاد القبجاق وثم التتار بسعيهم فالسلطان أيبك تركي الأصل وقطز من المغول برغم دعواه بأنه ابن أخت خوارزم شاه وبيبرس مولده باقبجاق وجاء إلى القاهرة من سوق الرقيق بسيواس فقام الظاهر بيبرس شراء مماليك من بلاد التتار أيضا فندمج الجيش المملوكي المغول كما سار قلاوون على نهجه في استجلاب المماليك من الترك والتتار[2].

وكان لاستمرار الحرب بين ملوك التتار في الشرق أثر كبير في كثرة السبي من النساء والصبيان الذين جيء بهم إلى مختلف الأسواق في مصر والشام، فكان لحروب التتار أثر كبير في زيادة تجارة الرقيق وأيضا هجرة طوائف وأقوام من أجناس.[3]

ومنها طوائف تترية هؤلاء التحقوا كذلك بالجيش المملوكي وعينوا في مراتب على مما كان فيه طوائف العرب والكرد والتركمان، وا ٍنما ثقل عن مكانة المماليك السلطانية الذين اشتروا بالمال وقضوا مدة الرق في تعليم الفنون الحربية والقتالية والدينية ثم اكتفوا وأصبحوا جنودا مؤهلين.[4]

---

[1] - المقريزي تقى الدين، السلوك ، المصدر السابق، ج1، ص368. ابن تغري بردي جمال ابو المحاسن، المصدر السابق، ج6،ص850.

[2] - ابن الفرات ناصر الدين، المصدر السابق، ج8، ص87.

[3] - بيبرس الدواداري، المصدر السابق، ص268.

[4] - نفسه، ص268.

واعتبروا المماليك السلطانية أنفسهم أرباب الفروسية المملوكية فصاروا مكلفين بحماية الأعمال الساحلية بالشام, إضافة إلى جيش الوافدية الذي معظمهم من التتار القبجاق اتخذهم بركة خان للخدمة في جيش هولاكو، إلا أن مائتي فارسي بنسائهم وأولادهم هربوا واستقبلهم بيبرس السلطان وأعطاهم امتيازات وأصبحوا من أهم الفرق البحرية ثم افراد لكل منهم جهة إقطاعية بعيش فيها تظاهر بالدين والطاعة[1].

كل ما تأثر به المماليك واتخذه من المغول برز أثناء سيرهم لفتح البلدان يسير الفرسان ومعهم أولادهم ونساؤهم ويقود هذه المسيرة، الملك كما كان يلقب الرقيق على صاحبه أي التاجر الذي إشتراه فمثلا نجد التاجر المجير وكان أحد أمراء في عصر سلاطين المماليك اسمه حسام الدين المجيرى الذي لقب به السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى غازان ملك التتار برسالة سنة(801هـ\1398م)، حين سأله عن سبب تلقيبه بالمجيرى إذ قال نحن تشترينا التجار ونحن صغار ثم يجلبوننا إلى البلاد وينسب كل منا إلى تاجره وكان التجار يلقبوا يلقب خواجا[2].

وكانوا يختار الفرسان من يتصف بالجمال الخلقة وطول القامة وحداثة السن ويشترط في الفارس البلوغ حين يأخذ في المران على أنواع القتال من رمي السهام والرمح والضرب بالسيف فالفروسية شملت المهارة في ركوب الخيل.[3] وسوق البرجاس والمحمل ولعب الصولجان و استعمال الدبوس و المران على المصارعة وسباق الخيل, أما الملوك من الممالك يقتصر أن يتعلم استعمال الرمح والقوس و السيف وركب الخيل فقط و,أشارة الدراسات على الرمح الجيد يكون بين الدقيق و الغليظ خفيفا حتى يمكن حمله طول عشرة اذرع, أما بالنسبة

[1] - المقريزي، الخطط ، المصدر السابق، ج4، ص190.

[2] - السخاوي شمس الدين، الضوء اللامع مع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، 1992، ج2، ص328.

[3] - ابن تغري بردي جمال الدين ابو المحاسن ، المصدر السابق، ج2، ص672.

لطول الصولجان سبع عشرةقبضة حتى لا يحتاج في الإنحناء و أن تكون الكرة وسطا ولا تحشي قطنا ولا صوفا بل تحش بالوبر اخف وزنا واقل ضررا في الرمي.[1]

بالنسبة لسيوف فأخذوا منهم طريقة الصنع الجيد و أن السيف الذي يستعمل للملقن في التدريب غير السيوف التي يقاتل بها وهذا ما أتخذه من التتار وكان السيف القبض و القلعية ثم الهندية التي أتخذها المماليك عن طريق التجارة بالأسلحة بين المماليك مع المغول داخل أوطانهم الأصلية، فقد اتخذوا سلاطين المماليك من المغول عند الاعتداء عليهم وتأثروا بهم سيوفا ذات طول من أربع أشبار إلى خمسة وقد ودها مستوية يتساوى أعلاها وأسفلها في العرض، أما قبل تأثير المغول فقد كانت عرضها أصبعين ونصف أصبح وزنها من رطلين ونصف إلى ثلاثة أرطال أما بالنسبة للاصطبلات فلم يكن سلاطين المماليك يكنون لها أهمية كبرى تأثر الجيش المملوكي بالفروسية وهذا راجع للموقع الجغرافي المغولي ما يطلق عليهم سكان البراري.[2]

ومن صفات تدل على تأثير الفروسية فيهم نتيجة للبيئة التي يعيشون فيها ومن هذه الصفات الشدة والجرأة وحب القتال والنظر في العواقب فيتم بدابته وبسلاحه، وما يميز الجيشان الشجاعة والإقدام و الكبرياء واليقظة وحب المغامرة والمخاطرة ودقة الملاحظة والطاعة لزعمائهم وحرص على أن يتولى بنفسه أعداد سلاحه فهو الذي يديب حديد سيفه ويرهفه ويصفه وهو الذي يضع سائر آلته الحربية من سرج فرس ورمحه وسهامه وجعبته.[3]

فكل ما تأثر به سلاطين المماليك في الجانب العسكري يعد بنفسه حضارة، فكل من الكشافة والفروسية تعتبر حضارة وسبب اختيارهم وا إعجابهم بالفروسية لأنها تمكنهم من إخضاع الأقوام الذين تغلبوا على بلادهم وأغاروا عليها لما عندهم من النظم والتقاليد، وكان الفارس لما يتم مرحلة تدريبية بنجاح يزداد قدره وارتفع شأنه ويحصل على امتيازات جديدة

---

[1]- السيد الباز العرينى،المماليك، المرجع السابق،ص250 .

[2]- نفسه،ص250.

[3]- نفسه، ص261.

فيركب سرج نفيس ولجام مسقط ويلبس ثوبا من الحرير والقطن وقباء بألوان زاهية، وتمنح له خيمة بعمود واحد ويحفظها ستة عشر وتدا ويصبح أميرا عند بلوغه 35 من عمره[1].

أما علاقة مغول فارس والمماليك السلطانية في الجانب السياسي في بداية الأمر مقسمة إلى مرحلتين المرحلة الأولى تمثلت بغزو المغول لبلاد الشام واحتلالها لمرات عديدة ومحاولة التوغل لمصر للقضاء على المماليك، وكان لهم أثر في زرع الخراب والدمار في كل منطقة مروا بها وشجعوا التمرد بين الأمراء المماليك إضافة لذلك محاولة المغول لنشر الفساد في المجتمع الإسلامي لإفساد نقود المماليك مما أدى إلى انعكاس سلبي في المجال الإقتصادي والاجتماعي على المجتمع المصري.[2]

أما المرحلة الثانية فقد تمثلت في هزم المغول الإيلخانيين في موقعة جالوت وا ٍقرار هؤلاء بقوة سلاطين المماليك، كما أن هؤلاء فشلوا في الحصول على دعم من الأوروبيين لمحاصرة المماليك والقضاء عليهم وكذا اعتناق مغول القبجاق أبناء عم الإيلخانيين الإسلام مما شكلوا خطر على حدود دولة مغول فارس خاصة في ظل تخلفهم مع سلاطين المماليك، ولإقامة هؤلاء الإيلخانيين واستقرارهم في بلاد فارس والعراق فترة طويلة قد دفعهم هذا الأمر للتأثير بالحضارة الإسلامية المنتشرة ،هناك وبدخول هؤلاء إلى مصر تأثروا فيها نفسيا وعمليا وكان لهذه العوامل أثر بالغ في اعتناق الإبخابيين الديانة الإسلامية: هذا الشيء دفعهم إلى تحسين العلاقات السياسية والدبلوماسية مع سلاطين المماليك.[3]

كانت هناك تمردات وعصيان من قبل بعض الأمراء المماليك وهروبهم نحو المغول كان له أثر سلبي في أن المغول تشجعوا على استمرار سياسة الغزو ومهاجمة سلاطين المماليك من حين لآخر ،كما أن الإيلخانيين استفادوا من إيوائهم الأمراء الفارين إلى مصر وذلك بإطلاع على أسرارهم وخططهم العسكرية، كما إستفاد مغول فارس من هؤلاء المماليك في

[1]- أبو شامة، الروضتين ، المصدر السابق، ج1، ص14.

[2]- شوكت رمضان، المرجع السابق، ص382

[3]- السيد الباز العريني، المماليك، المرجع السابق، ص111.

صناعة المنجنيقات وغيرها من الأسلحة التي كانت سائدة آن ذاك كما أن المغول قد عمدوا إلى الإفادة من المماليك الأمراء الفاريين المقيمين في مصر والشام وعلى القيام بأعمال التجسس والتعرف على تحركات المماليك يعني أثر ذلك استفادوا منه في نظام الجوسسة.[1]

إضافة إلى ذلك أن تأرجح عرب الشام مع المماليك والإيلخانيين قد ساعد على إثارت الإحتكاك، في حين لما تولى أبو سعيد بها درخان كرسي الإيلخانيين إتبع سياسة أسلافه ولذلك قام بإستقبال زعماء القبائل العربية وتشجيعه إليهم وكان يتبادل الهدايا من الخيول[2]. لذلك إستقبله أبو سعيد ونائبه جوبان بحفاوة واقطعوه البصرة إضافة إلى بعض الإقطاعات التي كان يضمها في الشام ،وكانت هذه العلاقات سبب تدهور علاقتهم مع سلاطين المماليك إلا أن كان هناك صلح بين المغول فارس وسلاطين المماليك عام (723هـ/ 1323م) وتأثير ذلك وفق إعتداءات العربان وضعفت روح التمرد عند زعماء القبائل واضطروا إلى الإلتزام بسياسة الصلح بين المماليك والإيلخانيين[3].

كما عمل الطرفان أي المغول والمماليك بمعاقبة المتجسسين بأنهم طبقوا نفس العقوبات وذلك بقتل كل جاسوس يدخل بينهم، ومثال ذلك مقتل الفخر محمد بن يوسف الكنجي بجامع دمشق ,وابن بغيل وأن المظفر قطز قد قتل الملك سعيد حسن ابن العزيز عثمان صاحب الصبية وذلك لتجسسه من المماليك خدمة لهولاكو ولتعاونه مع كتبغا ,وكان يقتل شنقا وبقطع الأيدي والأرجل واللسان، إلا أن بعض السلاطين المماليك طبقوا سياسة العفو مما جعلوا كثيرا منهم على التوبةو العودة إلى بلادهم التي فروا منها خوفا من السلطة والعقوبات الصارمة التي وضعها للحد من الجوسسة.[4]

نعود لقولنا أن ما حدث بين هؤلاء المغول والمماليك من عقد صلح قد أحدث تحولات كبيرة في مجرى العلاقات السياسية بينهما وتوطيد العلاقات في مختلف المجالات وظهرت

[1]- شوكت رمضان، المرجع السابق، ص388.

[2]- فؤاد عبد المعطى الصياد، المرجع السابق، ص240.

[3]- نفسه، ص240.

[4]- ابن كثير ، المصدر السابق، ج14، ص12.

بوادر التعاون أو لهما التبادل الامني والثاني تبادل السفراء بمعنى علاقات دبلوماسية، وكان الملك الناصر يحافظ على علاقات الود والتعاون مع المغول ولم يسمح لأي شائبة بتعكير صفو هذه العلاقات ومن بين هذه السفرات (724هـ/ 1324م) كانت سفارة مغولية أرسلها الخان المغولي من أجل التهنئة بالعيد الأضحى تجمل بها ملابس المشاة.[1]

ومن علاقات المغولي بالمماليك كان لها تأثيرات أخرى مما أدى بوصول بعض الأسرى المغوليين إلى مراتب عليا في السلطة المملوكية عند غزوهم لبلاد الشام.[2]

وهؤلاء الأسرى عرفوا بقوتهم وشجاعتهم وحسن تسيرهم فتدر ج الكثير منهم في مناصب الدولة حتى وصلوا إلى رتب مرموقة داخل السلطة.[3]

ومن بينهم الأمير بيدار أصله مغولي أسر أثناء معركة عين جالوت ثم أخذ هذا الأخير بالترقيات حتى أصبح أمير مجلس ثم استدار وفي عهد قلاوون كان وزيرا ومن بعدها تولى النيابة على السلطة في مصر.[4] في فترة حكم الإشراف خليل من قتل على يد الأشرفية، وكذا الأمير سيف الدين سلار أصله مغولي أيضا مغولي أو يراتي أسر في معركة الابلستين 675هـ/1276م وقام المنصور قلاوون بشراءه وأعطاه منصب في السلطة وبدأ يترقى إلى أن وصل نائب للسلطة في مصر، وحتى السلطان العادل كتبغا أصله مغولي أيضا أخذه الملك المنصور قلاوون في أيام إمراته وأعتقه ثم رقاه وصار من كبار الأمراء في مصر وعند خلع النار محمد تولى كتبغا السلطة فهذا من أهم التأثيرات الحضارية المغولية على الجانب السياسي و العسكري فاستطاع المغول بقومه و ذكاءه الوصول إلى السلطة.[5]

عضت أرض مصر و الشلم بطوائف المغول سواء القبجان والأويرات وفرس بكثرة ونشروا عادتهم بها خاصة المغول القبجان في الجوانب العسكرية وغيرها وحق أكبرها على مدى

---

[1]- أبو الفداء ، المصدر السابق، ج4، ص93

[2]- نفسه،ج4، ص387.

[3]- نفسه،ج4، ص387.

[4]- ابن تغري بردي، المنهل الصافي ، المصدر السابق، ج6، ص13.

[5]– ابن تغرري بردي، النجوم الزاهرة، المصدر السابق، ج8،، ص55.

النشاط الحربي و العمران في إقامة العديد من المنشأة المدينة في مصر ذلك عصر سلاطين المماليك.[1]

من جهة عصر للسلاطين المماليك بتخصيص أحياء وأماكن خاصة بالمغول لإسكانهم بالقاهرة مثل اللوق والقلعة مركز الحكم السلاطين، كما عمل هؤلاء الملوك بمنع إحتكاك المغول بالسكان الأهالي خلصة وكانت هذه العناصر تتسم بخصائص و طبائع مختلفة تماما عن طبائع الشعب المصري.[2]

إلا أن ذلك لم يمنع بتأثيرات وتسرب للعديد من المؤثرات العسكرية بل و امتد التأثير المغولي حتى إلا الملابس للعسكرية التي كان يرتديها قادة وا ٍمراء وجند الجيش الملوكي وحتى الملابس التي كان يرتديها سلاطين المماليك أنفسهم كم،ا أخذ الجيش المملوكي العديد من الأسلحة و الذروع التي أتى بها المغول القبجاق الإيلخانيين.[3]

فمن ناحية المؤثرات العسكرية أن أصل المماليك السلطانية التي تبدأ من بيرس إلى الناصر محمد قلاوون الذين نزحوا من أواسط أسيا حتى النظام العسكري المعمول به على ضفاف الفولجا, هذا النظام نجده أيضا على ضفاف النيل وكذلك فيما يتعلق بفرق الجيش المملوكي وتنظيماتهوأرباب الوظائف فيه من الأمراء والأجناد والرتب و الألقاب العسكرية أن إستحدثت مع وفود المغول ،والألفاظ والاصطلاحات العسكرية المتعارف على استخدامها داخل الفرق الجيش وفي ميدان الحروب والقتال وحتى الزي الرسمي العسكري لهذا الجيش فقد تأثرت بنفس الأزياء أو الملابس المغولية،[4] وكذلك بعض الأسلحة وحتى التكتيكات العسكرية التي استخدمها الجيش المملوكي في حروبه مع المغول فارس بصفة خاصة وحتى مع الصلبيين

[1]- القلقشندي ، المصدر السابق، ج4، ص458.

[2]- المقريزي، الخطط ، المصدر السابق، ج4، ص195.

[3]- نفسه، ج4، ص195.

[4]- صلاح الدين محمد نور، المرجع السابق، ص52.

التي مكنت السلاطين الأوائل من إحراز الإنتصارات الحاسمة بمعنى تأثير من الحرب والقتال عن المماليك بفن الحرب والقتال لدى المغول.[1]

وحتى الألقاب التي اتخذها سلاطين الدولة المملوكية التي امتدت داخل هيكل الجيش المملوكي والتي يمكن أن نقدم منها لقب طرخان أو ترخان وهم الأمراء الذين أقعدهم المرض وأكبر السن عن أداء واجباتهم الحربية.[2] فهذا اللقب يفيد امتياز حامله بالإعفاء من كل التكاليف فهو لا يدفع نصيبا مما يغنم في الحرب ويدخل على الملك وقت ما يشاء ولا يتعرض لحساب إذا وزر وازره.[3]

من بين الألقاب التي تأثروا بها أيضا طوغان و هو لقب مغولي معناه الصقر أطلق هذا اللقب على العديد من الأمراء الممليك،أيضا نجد بكتمر ومعناه الأمير الجديد مثل أمير سيف الدين بكتمر كندار أمير جندار في سلطنة السلاطين المماليك[4].

وسلار ومعناه النبيل و هذا الإسم كان يلقب به أحد الخانات قبيلة القبجاق الذهبية ويسمى أزبك خان،بهادر وهو لقب معناه مبارز وشجاع وكان يلقب العديد من أمراء المماليك ذوي أصول مغولية وتركية به[5].

ومن التأثيرات المغولية أيضا على النظم العسكرية وصلت إلى حد إطلاق مسميات مغولية على معسكرات الجيش المملوكي التي كانت تنصب في ميادين المعارك أثناء الصراع المماليك مع الصليبيين وحتى مع المغول في بلاد الشام وآسيا الصغرى،وعلى سبيل المثال كان يطلق إسم الوطاقات أوتاق أوتاغ ويعني به الخيمة أو مجموعة الخيام أو

[1]– صلاح الدين محمد نور، المرجع السابق، ص52.

[2]– السيد الباز العريني، المماليك، المرجع السابق، ص195.

[3]– عبد العزيز محمود عبد الدايم، المرجع السابق، ص141.

[4]-ابن تغري بردى جمال أبو المحاسن،المنهل الصافي ،**المصدر السابق**،ج3،ص129.

[5]- فؤاد عبد المعطى الصياد،المرجع السابق،ص241.

المعسكرات التي كان ينزل بها الجيش المملوكي وظلت هذه الكلمة تستعمل حتى نهاية العصر المملوكي في مصر و الشام[1].

ونجد أول ذكر لها في أوائل سلطنة الأشرف خليل بن المنصور قلاوون عام (689هـ/1290م) كما ذكرت في عصر سلطنة المظفر حاجي بن ناصر محمد بن قلاوون وسلطنة الأشرف جانبلاط بن عبد الله في عصر الدولة سلاطين المماليك الثانية الجركسية، وقيل أنها عبارة عن خيمة كبيرة تعد للعظماء كما كان ينزل بها السلطان المملوكي في معاركه[2].

كما كان يطلق لفظ قشلاق على الأماكن التي تقام بها المعسكرات المملوكية وكان يطلقها المغول على خيام المعسكرات جيوشهم في فصل الشتاء، وقشلاق ظلت تطلق على ثكنات أو معسكرات الجيش المصري حتى العصر الحديث[3].

وقد كان الجيش المغولي في صفوف الجيش المملوكي وأصبح عنصر رئيسي وقادة وأمراء، مما برز على سلاطين المماليك العصبية القبلية وكان إختيار المغول في الجيوش بسلاتهم وشجاعتهم وتجنبهم الغدر مع تمام قاماتهم وحسن صورهم و طرافة شمائلهم[4].

وعلى سواعدهم وأكتافهم بني هذا الجيش وبرزت القوة العسكرية للجيش المملوكي في فترتها الأولى أصبحت بهم مصر محمية الجوانب، وحمد الإسلام مواقفهم في حماية الدين وحتى القوانين التي كانت تحدد العلاقات بين القادة والجند في الجيش كان عليهم أن يأخذوا من القوانين المغولية حتى يستطيعوا إنشاء جيش مملوكي قوي في مصر وبلاد الشام، يكون سندا لدولة ضد الخطر الخارجي وبهذا كانت التنظيمات الجيش الأولى المملوكي خاصة تشابه إلى حد كبير مع النظم المغولية[5].

---

[1] -الدوادارى بيبرس المنصور ،المصدر السابق،ص276.

[2] -نفسه،277.

[3] - فؤاد عبد المعطى الصياد،المرجع السابق،ص247.

[4] - القلقشندي ابو العباس،المصدر السابق،ج4،ص458.

[5] - المقريزي تقى الدين،الخطط،المصدر السابق،ج4،ص214.

و على ذلك سار سلاطين المماليك على قاعدة ملوك غالب أحكام جنكيز خان من أمر اليسق و الثورا.و السيق كلمة مغولية معناها الترتيب و الثورا،[1] معناها المذهب بالمغولية و تأثروا بالقوانين المغولية مثال ضرب البوقات أثناءالمعركة بدايتها وا إعلان نهايتها، وتجديد الوظائف وقد قسمت الياسا إلى خمس قواعد وتعتبر القاعدة الخامسة تتعلق بالجانب العسكري و التي كانت الأساس الذي قام عليه نظام المماليك العسكري في مصر، فأتخذ سلاطين المماليك من للياسا القوانين الخاصة باضوابط و التنظيمات العسكرية للجيوش المغولية كما إقتبسوا منهم القوانين السير العسكري لكونهم كانوا أشد الحاجة لوجود هذه القوانين و الإعمال بها في المرحلة الأولى لتأسيس الدولة المملوكية على أسس راسخة قوية وإ ختصوا من القوانين كل ما يتعلق بالعقوبات[2].

ومن أهم التأثيرات المغولية على دولة المماليك أيضا هو قيام السلطان الملك الظاهر بيبرس سلوك مسك ملوك المغول في مملكته من شعائر للمملكة وإ ستحداث بعض الوظائف فعمل بما أمكنه من ذلك و رتب أشياء كثيرة لم تكن قبل ذلك بمصر[3].

ولعل أمثلة هذه الوظائف تؤكد الأثر المغولي على النظام العسكري الذي أنشأه بيبرس و السلاطين الذين جاؤوا من بعده أمير سلاح ورأس نوبة النوب وأمير مجلس وأمير أخور و لمير جاندار وأمير علم والسراخور وكذلك الألقاب التي يغلب عليها الطابع العسكري[4].

التي ذكرتها من قبل و أنها كلها لها علاقة وطيدة بالجيش المملوكي وتنظيماته مثل السقاه والسلاحدارية والجمدارية، وخلال حكم بيبرس جاء وفد من الفرسان قرابة ثلاثة آلاف فارس منحهم السلطان رتبة طبلخناه وآخرين أمير عشرة وأمير عشرين ومنهم من جعله السقاه وإ ندمج مع البعض الآخر في قوات الأمراء، وكل وظيفة من هذه الوظائف كان يعهد

---

[1] - المقريزي،الخطط،المصدر السابق،ج4،ص215.

[2] - صلاح الدين محمد نور،المرجع السابق،ص61.

[3] - عبد العزيز محمود عبد الدايم،المرجع السابق،ص141.

[4] - أبو المحاسن،النجوم الزاهرة ،المصدر السابق،ج7،ص174.

بها إلى شخص واحد أو عدة أشخاص على غرار النمط الذي كان معمولا به عند المغول أيام جنكيز خان و بعد وفاته أيضا[1].

ومن بين هذه الطوائف أمير علم والتي مهمته تتمثل في الإشراف على الأعلام السلطانية[2]. والطبلخاناة عند ضربها في كل ليلة وتول أمرها في السفر والإحتياط عليها في الحرب وحث العسكر على الأقدام و المبارزة أو الكف حسب ما يقتضيه الحال[3]. وكان من يتولى هذه الوظيفة عسكر برتبة أمير عشرة ولكنها صارت بعد ذلك يشغلها أحيانا قوم بغير أمره[4].

إضافة إلى ذلك إتخذوا وظيفة نقابة الجيش و تأثروا بها ونقيب الجيش هذه كان يقوم بها الجندي المكلف فيجمع الجند عند الطلب و إعلامهم بالمهمات المطلوبة منهم و تفقدوا أحوالهم في جميع الأوقات، وكان من مهمته التكفل بإحضار من يطلبه السلطان من الأمراء وأجناد الحلقة ونحوهم و التوسيم على من يطلب الترسيم عليه وكان يتحدث على عدد من النقباء كما كان يحلى الجند في المواكب[5]. وفي أواخر عصر المماليك كان يشغل هذه الوظيفة من يأمره أو بغير أمره[6].

خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي أصبحت هذه الوظيفة مصدر ظلم كبير وذلك بأن صار نقيب الجيش عبارة عن كبير النقباء المعدين لترويج خلق الله تعالى وأخذ أموالهم بالباطل، على سبيل القهر عند طلب أحد إلى باب الحاجب وكانوا يتولوون على أموال الناس بحجة حق الطريق، وبذلك كانوا أحد أسباب خراب الإقليم[7].

---

[1]-ابن تغرى بردى جمال أبو المحاسن، النجوم الزاهرة ،المصدر السابق،ج7،ص183.

[2]- القلقشندي ابو العباس ،المصدر السابق،ج4،ص13.

[3]-السبكي عبد الوهاب،**معيد النعم و مبيد النقم**، تر: محمد علي النجار ،دار الكتاب العربي،القاهرة،1948،مج1،ص37.

[4]- ابن شاهين الظاهري، ،المصدر السابق،ص115.

[5]- ابن إياس محمد بن احمد ،المصدر السابق،ج1،ص 324.

[6]- ابن شاهين الظاهري،المصدر السابق،ص115.

[7]- المقريزي،**الخطط** ،المصدر السابق،ج2،ص223.

فمن الوظائف التي اقتبسها المماليك من المغول و تأثروا بها وظيفة أمير سلاح فكان لقب يطلق على من يتولى أمر سلاح السلطان المملوكي أو أمير في مجامع الجامعة[1].

ولم تكن هذه الوظيفة تعرف قبل ذلك بمصر وأمير سلاح هو أمير السلحدارية والمشرف على سلاح خاناه أو مخازن للأسلحة بما فيها من أدوات وأسلحة وبأمره كانت تدخل إليها الأسلحة وتخرج منها وتحفظ بها، وكان لها دور رئيسي في المراسيم السلطانية[2]. كان يتولى وصل السلاح السلطان في المجامع العامة[3]. ويناول السلطان آلة السلاح في الحرب وفي يوم العيد[4]. وكان يعين لها دائما أمير مائة مقدم ألف[5].

و أصبحت وظيفة أمير سلاحا من وظائف العسكرية الكبرى في عصر المماليك إذ إعتبرها القلقشندي الوظيفة الخامسة بين كبرى الوظائف التي يشغلها عسكريون في القصر السلطاني[6]. ثم علت درجتها حق إعتبارها خليل الظاهري ثانية الوظائف العسكرية بحيث صارتتلي مباشرة وظيفة أتابك العسكر و الأمير الكبير[7].

أما الجمدارية والجمدار وصاحب هذه الوظيفو والذي يعتمد عليه لإلباس السلطان والأمير ثيابه العسكرية و هي وظيفة مستحدثة[8].

---

[1] - صلاح الدين محمد نور، المرجع السابق، ص 65.

[2] - عبد العزيز محمود عبد الدايم، المرجع السابق، ص 141.

[3] - حسن الباشا،**الفنون الإسلامية و الوظائف على الآثار العربية**، دم، القاهرة، 2014، ج1، ص 225.

[4] - عبد المنعم ماجد، **نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر**، مكتبة الأنجوا المصرية، القاهرة، 1979، ج2، ص 50.

[5] - حسن الباشا، **الفنون الإسلامية**، المرجع السابق، ج1، ص 226.

[6] - عبد العزيز محمود عبد الدايم،المرجع السابق،ص142.القلقشندي ،المصدر السابق، ج4، ص 14.

[7] - عبد العزيز محمود عبد الدايم، المرجع السابق،ص142. ابن شاهين الظاهري، المصدر السابق، ص 14.

[8] - صلاح الدين محمد نور، المرجع السابق، ص 69.

وهناك وظيفة تشبهها في الإسم وهي أمير جندار ومعناها الروح و هي تتكون من ثلاث كلمات أمير العربية وجان الفارسية و التركية، وهي الروح و دار الفارسية ومعناها ممسك أي أمير الممسك للروح[1].

وكانت من مهامه الإشراف لعى الزردخاناه وهو معتقل رفع قدرا من السجن و لا تطول به مدة المعتقل أي تكون فيه فترة قصيرة إما أن يفرج عليه أو يتم قتله، وكان هو الذي يتولى تنفيذ العقوبة والقتل حسب رغبة السلطان ومن هنا أطلق عليه هذا الإسم الأخير الممسك للروح أو أمير جندار[2].

وتكمن مهام أمير الجندار في قيامه بحراسة السلطان داخل المجلس ومعه المسمون البردرارية أو بردارية أيضا يقوم بحراسة السلطان أثناء الخروجات عن طريق من يسمون الركبدارية وركابدرية أو الركابية[3].

وهؤلاء يركبون الخيل ويحملون أيضا آلات السلطان و أشعرته، فيكون الأمير جندار على رأسهم كما يحرسه في القصر عن طريق من يسمون الجندارية أو جندارية[4].و الذي بلغ عدد عدد رؤسائهم عشرة أمراء جندارية وربما يقوم أيضا بحراسة حريم السلطان عن طريق فرقة إسمها الحرامانية أي رجال الحريم[5].

كما ذكرت وظيفة سابقة أمير السلحدارية و هو مقدم من الجيش المماليك السلطانية وكان عند المغول السلحدارهم جماعة يحملون السهام والأقواس وغير ها من الأسلحة التي تقدم للجند و القادة وخاناتهم أثناء المعركة، وفيما بعد أسندت هذه الوظيفة إلى شخص واحد يطلق عليه إسم قورجي[6].

---

[1] - عبد العزيز محمود عبد الدايم،المرجع السابق،ص145.

[2] - حسن الباشا، **الفنون الإسلامية، المرجع السابق**، ج1، ص 197.

[3] - المقريزي، **السلوك**، المصدر السابق، ج1، ص 440.

[4] - ابن شاهين الظاهري، المصدر السابق، ص 110.

[5] - عبد العزيز محمود عبد الدايم، المرجع السابق، ص 146. عبد المنغم ماجد، المرجع السابق، ج2، ص 49.

[6] - فواد الصياد، المرجع السابق، ص 255.

فمن التأثيرات الوظيفيةأيضا نجد وظيفة رأس نوبة النوب و هي وظيفة عسكرية كانت لدى المغول إتخذها سلاطين المماليك من عندهم، كانت هذه من الوظائف العظيمة عند التتار ويقصد بها جماعة من الحرس الخاصة بالسلطان، أما المغول كان يسميهم بكشيكجي وكانوا يألفون في الإمبراطورية المغولية طبقة أرستقراطية ممتازة وجرت العادة أن يتولاها أربعة أمراء، وحتى وظيفة الشراب خاناه كانت معروفة عند المغول كانت تسند إلى أشخاص يقومون بالإشراف على الطعام و الشراب الخاص بالخان وبالجيش المغولي[1].

وتعتبر وظيفةلها مكانتها أكبر من أمير سلاح و أمير مجلس، وتعتبر الوظيفة السادسة بين الوظائف الكبرى التي يشغلها عسكريون من طبقات أمراء المائين مقدمة للألوف في حضرة السلطان المملوكي[2].

كان يتمتع بمكانة كبيرة في بلاط السلطان كونه أعلاهم مرتبة فهو الجناب الكبير ويسمى أيضا بالأخ لكونه يعتبر واسطة بين السلطان و المماليك، فهو يحرس السلطان ليل نهار وحتى لا يغفلوا عن حراسة السلطان كانت ترفض عليهم اللعب بالشطرنج والقراءة في المصاحف ،إضافة إلى ذلك كل ساعة من الزمن يخرجوا لهم الكثير من الأطباق الشهية والحلويات و الماء البارد[3].

فكان رأس نوبة النوب من يتولى هذه الوظيفة يجلس عن مسيرة السلطان فوق أمير المجلس[4]. أما بالنسبة لأعدادهم فكانت أكثر من خمس وعشرون مهمتهم تكمن في حراسة السلطان وقت خروجه في المواكب و حتى أثناء نومه[5].

---

[1] - صلاح الدين محمد نور، المرجع السابق، ص 69.

[2] - خليل بن شاهين الظاهري، المصدر السابق، ص 54.

[3] - عبد المنعم ماجد،المرجع السابق،ج2،ص54.

[4] - بن تغرى بردي أبو المحاسن، **النجوم الزاهرة**، المصدر السابق، ج7، ص185. إبن إياس، المصدر السابق، ج1، ص 324.

[5] - عبد المنعم ماجد ،المرجع السابق، ص 53.

و أخر الوظائف التي توصلت إليها من خلال بحثي هذا وظيفة أميرا خور ويقصد بها أمير المعلق أي المتولى على أمر السطبلات بما فيهن خيل وا بل وا طعامها ويكون في الغالب مقدم ألف، ويسمى صاحبها أيضا بأمير المزود وتشبه هذه الوظيفة أيضا تلك المعروفة بإسم السراخور وهو المسؤول على العلف الدواب الجيوش التي يستعملها أثناء المعارك وفي العاصمة في مصر يقولون السراخوري[1].

والأمير آخور من ينظر في الإسطبل السلطاني وتعتبر من الوظائف الخطيرة في السلم و الحرب فيكون آخور.[2]

مستعدا دائما للسفر في أي لحظةمع السلطان سواء ليلا أو نهارا و أن يعد موكب السلطان حسب ما تجرى به العادة فهو يظر إلى كل الاصطبلات السلطانية وخيل البريدو الركائب المعدةللسفر الطويل، وبهائم الركوب والبهائم المرسومة للإطلاق و المعدة لمماليك الطباق و الخيل تلاد ما يجلب من قواد العرب ويجبي من البلاد و المشترى مما يباع من المواريث ويستعرض من الأسواق وما بعد من مواكب و للسباق[3].

و الأمير أخوريه خلال العصر المملوكي كانوا يقيمون في منطقة الرملة وكانت تسمى بإسم باب السلسلة وباب الإسطبل وباب الميدان[4].

و عليه أيضا نأ يقوم بتثمين الخيول المشتراه وأن يستعين في ذلك بأهل الخبرة و أن يشرف على ما يصرف من العليق للخيول السلطانية أو لمن يمنحه السلطان،و عليه أيضا صرف البرلسيم السنوية حسب أوامر السلطان وكان من سياسته أن يحسن علاقته بأمراء العربان،و أن يعاملهم باحسن حتى يضاعف رغبتهم في كل عام حتى يحضروا الدواب من

---

[1] - صلاح الدين محمد نور،المرجع السابق،ص66.

[2] - <u>أخور:</u>و هي لفظة أعجمية ويقصد بها مزود الفرس الذي يأكل فيه الخيل: إبن إياس،المصدر السابق، ج1، ص 324، أبو المحاسن، **النجوم الزاهدة**، المصدر السابق، ج7، ص 185.

[3] - السبكي عبد الوهاب، المصدر السابق، مج1، ص 99.

[4] - حسن الباشا، **الفنون الإسلامية**، المرجع السابق، ج1، ص 144.

مراعيهم كما عليه أن يعتني ببغال الكوسات والإعلام و أبغال الخزانة حتى بعدها لما يجد من ملمات الحرب[1].

وعليه أن يرتبها في مواقفها وفضلا عن ذلك عليه أن يعتني بقماش الإصطبلات المصنوعة من الذهب والفضة و الحرير، وأن يحفظها من التلف والضياع ويحرس على توفيرها حسب الضرورة[2].

فمن التأثيرات أيضا سلاطين المماليك نظموا الجيش المملوكي بنفس نمط الجيش المغولي بحد كبير، وذلك على أساس نظام العشري لتقسيم الجيش المملوكي فرق مختلفة وذلك إلى عشرات على رأسهم أمراء وعرفوا بأمراء العشرات وإلى مئات ويرأسهم عرفوا بأمراء المائين مقدموا الألوف و عدة كل منهم مائة فارس[3].

وإلى ألوف ويرأسهم مقدموا الألوف وإلى عشرات الألوف وذلك في شكل تنظيم للغاية على غرار جهاز الجيش المغولي الذي كان هو أيضا منظم تنظيما دقيقا على أيدي جنكيز خان قبل قيام دولة المماليك، وذلك إلى فرق تتكون من عشرات ومئات وألوف وعشرات ألوف ويرأس كل فرقة من هذه الفرق قائد يأمر الجميع بأمر جنكيز خان ومن بعده أبنائه[4].

وكان على رأس العشرات قادة يسمون العرفاء ويعين على عشر عرفاء واحدا من بينهم قائدا أعلى على مائة أي على عشرة عشرات ثم يتم إختيار واحد من بين الرؤساء العشرة لفضائل الميئات لتكون قائد لهم، وبذلك يصبح قائد لألف رجل ثم ينصب رجل واحد من بين مجموع رؤساء الألوف العشرة ليكون قائدا علما أي نويان أو نوين بالمغولية ومما يؤثر على الجيش المملوكي من تأثيرات المغولية أن الجيش يقوده يرأسه السلطان المملوكي نفسه كما حدد

---

[1] - عبد العزيز محمود عبد الدايم، المرجع السابق، ص 144.

[2] - نفسه، ص 144. القلقشندي، المصدر السابق، ج11، ص 170.

[3] - القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص 15.

[4] - المقريزي، **الخطط**، المصدر السابق، ج2، ص 11.

مسؤولية كل فرد وحقوقه وواجباته من هؤلاء أعلى منه و أدنى منه لتنظيم الإنضباط لحركات الجند[1].

كما نظمت حركتهم في ميدان المعركة من زملائهم وكيف يتعامل مع العدو وطبقوا ذلك التنظيم التي خاضوها مع المغول الإيلخانية الفارسية تمثل ذلك في معركة أبلتين، كما إتخذوا عنصر أساسي في قتالهم وهو البدء بالهجوم ويعتبر هذا الشأن العمود الفقري للحروب المغوليةو التي إتخذها سلاطين المماليك.[2]

و عملوا بها كما كان سلاطين هؤلاء يستشيرون المغول القادة في مصر بشكل متواصل أثناء الخوض في المعارك، ويشاورهم في الخطط العسكرية أثناء معاركهم مع المغول بآسيا الصغرى والصليبيين في الشام، كما إستحدثوا الوظائف و الرتب من وفود هذه العناصر و الكثير من التنظيمات المغولية العسكرية[3].

وفيما يتعلق بتأثير المغولي على الملابس العسكرية للجيش المملوكي سواء كانت ملابس القادة و الأمراء أو الجند فقد أصبح الزي التتاري أو المغولي زيا عاما ضمن أزياء أو الملابس التي يرتديها جند وقادة الجيش المملوكي، وكذلك الأسلحة ويبدو أن الملابس كانت خليطا متنافرا من أزياء أو ملابس وتنوعت بسبب تعدد الطوائف التي كان يتكون منها الجيش المملوكي وأن كان يرجح أن الطابع العام لهذه الملابس كان يغلب عليه الزي التتري[4].

فالسلطان والأمراء والعساكر كانوا يلبسون على رأوسهم كلونة صفراء أي (قلانس) مصرية تقريبا عريضة ولها كلاليب، يضعون عمامة فوقها وتكون شعورهم مضفورة مدلاه بدبوقة و هي في كيس حرير إما أحمر أو أصفر ولو ساطهم مشدودة ببدود من قطن بعلبة مصبوغ عوضا عن الحوائض و عليهمأقبية إما بيض أو مشجرة أحمرا و أزرق، مما يلاحظ هذا التأثير

[1]-ابن تغري بردى أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، المصدر السابق،ج7، ص 168.

[2]- نفسه، ج7، ص 169.

[3]- نفسه، ج7، ص 169.

[4]- المقريزي، الخطط، المصدر السابق، ج4، ص 216.

المغولي فيما يعرف بالأقبية المغولية و هي ضيقة الأكمام علة هيئة ملابس الفرنج البوم وأخفافهم من الجلد بالغارة أسود، وفي أرجلهم من فوق الخق سقمان وهو خفاثان، ومن فوق القباء كمران بحلق وأبزيم وسوالق بلغاري كبار يسع الواحد منها أكثر من نصف وبية غلة مغروزة فيه منديل طويل طوله ثلاثة أدرع[1].

وظلوا على هذا اللباس إلى غاية حكم المنصور قلاوون فيغير هذا الزي بأمر منه حيث أذن بتغيير زي الأمراء وقادة و عسكر الجيش ليكون زيا موحدا مميزا وا رتبطت هذه التغيرات بالزي العسكري المملوكي مع كثرة الطوائف المغولية الجركاسية إذا دخلوا الخدمة بالأقبية النثرية وتكاوت ومن فوقها القباء الإسلامية ثم شيد عليه المنطقة وسيف من جهة اليسار والصولة و الكزلك من جهة اليمين[2].

ويتميز الأمراء و المقدمون واعيان الجند قادة الجيش المملوكي بلبس أقبية إسلامية قصيرة الأكمام فوق ذلك تكون أكمامهم أقصر من القباء التترية[3].

و الأقبية المغولية هذه أو المعاطف التترية كانتعبارة عن كمران تلف الدر ع من اليسار إلى اليمين على عكس الأتراك يبلغونه من اليمين إلى اليسار، وكان القباء التتري يصنع من الصوف والأطلس والحرير والقطن وكان زيا مميزا للجند المملوكي في مصر والشام وفي الشتاء تضع الأقبية الملونة بالصوف النفيس والحرير الفائق ويلبس أكابر الأمراء المماليك السمورو والوصق و الفنك[4].

ولم يقتصر التأثير المغولي على المعاطف و الأقبية فقط بل إمتد ليشمل نوع آخر من لباس الرأس خاصة بالعسكريين يطلق عليهم إسم سراقوج أو قلنسوه و التي كانت يلبسها بركة خان، ثم أصبحت تمثل أزياء المميزة لعسكر المماليك و السراكوجة هي عبارة عن طاقية أو

---

[1] - المقريزي، الخطط، المصدر السابق ، ج2، ص 217.

[2] - القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص 14.

[3] - المقريزي، **الخطط**، المصدر السابق، ج2، ص 217.

[4] - إبن إياس، المصدر السابق، ج1، ص 113.

غطاء الرأس وكان يرتديها الجيش المملوكي حتى يتشابه بالمغول بقصد جعل جواسيسه غير متميزين عن التتار ويدخلوا بلادهم دون أن يتعرفوا عليهم.[1]

ومثال ذلك أثناء الصراع المملوكي الأرميني عهد السلطان الأول أصدر أمرا بوضع ألف قِباء ذات اللون الأصفر الحريري، و ألف قلسنوه سراقوج ليرتديها جنده الأرمن حتى يعتبرون أن المماليك أنهم مغول و لا يفرقوا بين أحد منهم[2].

و أثناء الصراع المغولي المملوكي فيه طالب الأمير عز الدين إيبك الرومي نائب قلعة المسلمين الأشرفية التي كانت إسمها قلعة الروم من السلطان الأشرف إبن منصور قلاوون يؤسل إليه ثلاثين سلاقوجا لتحسب بها داخل المغوليين، هذه السراكوج عطاء الرأس كانت بمثابة موضة عند المماليك البحرية ثم إختفى إلى أن ظهر عصر المماليك الجراكسة كلباس رأس لدى السيدات كما يشمل التأثيرات المغولي أيضا على الدروع التي كان يرتديها محاربوا المماليك أو ما يعرف بملابس المماليك المعدنية[3].

فبالنسبة للدروع لم تتكلم عليها المصادر بكثرة بل كانت معلومات عنها شحيحة جدا لكن ما وصلنا إليه أن الدروع في المجتمع المملوكي كان إمتيازا خاصا في طبقة الأرستقراطية العسكرية أيطبقة أمراء المماليك الكبار فقط، وكانت هذه الدروع إما مصنوعة من المعدن الخالص أو الدروع المصنوعة من الجلد لكنها مكسوة صفائح كبيرة من المعدن[4].
كما إتخذ مماليك الخوذة أثناء معاركهم خلال قرن 8هـ/14م كانت إشارة إلى الخوذة المصنوعة من الذهب التي كان يلبسها المماليك أثناء القتال، كما حدث على سبيل المثال في معركة عرض سنة (702هـ/1302م) بين المماليك ومغول فارس، و أن هذه الخوذة ذات

---

[1]- إبن الفرات، المصدر السابق، ج8، ص 154.

[2]- نفسه،ج8،ص154.

[3]- أحمد عودات وآخرون، المرجع السابق، ص 110.

[4]- صلاح الدين محمد نور، المرجع السابق، ص 77.

سلاسل الزرد التي تغطي الوجه عدا العينين وكانت تمثل مثابة أقنعة حديدية للوجه كانت تستعمل لدى المماليك وكان لها ما يماثلها عند المغول الصليبيين أيضا[1].

كما كان المغول على المماليك تأثير كبير على بعض أنواع الاسلحة وتتكثل في بعض أنواع السهام يعرف بالسهام الخطائية استخدمت في نطاق واسع عند المماليك الجراكسة خاصة عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق عام(812هـ /1409م) وفي عصر السلطان الناصر محمد بن قايبتاى، وهذه السهام المغولية تنسب إلى الخطا أو الختا أو الختاى وهم طائفة من طوائف المغول الذين استولوا على قسم كبير من الصين وبلاد المغول في القرن الرابع بقيادة بوليجي أبوأكي.[2]

وهي سهام عظام يرمي بها عن قسي عظام توتر بلولب يجربها و يرمى عنها فتكاد تخرق الحجر، وقيل أن السهام هذه توضع في رؤوسها كتل محترقة وتقذف على العدو تاركة وراءها خطا ناريا، ويبدوا أنها أثارت إعجاب سلاطين المماليك فعمموا استخدامها في الجيش المملوكي.[3]

وتوسع استخدامها عصر برقوق (812هـ /1409م) ذلك أثناء صراعه مع نائبه في الشام ويسمى الأمير شيخ الدين شق، عصى الطاعة عليه هذا يدل أن سلاطين المماليك استعملوا هذا السلاح على نطاق واسع ليس خارج الدولة فقط بل حتى داخلها.[4]

ونظرا لاستخدام سلاطين المماليك العديد من الأسلحة المغولية سهل بهذه الطريقة إدماج المغول الذين وفدوا إلى مصر للانضمام للجيش المملوكي بسهولة تامة، أيضا ومن التأثيرات المغولية على الجانب العسكري لوحظ مدى تأثير الجيش المملوكي بهم فيما يتعلق بتعبئة

---

[1]- أنطوان خليل ضومط، المرجع السابق، ص 30.

[2]- القلقشندي، المصدر السابق، ج2، ص 144.

[3]- نفسه، ج2، ص 144.

[4]- ابن تغرى بردى أبو المحاسن، النجوم الزاهرة ، المصدر السابق، ج7، ص 82.

الجيش وتحركاته طبقا للخطة المتبعة في الجيش المغولي التتاري، من حيث تطويق سائر قوات العدو والإحاطة بها من جميع الجوانب متخذين في ذلك نظام الحلقة.[1]

[1]- السيد الباز العريني، المماليك، المرجع السابق، ص 256.

ثانيا: التأثيرات المغولية الحضارية على الجانب السياسي لسلاطين المماليك.

يعتبر التأثير المغولي على الجانب السياسي للدولة المملوكية في مصر إنما تبدأ جذوره في حقيقة الأمر منذ أواخر العصر الأيوبي، وبالتحديد أواخر سلاطين بني أيوب فترة حكم أو أثناء عهد الصالح نجم الدين ايوب وابنه تورانشاه في تكوين فرقة جديدة من المماليك ضمن فرق الجيش الأيوبي وأصبحوا أكثر من الجيش الأيوبي، وهؤلاء كان يطلق عليهم الترك والترك جنس من المماليك جاءوا من بلاد القبجاق واصبحوا فيما أصحاب سيادة في العصر المملوكي.[1]

وكان تمازج بينهم وبين التتار والمغول في هذه البلاد بعدما سيطر عليهم باتوخان ابن دوش خان بني جنكيز خان وأصبحوا داخل مملكته، وكان العنصر المغولي التتاري يكون الأغلبية في هذه المملكة ومنهم توافدت أعداد كبيرة في أسواق الرقيق لما اتخذهم الصالح نجم الدين من سوق العبيد، اختارهم على أن يكونوا أقرب إليه لقوتهم وشجاعتهم وعدم غذرهم وأصبحت تمثل العمود الفقري للجيش الأيوبي وبرز منها العديد من القادة مثل أيبك وأقطاى وقطز وبيبرس وقلاوون وغيرهم.[2]

لكن الصالح نجم الدين كان يخشى من نفوذهم لذا عمل على تقصير مهامهم إلا أن صار فيما بعد ملكهم يعلوا البلاد الإسلامية، أي بعد وفاة الصالح وحكم من بعده توازن إلا أنه قتل على أيادي المماليك لكونه عمل على استبعادهم من الحكم. [3]

والمماليك رؤوا أنهم يعود لهم الفضل في حماية مصر والشام كيف لهم أن يبتعدوا ثم وضع الخيار على واحدة من جنسهم وهي شجرة الدر زوجة الصالح نجم الدين حيث اعتبروها أول من ملكت الحكم في مصر من المماليك القبجاق، ومن هنا تطورت الأمور السياسية في

---

[1]- ابن تغري بردى أبو المحاسن، **النجوم الزاهرة**، المصدر السابق، ج6، ص 319.

[2]- صلاح الدين محمد نور، المرجع السابق، ص 91.

[3]- المقريزي، **السلوك**، المصدر السابق ،ج1، ص 361.

مصر بنحو مفاجئ لما ارتقى بتوليه عز الدين أيبك التركماني عرش السلطنة بعد زواجه من شجرة الذر.[1]

فبداية التأثيرات أيضا في الجانب السياسي لما سقطت بغداد في يد المغول كان ذلك سنة (656هـ/1256م) قام السلطان الظاهر بيبرس بإحياء الخلافة العباسية بالقاهرة، وذلك بذكر اسم الخليفة في خطبة الجمعة وكل فترة وفترة يشير إلى الخلافة التي افتقر إليها السلطان الولاية وكل الأمور العامة المتعلقة بالحكم الداخلي والخارجي.[2]

وتتجدد هذه التقاليد كلما تولى الحكم سلطان جديد على أن القاعدة المتبعة اقتضت بأن يختار الأمراء السلطان من بينهم، فإذا حاول السلطان ترشيح ابنه لولاية العهد فلا يتم ذلك إلا بموافقة الأمراء وهذا الاختيار يتفق مع تقاليد المغول في اختيار زعمائهم إنما اقتضى كذلك موافقة الجماعة الإسلامية التي يمثلها الخليفة.[3]

كما تأثر المماليك بالوظائف المغولية المباشرة في شؤون البلاد الإدارية وكان يعهد لكل وظيفة إلى شخص أو إلى عدة أشخاص وذلك على النحو التالي: أولا تمثل في تعيين أربعة أشخاص لحمل السهام والأقواس ويطلق على الذي يقوم بهذه المهمة اسم قوجى، والثانى يعين ثلاثة اشخاص يقومون بالاشراف على الطعام واشراب والقائم بأعباء هده الوظيفة باسم بورجى، كما يعين شخص واحد يعهد إليه بالإشراف على الموظفيين والخدم في القصر ويسمى بإسم جربي وأخيرا يعين أربعة أشخاص يتولون الحراسة وحمل السيوف على الباب ويكون للحراس مشرف.[4]

ولما تولى عز الدين أيبك عرش السلطنة وتحكم في مقاليد الأمور داخل الدولة قام بوضع العديد من مماليكه المغول القبجاق في العديد من المناصب السياسية، وكان سيف قطز

---

[1]- المقريزي، **السلوك**، المصدر السابق ،ج1، ص 361.

[2]- حسن الباشا، **دراسات في الحضارة الإسلامية**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1988، ص 36.

[3]- السيد الباز العريني، **المماليك**، المرجع السابق، ص 254.

[4]- فؤاد عبد المعطى الصياد، المرجع السابق، ص 39

المغولي نائبا للسلطة.[1] وهو أول من ولى هذه الوظيفة من المماليك وبعد مقتل الدين وشجرة الدر (655هـ/1257م) هنا فتح الباب أمام الكل في تولية الحكم مع العلم أن المماليك لم يؤمنوا مطلقلبحكم التوريث وا إنما الحكم للأقوى، وهذا المبدأ كان منذ ظهور جنكيز خان على الحكم وتأسيسه للإمبراطورية المغولية وأصبح قطز بعد ذلك هو الحاكم الفعلي للبلاد في ظل اختيار نور الدين على ابن أيبك سلطانا ولقب بالملك المنصور.[2]

إلا أن قطز حكم مكانه لكونه نور الدين صغير في العمر لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره والبلاد تحتاج إلى شخص قوي يحكمها ويحميها من خطر المغول خاصة بعد سقوط بغداد، وقضوا على الخلافة العباسي واقترب خطرهم إلى الشام ومصر وليصبح سيف الدين قطز ثالث سلاطين المماليك وهنا بدأ التأثير.[3]

رغم إسلام المغول إلا أنهم ظلوا على عصبتهم ولم يكتفوا بالسيطرة على الحياة العسكرية في مصر بل امتدت أطماعهم لتحقيق السيطرة على الحياة السياسية، أيضا ولهذا لم يورعوا بعد وفاة الصالح أيوب وقتلهم لتورانشاه من أن يفكروا في اغتصاب العرش من أيدي الأيوبيين لضمان لسيطرتهم في الحكم في مصر.[4]

ولوا الحكم لإمرأة من جنسهم وزوجوها من أحد قادتهم الكبار وهو أيبك ، وانتهت الأطماع والطموحات بقيادة سيف الدين قطز واعتلاءه العرش عام (658هـ/1259م) محاولا بناء كيان سياسي لهم في مصر يغلب عليه الطابع المغولي.[5]

---

[1] - محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 404.

[2] - فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى، دار المعارف، مصر، دس، ص 240.

[3] - فايد حماد عاشور، المرجع السابق، ص 241.

[4] - القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص 458.

[5] - نفسه، ج4، ص 458.

حيث يعتبر امتداد للدولة التي أقامها سيدهم بركة خان في جوب آسيا يؤكد مدى تأثير المغولي على الحكم في مصر.[1]

وعلى النظم السياسية للدولة التي أقاموها في مصر واستطاعوا النصر على أبناء عمومتهم في معركة عين جالوت (658هـ/1260م) وأصبحوا هؤلاء المماليك الواجهة الشرعية الوحيدة المدافعة على مسلمين مصر والشام.[2]

ومن بين التأثيرات السياسية على سلاطين المماليك أخذوا نظام السفارة ذلك لما يرسل السلطان مجموعة من السفراء للخان آخر يجب أن يكون معهم مجموعة من المتعلمين.[3] فسفرتهم تضم مترجم كما على المغول أن يرسلوا في سفارتهم وزيرا لاصطحابهم إلى مجلس الخان بعد أن يشرح لهم القواعد التي يجب إتباعها عند مقابلة الخان، وهي الدخول من الجهة اليسار فإذا أخذت منهم الأشياء التي يحملونها سواء كتب هدايا أو غيرها.[4]

ينتقلون إلى الجهة اليمنى ويكون القعود على الركبتين مقابل للخان ولا يدخل أحد إلى خيمة الخان بسيف ولا سكين ولا عدة أي عدم حمله أية أسلحة، وعلى الداخل إلى الخيمة ألا يدرو من على عتبنها ولا يقلع الإنسان عدنه إلا على الجانب الأيسر ولا يترك القوس في القربان أي الجراب ولا يجعله مشدودا ولا يضع في الجراب نشابا.[5]

فنعود لقولنا أن ما يحدث بين هؤلاء المغول والمماليك من تأثيرات هو عقد صلح أحدث تحولات كبيرة في مجرى العلاقات السياسية بينهما، وتوطيد العلاقات في مختلف المجالات وظهرت بوادر التعاون أولهما التبادل الأمني والثاني تبادل السفراء فقد أدت إلى تغيرات جذرية في العلاقات الدبلوماسية.[6]

---

[1] - أبو الفداء، المصدر السابق، ج3، 214.

[2] - نفسه، ج3، 214.

[3] - محمود سعيد عمران ، المرجع السابق، ص 405.

[4] - نفسه، ص 405.

[5] - نفسه، ص 405.

[6] - أبو الفداء ، المصدر السابق، ج4، ص 93.

كان الملك الناصر يحافظ على علاقات الود والتعاون مع المغول ولم يسمح لأي شائبة بتعكير صفوة هذه العلاقات، ومن بين هذه السفرات (724هـ/1324م) كانت سفارة مغولية أرسلها الخان المغولي من فارس.[1]

من اجل التهنئة بعيد الأضحى ضمت كل من ثلاث سروج ذهب مصرى مرصعة بالجواهر وملابس موشاة، أما السلطان الناصر رد عليه في هذه السفارة إرسال أموال للمغول ما يزيد عن مائة ألف درهم ،وقبل ذلك أرسل الخان المغولي المماليك صناديق مملوئة بالدقيق ومجموعة من الجمال ذلك من أجل إظهار حسن نوايا أبي سعيد في الصلح.[2]

ومن علاقات المغول بالمماليك كان لها تأثيرات أخرى مما أدى بوصول العديد من أسرى المغولية إلى مراتب عليا في السلطنة المملوكية عند غزوهم لبلاد الشام، وهؤلاء الأسرى عرفوا بقوتهم وشجاعتهم وحسن سيرتهم فتدرج الكثير منهم في المناصب الدولة حتى وصلوا إلى رتب مرموقة في السلطة مما زادت في هيمنتهم، من بينهم الأمير بيدار أصله مغولي أسر في معركة عين جالوت ثم أخذ هذا الأخير بالترقي حتى أصبح أمير مجلس ثم وزيرا في عهد قلاوون وبعدها تولى نيابة على السلطة في مصر في فترة حكم الأشرف خليل.[3]
الأمير سيف الدين سلار أصله مغولي أو براتي أسر في معركة الأبلستين (675هـ/1276م) وقام المنصور قلاوون بشراءه وأعطاه منصب في السلكة وبدأ يترقى إلى أن وصل نائب للسلطنة في مصر.[4]

السلطان العادل كتبغا أصله مغولي أيضا أخذه الملك المنصور قلاوون في أيام إمرته وأعتقه ثم رقاه، وصار من كبار الأمراء في مصر وعند خلع الناصر محمد تولى كتبغا السلطنة.[5]

---

[1]- أبو الفداء ، المصدر السابق ، ج4، ص 93.
[2]- نفسه، ج4، ص 387.
[3]- شوكت رمضان حجة، المرجع السابق، ص 415.
[4]- ابن تغري بردي، المنهل الصافي، المصدر السابق، ج6، ص 13.
[5]- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، المصدر السابق، ج8، ص 55.

ومن تأثيرات المغول السياسية عندما اعتلى السلطان بيبرس الحكم بحد ذاته يعتبر تأثير حين اغتصبه بعد المعركة ,وقام بقتل قطز حيث أن المسلمين بدؤوا يخشون من اختصابات المغولية للحكم عليهم.[1] لكن بيبرس استطاع كسب ودهم والتقرب إليهم وزادت مكانته لما أحيا الخلافة العباسية وقام بالبحث عن أحد أبناء العباسيين لإقامته خليفة بمصر ,وتم ذلك في أبي القاسم أحمد الذي لقب بالمنتصر بالله وتوليته للخلافة بمصر سنة (659هـ/1261م) وبمجرد يعينه الخلافة قام بتقليد الظاهر بيبرس الأول السلطنة بعد ذلك قام بيبرس بالخروج مع المستنصر إلى دمشق من أجل رجوعه إلى بغداد , وهناك تركه في الصحراء مع مجموعة من الأعراب إلا أنه قتل ومن معه على يد المغول قرب هيت.[2]

إن إنفراد بيبرس بالحكم وقام بتنشأة جيش قوي واهتم به ولهذا نجده الأول من يتبنى سياسة إستقدام الكثير من المغول القبجاق.[3] أحب بيبرس أن يسلك في ملكه بأديار المصرية طريقة جنكيز خان وأموره فعمل ما أمكنه ورتب في سلطته أشياء كثيرة لم تكن من قبله في مصر مثل ضرب البوقات وتجديد الوظائف.[4]

فقد نقل بيبرس السلطان العديد من الوظائف كالدى يحمل الدواة للسلطان ولذلك كان رئكة المقلمة وكان عمله تبليغ أوامر السلطان إلى من يريد الحضور، ويقدم إليه كل ما تأخذ عليه علامة السلطان في رد المظالم أو رد الإقطاعات ويحمل إليه البريد حيث كان له نائب في عمله الأخير إسمه حامل المزرة.[5]

---

[1] - أبو الفداء، المصدر السابق، ص 214.

[2] - نفسه، ص 214.

[3] - ابن الفرات، المصدر السابق، ص 7.

[4] - القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص 458

[5] - عبد العزيز محمود عبد الدايم، المرجع السابق، ص 147.

لأنه كان يحمل البريد في خريطة أي كيس إسمها المزرة ولكثرة مهامه عين معه عدد من الخاصكية بلغ عشر أو أكثر دوادار وثالث وا ٕن كان يقال له أمير دوادار الكبير ولو لوظيفته الدوادارية الكبرى.[1]

إضافة إلى ذلك أتخذ وظيفة أخرى المتمثلة في البريد تشير المصادر إلى أن المغول يعرف نظام البريد منذ الفترات الأولى من حياته ،وتطور البريد لدى هؤلاء فكان ما يقارب من سبعة وثلاثين دار للبريد فكان البريد متقدما عند المغول.[2]

وقد ظهر نظام البريد في مصر عهد السلطان بيبرس بشكل لم يعرف به من قبل لأنه اقتبس تنظيمات المغول في ذلك الشأن، ولما كانت الحروب الهائلة ضد الصليبيين في عهد الأيوبيين وضد المغول في أوائل عهد المماليك قضت على تقدم هذا النظام الذي عرفه المسلمون منذ العهد الأموي وأوقفت تطوره.[3]

فنظام البريد الذي اتخذه المماليك من المغول قد تطور لديهم وكان البريديون ينتخبون عادة من خدم السلطان ذوي الكفائات والذكاء لإبلاغ الرسائل الشفوية عند الإقتضاء، كما كانت لهم مكانة محترمة ويشرف على البريد صاحب ديوان الإنشاء عهد إليه حفظ ألواح البريد بالديوان، فإذا خرج بريد إلى جهة من الجهات أعطى لوحا من الألواح ليعلقه بعنقه بذهابه وا ٕيابه.[4]

كانت هذه الألواح من الفضة نقشت على أحد وجهي كل لوح عبارة لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ضرب بالقاهرة المحروسة وعلى الوجه الآخر عز لمولانا السلطان... سلطان الإسلام والمسلمين.[5]

---

[1]- عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ج2، ص 46.

[2]- السيد الباز العريني، المغول، المرجع السابق، ص 62.

[3]- حسن الباشا، الفنون الإسلامية، المرجع السابق، ج1 ، ص 297.

[4]- أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 216.

[5]- القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص 471.

ومثل هذا النظام في حمل لوحات البريد ووجد أيضا عند المغول وعرف بإسم بيزة Piza.[1]

فقد أصبح نظام البريد نظاما سلطانيا وسماه بيبرس المنصور وجعله يأخذ أمورا عديدة يكلف بالكثير من المهام ;منها نقل الرسالات الإدارية والدبلوماسية والأوامر الحربية وا ٍرسال الأمراء إلى السجن وأخبار السرقة ويتكلف بالجرائم كالقتل وكل الوظائف سواءا منها الكبيرة أو الصغيرة.[2]

فالعلامة التي يحملها البريدي تشبه العملة المنقوشة الخاصة بالدولة التي عليها عبارة دينية كما ذكرت سابقا واسم السلطان يذكر مكان نقشها، مما يبين طابعها الحكومي فكان البريدي يجعلها في شرابه من الحرير الأصفر في عنقه إذ الأصفر هو لون أعلام السلطان ليتميز عن لون شعائر الخليفة الأسود.[3] بينما كانت خيل البريد تدمغ بعلامة مثلما كان متبعا عند المغول.[4]

هذا بالنسبة للبريد البري وكان هناك بريد جوي والذي يتم عن طريق الحمام الزاجل كان يستخدم في الحالات المستعجلة ، وقد خصص لهذا النوع من الحمام أبراج خاصة بالقلعة وكانت هذه الرسائل التي يحملها الحمام من مميزاتها الإيجاز والتركيز، إذ يستغنى عن البسملة والمقدمات والألقاب الكثيرة ويكتفي بذكر التاريخ والساعة وا ٍيراد المطلوب مختصر.[5]

ومن التأثيرات الوظيفية وظيفة أمير المجلس الذي كان يقوم بترتيب مجلس السلطان.[6]

كما يقوم بتدبير أمر حراسة السلطان ونظرا لأهمية هذه الوظيفة كان الذي يعين في هذا المنصب من رجال الأقوياء والأذكياء يعرفون بالأمانة والإخلاص لأنه إزداد قرابة من

---

[1] - عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك، المرجع السابق، ص 62.

[2] - عبد العزيز محمود عبد الدايم، المرجع السابق، ص 148.

[3] - نطير حسان سعداوي، نظام البريد في الدولة الإسلامية، دار مصير للطباعة، القاهرة، 1953، ص 159.

[4] -نفسه، ص 160.

[5] - أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 213.

[6] - السيوطي جلال الدين، المصدر السابق، ج1، ص 85.

السلطان حتى أصبح يحرسه داخل قصره.[1] وحجرة نومه وكان يقوم أيضا بالتحدث إلى الأطباء والكحالين والجراحين والمجبرين ومن شاكلهم.[2]

وامتد عمله إلى ذلك نظرا للدور الذي يقوم به هؤلاء في المحافظة على صحة السلطان ووقايته ولم يكن في بلاط السلطان أمير مجلس واحد فقط.[3] وكان يختار دائما من بين أمراء المئين مقدمي الألوف وكانت وظيفته جليلة أكبر قدرا من أمير السلاح.[4]

ومن التأثيرات السياسية الأخرى أيضا عندما اعتلى قلوان الحكم في السلطة حيث إستطاع أن يؤسس أسرة حاكمة مغولية تتربع على العرش (678هـ/1279م) وأكد بهذا سيادة العنصر المغولي على السلطة السياسية في مصر، فبسطوا نفوذهم ولم يسمحوا لغيرهم بالإعتلاء في الحكم طيلة فترة العصر المملوكي البحري كله.[5]

وتطورت الأحداث السياسة بعد ذلك والتي انتهت بظهور شخصية جديدة على مسرح الأحداث السياسية هو الأمير زين الدين كتبغا المنصوري ، عهده برز شيوع ظاهرة الإنتصار للعصبية المغولية أيضا فرقة المماليك البرجية التي كونها المنصور قلاوون التي كان أغلبها جراكسة سكنوا الأبراج ولعبوا دورا بارزا في التأثيرات السياسية بحيث ضموا إليهم المماليك السلطانية.[6] وكانوا هؤلاء كارهين لجنس المغول والخطأ بسب سيطرة هذه العناصر على الجيش حيث قاموا بمؤامرة ضدهم وكانت هذه المؤامرة على وشك النجاح ، إلا أن أحد المقربين إلى الأمير علم الدين نصره وكان يسمى بالقنغراو قنقرو هذا الأخير كانت له منزلة عظيمة عند الأمراء وله إطلاع على أمور الدولة عند كتبغا.[7]

---

[1] - حسن إبراهيم حسن، على إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1939، ص 213.

[2] - حسن الباشا، الفنون الإسلامية، المرجع السابق، ج1، ص 260.

[3] - القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص 18.

[4] - عبد العزيز محمود عبد الدايم، المرج السابق، ص 143.

[5] - صلاح الدين محمد نور، المرجع السابق، ص 102.

[6] - نفسه، ص 108.

[7] - ابن فلو ات، المصدر السابق، ص 179.

أصبح طغيان المغول على الحياة السياسية لمصر المملوكية حيث قام كتبغا عند اعتلائه الحكم لم يكتفي بوضع كل أنصاره من كبار الامراء من بني جنسه في أعلى المناصب السياسية في الدولة المملوكية فحسب ، بل لكي يؤكد الصبغة المغولية للدولة المملوكية سياسيا قام باستقدام عشرة آلاف بيت من مغول الاويرات عام(695هـ/1295م).[1]

على رأسهم طرغاي وكتكاي حيث أنزل جزء منهم في بلاد الساحل الشامي واستقدم أعداد منهم إلى مصر استعانا بهم ليكونوا عونا له ضد خصومه السياسيين، فبالغ في احترامهم وا ٍكرامهم وأعطاهم إقطاعات والرواتب وأنزلهم بالحسنية لكنه لم يعزلهم السكان كما فعل بيبرس الأول.[2]

فأفتهن بهم الأمراء وتنافسوا في أولادهم من الذكور والإناث واتخذوا منهم عدة صيروهم من جملة جندهم وتعشقوهم لدرجة أنه أرسل إلى البلاد الشامية واستدعوا طائفة منهم كبيرة فتكاثر نسلهم في القاهرة ، ولذلك اعطاهم الكثير من الحرية إلا أن عهد كتبغا انخفض النيل واشتد الغلاء وانتشرت المجاعة وارتفعت الأسعار وانتشر الوباء في مصر فقد حصد الإسلام موقف المغول في حماية الدين.[3]

ومما سبق يمكن أن نقول أن تاريخ مصر في الفترة النصف الثاني من القرن 7 الهجري النصف الثاني من القرن الثالث عشر ميلادي 13م يمكن أن نطلق عليه عصر دولة المماليك المغول القبجاق سياسيا وحضريا ، كما أن تاريخ مصر المملوكية أثناء الفترة التي ارتقى فيها كتبغا عرش السلطة (694-696هـ\1295م-1297) يمكن يطلق عليه فترة المماليك المغول الأويرات حيث ظهر التأثير الأويراتي بشكل كبير على الحياة السياسية والعسكرية والاجتماعية في مصر وفي الأدب المصري المملوكي.[4]

---

[1] - فايد حماد عاشور، المرجع السابق، ص 112.

[2] - المقريزي، **الخطط**، المصدر السابق،ج4 ، ص 112.

[3] - نفسه، ج4، ص 121.

[4] - صلاح الدين محمد نور، المرجع السابق، ص 117.

من التأثيرات المغولية أيضا على دولة المماليك هو أنتقال الكثير من الألقاب المغولية إلى المماليك والأسباب العامة لتغيير الأسماء منها تغير أوضاع الولايات والأقاليم، نتيجة الحروب وضم الممتلكات الجديدة ووفود عنصر جديد فظهر الحاكمى والصدرى والعالمي، كل هذه الألقاب مضافة إليها الياء في أواخرها تسمى باء النسبة ويفهم أن الكتاب اتخذوها دلالتهم عن الكثرة ورفع الرتبة في حالة استعمال لغير السلطان.[1]

وكان يطلق عليهم اسم التجار الذي اتشروههم وأحيانا يطلق عليهم بالسعر الذي اشر به وأحيانا إلى المنطقة التي جلب منها، كانت الألقاب في العصر المملوكي معقدة وذلك نظرا لتطورها.[2]

فكانت الألقاب مركبة مثل إذا جاء لقب السيفي بعد الاسم دل على أن الملقب تابع لأخر يسمى سيف الدين وا ِذا جاء لقب أسبقي قبل الإسم دل على أنه هو نفسه سيف الدين.[3]

إضافة إلى لقب سلطان هذا اللقب وا ِن كان معروف في عصر الأيوبيين لكنه لم يكن شائعا وقد صار الترتيب ألفي السلطان المملوكي ما صورته "مولانا السلطان الملك فلاني " ويتميز هذا العصر بانتشار الألقاب الأصول، وكان السلطان يلقب في أول العصر بالمقر بالمقام ثم انحطت درجة المقر فاستعملت لكبار الأمراء بينما انفرد السلطان بالمقام دون غيره.[4] وكذلك اتخذ السلاطين النعوت الخاصة منذ أول عهدهم ففي يوم السبت آخر شهر ربيع الآخر أركب المماليك أيبك بشمار السلطنة ولقبوه بالملك المعز، ثم خلفه قطز الذي لقب بالمظفر ومن بعده بيبرس الذي نعت بالقاهر ثم الظاهر وهكذا تلقب السلاطين وولاه العهد بنعوت خاصة.[5]

---

[1]- صلاح الدين محمد نور، المرجع السابق، ص 39.

[2]- القلقشندي، المصدر السابق، ج6، ص 115.

[3]- نفسه، ج6، ص 115.

[4]- المقريزي، الخطط، المصدر السابق، ج2، ص 293.

[5]- القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص 477.

وكان أمر إضافة الألقاب في هذا العصر من اختصاص ديوان الإنشاء ولذلك عن الكتاب بترتيب الألقاب الفخرية حسب الوظائف، وكانت الألقاب تتبع وتلتحق بالوظائف كالعادلى والعالمى للعلماء وسفير الدولة لكتاب السر والحكامى للقضاة والصدرى للتجار غير أن تناسب الألقاب مع الوظائف كان في تطور مستمر.[1]

هنا كلها لا تزال ألقاب عربية وأكثرها ذكر في القرآن الكريم والأحاديث، ولكن بعد أن اتسعت الدولة ودخل في الإسلام أجناس أخرى الغير العربية (المغولية بصفة خاصة) ظهرت ألقاب كثيرة ذات أصول مغايرة للعربية، نتيجة الحروب والإسلام كانوا سببا في ظهور أنواع مختلفة من الألقاب وكان المماليك بالمرصاد ضد المغول مما عززوا الهجمات ثم توجه ضربات القوية وقاموا بإحياء روح الجهاد في ستعوبهم لذلك ظهرت ألقاب.[2]

الخاضع لهيبته المعتصم بقوته، منصف المظلومين، مقوى الضعفاء كما اتسعت وشاعت ألقاب الكفاح القتال المجاهد في سبيل الله وبتأثيرها بالمغول ظهر لقب يمين الدولة ويمين المملكة، ولقب اسكندر اتخذها المماليك عند مواجهتهم للمغول في عين جالوت.[3]

إضافة إلى ذلك ظهور مصطلح آغا كان يطلق على الشيوخ وكبارهم كما أنه يستدل على ذلك من نفوذهم،[4] وكلمة آغا أصلها أقا وهي من كلمات اللغة المغولية ومعناها الأخ الأكبر، ولما كان الأخ الأكبر وفق نصوص الياسا له سلطان على إخوته صارت كلمة أقا تدل على رئيس الاسرة ، وانتقل هذا اللقب إلى دولة المماليك فأصبح المشرفين على دور الحريم يسمون آغاوات،[5] الأبج وهو الرجل المشرف الوجه وبين حاجبيه وسع.[6]

---

[1]- حسن الباشا، الالقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1989، ص 91.

[2]- نفسه، ص 108.

[3]- نفسه، ص 219.

[4]- حسن الباشا، الفنون الإسلامية، المرجع السابق، ص 36.

[5]- فؤاد عبد المعطي الصياد، المرجع السابق، ص243. حسن الباشا، الفنون الإسلامية، المرجع السابق، ص 36.

[6]- أبو شامة المقدسي، الديل على الروضتين، المصدر السابق، ج1، ص 134.

خاقان الذي كان يطلق على الرئيس الأعلى لدولة المغول.[1] ثم انتقل إلى دولة المماليك فصار من الألقاب الفخرية التي يتلقب بها سلاطين المماليك فتلقب به السلطان الأشرف قايتباى (876-901هـ/1468-1496م).[2] فود بين ألقابه في نقش بتاريخ سنة (855هـ\1451م) في وكالة باب النصر وفي نقش آخر في وكالة السروجية في نقش ثالث بصيغة النسبة الخاقاني في نص بتاريخ (901هـ\1496م) في ضريح الأمير يعقوب باشاه ويشير أحد الباحثين إلى أن تلقب قايتباه بهذا اللقب خاقان يشير إلى السيادة على العرب والعجم والترك، وكانت ألقاب مشتركة بين سلاطين المماليك وقانات أو خاقان المغول مثل لقب الحضرة وهو لقب يدل على زيادة في التوفير والاحترام لهم بالإشارة إلى مكانه بدلا من اسمه.[3]

الأمر وقد كان يدخل في الألقاب المركبة أطلق على بيبرس بعد القضاء المغول على بغداد وتوجه المماليك أي بيبرس نفسه بإحياء الخلافة العباسية ببغداد أيضا نجد لقب إسفسهلار من ألقاب الوظائف التي استعملت كألقاب فخرية في عصر المماليك، وهو مركب من لفظين إذ أن اسمه بمعنى المقدم وسلار بمعنى العسكر فيكون مقدم العسكر وهو قائد الجيش.[4]

إيلخان معناه التابع وكان لقبا عاما على هولاكو وخلفائه واتخذ هولاكو هذا اللقب نظرا لتبعيته من الناحية الرسمية للدولة الرئيسية دولة أخيه قوبيلاي خان الخان الأعظم، الذي كان يسيطر على جميع المماليك المغولية بأسيا ويلاحظ أن إيلك وخان كانا كم ألقاب أمراء تراكستان القدامى.[5]

---

[1]- فؤاد عبد المعطي الصياد، المرجع السابق، ص 19.

[2]- عبد العزيز محمود عبد الدايم، المرجع السابق، ص 140.

[3]- حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، المرجع السابق، ص 271.

[4]- ابن الحجر العسقلاني، نزهة الألباب في الألقاب، تح: عبد العزيز محمد بن صالح السديري ، مكتبة الرشد، الرياض، 1989، ج2، ص 453.

[5]- حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، المرجع السابق، ص 219

طرخان أو ترخان وهم الأمراء الذين أقعدهم المرض وقد تكلمت عليهم في الألقاب العسكرية أيضا، بركة بمعنى النماء والزيادة اتخذها المغول وأضافها إلى الألقاب الملوك وسلاطين.[1] أيضا برهان الدين من الألقاب المظافة إلى الدين وكان هذا اللقب في أوائل عصر المماليك بلهو لقب كان يطلق على المماليك الذين حكموا الهند ونزحوا إلى مصر، وبلهو بمعنى الملك جلال بمعنى العظمة اتخذه المماليك رتب هذا اللقب استعمل لرجل الدولة كالوزراء كتاب السر مثل جلال الدين.[2]

ومن الأمور التي كان للتأثيرات المغولية على دولة المماليك فيها أثر واضح هو قواعد الحكم في الدولة المملوكية التي كان من أهمها إعداد طبقة للاعتماد عليها في الحرب والإدارة، وتألفت هذه الطبقة من المماليك المجلوبين صغار السن من بلاد القبجاق تفضيلا في العصر المملوكي الأول واستقروا في اللباق حيث تلقوا التدريب الحربي والتعليم الديني.[3] وخضعوا لما فرض عليهم من أساليب التدريب والتأديب وهي لا تخرج كثيرا عن التقاليد المعروفة عند المغول، وعلى الرغم من أن هؤلاء المماليك نشأوا بدار الإسلام إلا أنهم احتاجوا في ذات أنفسهم إلى الرجوع إلى حكم الياسة.[4]

والياسة هي مجموعة القوانين المغول التي وضعها جينكيز خان وعمل بها المماليك فقرر قواعد وعقوبات ثبتها في كتاب سماه ياسة، هذا القانون عمل به المماليك في بداية نشأة دولتهم ومن الناس من يسميه يسق والأصل في اسمه ياسة وأصبح شريعة لقومه للالتزام به حتى بعد وفاته.[5]

---

[1] - ابن الحجر العسقلاني، المصدر السابق،ج2، ص 454.

[2] - حسن الباشا، الألقاب، المرجع السابق، ص 220.

[3] - عبد العزيز محمود عبد الدائم، المرجع السابق، ص 133.

[4] - المقريزي، الخطط، المصدر السابق، ج2، ص 222.

[5] - حافظ أحمد حمدي، الشرق الإسلامي، المرجع السابق، ص 130.

كان هذا الكتاب في الخزانة المدرسة المستنصرية ببغداد وعندما انتقلت الزعامة إلى مصر وا إحياء الخلافة العباسية هناك انتقل الكتاب إليها.[1]

ومن جملة ما شركه جنكيز خان في اليابسة أن من زنى قتل ولم يفرق بين المحصن وغير المحصن وحرم اللواط ومن أطعم أسير قومه أو كساه بغير ادنهم قتل،ومن وجد بعدا هار با أو أسيرا قد هرب ولم يرده على من كان في يده قتل وأن من ذبح حيوانا لا يأكله يذبح.[2] هو وألزم قومه أن لا يأكل أحد من طعام آخر حتى يأكل المناول منه أولا ولو أنه أمير، ومن يناوله أسير ولزمهم أن لا يتخصص أحد بأكل شيء وغيره يراه بل يشركه معه في أكله وألزمه ألا يتعصبوا لشيء من المذاهب الأخرى.[3]

ومنعهم من تفخيم الألفاظ وألزم نساء العساكر بالقيام بما على الرجال من السخر والكلف في مدة غيبتهم في القتال وألزمهم عند رأس سنة يعرض سائر بناتهم الأبكار على السلطان ليختار منهن لنفسه وأولاده.[4]

ولم يكن الدستور في البداية يكتب لأن المغوليين لم يعرفوا الكتابة حتى بعد جنكيز خان قام بمراجعة هذه الأعراف فألغى منها ما لم يعد مناسبا وألقى ما وجده صالحا، وأضاف إليها ما رآه ضروريا وأمر بتدوينه ذلك بالخط الاويغوري حتى يتعلمه الصغار والكبار.[5]

وقد احتفظ كل أمير مغولي بنسخة من هذه القواعد في خزانته الخاصة وقد عرفت هذه القواعد باسم Yoss، وقد عربت هذه الكلمة واستغلها سلاطين المماليك أصبحت الكلمة إلى ياسا أو الياسا أو الياسة أو السيق أو اليساق ومعنى هذه الكلمة حكم أو قاعدة أو قانون.[6]

[1] - حافظ أحمد حمدي، الشرق الإسلامي، المرجع السابق ، ص 130.

[2] - محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 41.

[3] - نفسه، ص 41.

[4] - حافظ أحمد حمدي، الشرق الإسلامي، المرجع السابق، ص 131.

[5] - عباس اقبال، المرجع السابق، ص 113.

[6] - محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 42.

وهذا القانون نظم فيه علاقة الحاكم بالمحكوم وعلاقة المحكومين بعضهم ببعض كما حدد فيه علاقة الفرد بالمجتمع وقد أورد المقريزي في خططه بعضا من مواد هذا القانون التي منها من بال في الماء أو على الرماد قتل، ومن أعطى بضاعة فخسر فيها فإنه يقتل بعد الثالثة، ومن وقع حمله أو قوسه أو شيء من متاعه وهو يكر أو يفر في حالة القتال وكان وراءه أحد فإنه ينزل ويناول صاحبه ما سقط منه وا ٕن لم يفعل ذلك يقتل.[1]

وشرط تعظيم جميع الملل من غير تعصب لملة على أخرى وا ٕن لا يتخصص أحد بأكل شيء بل يشركه مع الاخرين، وألزمهم ألا يتميز أحد منهم بالتتبع على أصحابه ،وأن مر أحدهم بقوم وهم يأكلون فله أن ينزل ويأكل معهم وليس لأحد أن يمنعه.[2]

وقد تسربت بعض مبادئ وقواعد الياسة إلى نظم سلاطين المماليك، حيث أشارت بعض المصادر التاريخية إلى أن السلطان الظاهر بيبرس سار على حكم الياسة، فيما يتعلق بالنظم الحربيةوا ٕنزال العقوبات الصارمة لمن يرتكب جرائم إذ لا تكفي الحدود الشرعية في ردعهم.[3] فمن بين الوصايا الموجهة لوالى الحرب وصية بمكافحة الخمر والحشيش وتفقد أرباب النحل وا ٕقامة حكم الياسة.[4]

وبيبرس هو الذي نظم وظائف الدولة ورتب الأمراء والأجناد في وظائف لم يتولوها من قبل الداودارية والحجوبية، كما عين طائفة منهم خازندارية وأميراخورية والسرأخورية وسقاه وجمدارية ورؤوس نوب وسلحدارية وأمراء مجلس وأمراء شكار، وأصبح من واجبات الحاجب الفصل في قضايا المماليك.[5]

---

[1] - المقريزي، الخطط، المصدر السابق، ج4، ص 220.

[2] - ابن تغري بردى أبو المحاسن، المنهل الصافي، المصدر السابق، ص 292.

[3] - السيد الباز العريني، المماليك، المرجع السابق، ص 254.

[4] - فؤاد عبد المعطي الصياد، المرجع السابق، ص341. السيد الباز العريني، المماليك، المرجع السابق، ص 255.

[5] - ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، المصدر السابق، ج 7، ص 184.

فأصبحت مهمة الحاجب الفصل بين الأمراء والجند في المسائل الديوانية وأمور الإقطاعات وما اختلفوا فيه من عوائد والمشكلات غير الشرعية، وكذلك الحكم بين المغول الذين استوطنوا في مصر حسب قوانين الياسة وذلك بعد انتشاره السلطان أو النائب.[1]

ومن الأدلة على الأخذ بالسيف أو الياسة عند المماليك تنظيم الجيش المملوكي وفق للنظام العشري المعروف عند المغول، وتعبئته وحركته طبقا للخطة المتبعة في الجيش المغولي من حيث تطويق سائر قوات العدو والإحاطة بها من جميع الجهات، متخذين في ذلك نظام الحلقة التي اعتاد المغول نصبها للإيقاع بالوحوش، وساروا عليها في الإيقاع بأعدائهم.[2]

وجرت عادة سلاطين المماليك على إقامة حلقات الصيد في الصحراء الشرقية والصحراء الغربية، كما تعتبر إقامة الملوك في الطبقات (الثكنات) أهمية في حياة المملوك ومستقبله إذ جمعت الطبقات وانقطاع الصلة التي تربطهم بأوطانهم وديانتهم الأولى، فنشأوا على خدمة الدولة الإسلامية وتجلى ذلك في حروبهم مع التتار.[3]

محاولات السلاطين في العصر المملوكي الأول جعل الحكم وراثي لم تحظى بالموافقة الاجتماعية من الأمراء، وفي عصر الجراكسة أهمل نظام الوراثة نهائيا، كما أن نظام الحكم المغولى وراثى ايضت كان لجنكيزخان تم من بعده حكم أولاده ثم أخد بالإنحلال عهد الجراكسة بسبب إنطلاق الأهوال الذاتية.[4]

وعند خروج بيبرس في الصحراء الغربية (668هـ/1270م) ركب في الحراريق إلى الطرانة ثم دخل البرية وضرب حلقة امتدت حتى الإسكندرية، وصار السلاطين الذين خلفوه على هذه القاعدة.[5]

---

[1] - حسن الباشا، الفنون الإسلامية، المرجع السابق، ج 1، ص 389.

[2] - عبد العزيز محمد عبد الدايم، المرجع السابق، ص 136.

[3] - السيد الباز العريني، المماليك، المرجع السابق، ص 255. عبد العزيز محمود عبد الدايم، المرجع السابق، ص 136.

[4] - السيد الباز العريني، المماليك، المرجع السابق، ص 254.

[5] - عبد العزيز محمود عبد الدايم، المرجع السابق، ص 136 .

وهذه الياسة التي سار على منهجها السلاطين المماليك التي تعتبر قوانين ضمنها من عقله وقررها من ذهنه جنكيز خان، رتب فيها حدودا ربما وفق القليل منها الشريعة المحمدية وأكثرها مخالف لذلك وسماها الياسة الكبرى وقد اكتتبها، وأمر أن تجعل في خزائنه توارث عنه في أعقابه وربما دان به من تحلى بحلية الإسلام من ملوكهم.[1]

ووضح القلقشندى من أنه ربما دان بالياسا من تحلى بحلية الإسلام ليطابق الحقائق التاريخية تمام المطابقة، فقد اعتنق الإسلام بركة خان قبيلة ذهبية في القبجاق ولم يكن الخان وحده هو المسلم بل كان نساءه ورجال حاشيته مسلمين، وكان لكل أمير عنده ولكل خاتون مأذن وا إمام وكانت مدارس تحفظ القرآن ورغم ذلك أنهم ظلوا متمسكين بالعادات والتقاليد التي تفرضها عليهم الياسا.[2]

وهم يعلمون بأنها تتنافى والشريعة الإسلامية كعدم غسل ملابسهم مثلا كما قد نبه على السفراء عدم إستعمال مياه النهر والاودية، لكن المسلمون الذين قدموا إلى مصر وعاشوا فيها كانوا متأثرين بالمدينة الإسلامية ومع هذا لا يزالون في بعض شؤونهم يتبعون نصوص الياسا.[3]

والواقع أن نصوص الياسا كانت محترمة جدا لدى المغول إلى درجة تبلغ القدسية، فكانت عندهم بمثابة القرآن عند المسلمين، بحيث انه أي شخص حتى السلطان بنفسه إذ خالف أحكامها أو خرج عليها مهما كانت منزلته فإنه يكون عرضة للامتهان والعقاب.[4]

أما بالنسبة لتأثر المماليك بنظام الياسا أن دولة سلاطين المماليك بحد ذاتها كانت دولة ناشئة، فهي بحاجة لقوانين تسير وفقها وقواعد تضبطها لذلك اتخذ السلاطين العديد من قوانين المغول خاصة في الجانب العسكري والحربي والسياسي لتنظيم الإدارة.[5]

---

[1] - القلقشندي، المصدر السابق، ص 310.

[2] - نفسه، ص 130. عبد المعطى الصياد، المرجع السابق، ص 347.

[3] - إيناس حسن محمد، المرجع السابق، ص 92.

[4] - عبد المعطي الصياد، المرجع السابق، ص 349.

[5] - إيناس حسن محمد، المرجع السابق، ص 93.

و أهم ما إتخذوه المماليك من نظام الياسة أو قانون الياسة هي تنظيم واجبات السلطان لوضع نظام للبلاد، وقد حدد هذا النظام في مجموعة وظائف يتولى أمر كل وظيفة شخص أو أكثر،وإذا كانت هذه الوظائف من الوظائف الهامة و الحساسة يتولى أمرها أحد أقارب الخان الأعظم و عند المماليك أقارب السلطان[1].

وكانت هذه الوظائف تتمثل في تعيين أربعة أشخاص لحمل السهام و الأقواس، وثلاثة أشخاص يتولون الإشراف على الطعام والشرب، وفرد واحد يتولى إعداد المراعي للأغنام و الماشية، وثلاثة للمحافظة على هذه المراعي وشخص واحد لإعداد العربات العسكرية ووسائل النقل و الحمل[2].

فرد واحد للإشراف على الموظفين والخدم في قصر الخان،و أربعة أفراد يتولون الحراسة بالتناوب وحمل السيوف وإثنان يتوليان أمر المحافظة على الخيول،و أربعة أشخاص لتبليغ رسائل الخان،وإثنان من النبلاء للمحافظة على النظام في إجتماعات المغول[3].

[1]- إيناس حسن محمد، المرجع السابق ، ص 95.

[2]- محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 39.

[3]- محمد فتحي، المرجع السابق، ص 86.

ثالثا: التأثيرات الاقتصادية المغولية على سلاطين المماليك:

بسطت دولة المماليك سيطرتها على مصر والشام وإحتلت موقع إستراتيجيا هاما كونها تتوسط آسيا وإفريقيا و أوروبا مما جعلها هذا الموقع مركزا تجاريا مهما، حيث أصبحت تسيطر على ثلاث بحار البحر الأحمر البحر المتوسط و المحيط الهندي أيضا[1].و هذا الموقع يعد حلقة وصل بين الشرق و الغرب حيث اهتم المماليك بالتجارة الشرقية وطرقها البحرية و البرية ووصلت علاقتها التجارية حتى مع المغول القبجاق و المغول المركزين نظرا للصلح الذي حصل بينهما خاصة مع مغول فارس[2].

وقد ارتبطت المدن و المحطات التجارية للدولة المملوكية بالنشاط العسكري أيضا، وكان توفر الأمن و الحماية على الطرق التجارية الؤدية إليها أثر في الدور التجاري لهذه المدن[3].

اعتمد التجار المماليك بكثرة الطريق البحر الأحمر الذي كان أكثر الطرق التجارية أهمية بين الشرق و الغرب، كما كان أكثر أمنا فكانت تنقل السلع الشرقية إلى ديار مصر و هو الطريق البحري[4].

أما الطريق البري كان يعتمد عليه في نقل الجواري و المماليك التي كانت تجلب من بلاد القبجاق، و يبدأ من الشام إلى أرمينيا والإمبراطورية البيزنطية و بلاد الروم حتى يصل إلى بلاد القبجاق، وكانت هذه البلاد لها دور كبير في المبادلات التجارية مع المماليك في مصر[5].

ففي عهد السلطان الظاهر بيبرس عمد إلى تشجيع التجارة بإعفائهم من الرسوم المفروضة عليهم ذهابا وإيابا ،سواء القادمة إليهم من قبل مغول فارس أو من بلاد مغول القبجاق و كرمان[6].

---

[1]- غوانمة يوسف، **تاريخ شرقي الأردن في عصر دولة المماليك الأولى**،وزارة الثقافة و الشباب، عمان، 1979، ص 62.

[2]- نفسه، ص 62.

[3]- شوكت رمضان، المرجع السابق، ص 44.

[4]- ضومط خليل أنطوان، المرجع السابق، ص 182.

[5]- إبن تغرى بردى، **النجوم الزاهرة** ، المصدر السابق، ج7، ص 181.

[6]- نفسه، ج7، ص 182.

كما قام السلطان الظاهر شبهيل مهمة شراء مماليك القبجاق وذلك بإبرام معاهدة تجارية مع مغول القبجاق عام (660هـ/1261م) هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجح بيبرس عن طريق سفرته وهدياه في أن يكسب ويقرب إمبراطور بيزنطة ميخائيل باليولوجس على السماح له بمرور السفن المملوكية التي تحمل المغول عبر مضائق البحر الأسود (البوسفور و الدردنيل)[1].

وكان رفع الجور و الظلم على التجار من قبل سلاطين المماليك ساعد على وفودهم إلى مصر دون إنقطاع، وبإستقرار الأوضاع للمغول في بلاد فارس قد مهد لهم الطريق لتشجيع التجار على أن يسلكوا الطريق البري القديم من الصين يعبر تركستان ثم بحر قزوين إلى موانئ البحر الأسود، و أما الفرع الأخر على أن يبدأ من الصين إلى بلاد فارس وسواحل البحر الأسود الجنوبية[2].

ومن التأثيرات أو بالأحرى من أثر حسن العلاقات التجارية بين مغول فارس ومماليك مصر تأمين الطرائق المؤدية إلى الحج، أيضا قضت على جهود الأوروبيين محاولين تدمير التجارة الإسكندرية التي كانت مركز لنقل التجارة الشرقية القادمة عبر البحر الأحمر[3].

إضافة إلى ذلك أن الصلح الذي بين المماليك أتاح للتجار نقل البضائع الواردة من الخليج العربي إلى دمشق بعيدة عن الخوف من المغول، وأهم ما تم نقله من هذه الطرقات تجارة التوابل، وظلت مصر و الشام منطلق عبور للتجارة الشرقية والغربية و عرف هذا النظام باسم تجارة عبور أو الترانزيت[4].

وقد أدى توقف الصراع بين المغول في فارس و السلاطين المماليك في مصر إلى تخفيض الضرائب المتراكمة على الناس مثل ضريبة الغلة[5].

---

[1]- نوار صلاح الدين محمد، المرجع السابق، ص 27.

[2]- إبن الوردى زين الدين، **تتمة المختصر**، المصدر السابق، ج2، ص 438.

[3]- نفسه، ج2، ص 439.

[4]- شوكت رمضان، المرجع السابق، ص 433.

[5]- نفسه، ص 440.

وقد إنتشر الرقيق في المجتمع المصري فقد كان موجودا في كل مكان في القصور والأكواخ والمصانع والمزارع ،و كان منهم الزنجي الإفريقي والحبشي والتركي والصقلي ومنهم حتى الصيني الذي جلبه المغول والخراساني والأرمني والبربري، فكانت تجمع كل الأجناس فقلد المسلمون هده الشعوب واستفاد، منها كما كان المماليك أنفسهم من الرقيق شاركوا المغوليين في تجارة الرقيق فبنوا لها في كل مدينة كبيرة سوقا خاص، يقوم على مراقبتها موظف يسمى قيم الرقيق[1].

فبعد أن أصبح المغول إمبراطورية واسعة بدأو في تشجيع علاقاتهم مع الدول الأخرى حتى الإسلامية وصولا إلى مصر، لكنهم إختاروا الطريق البري القادم من الصين ويجتاز تركستان ثم إلى شمال البحر قزوين إلى موانئ البحر الأسود، والطريق الآخر يبدأ من الصين ثم إلى بلاد فارس ثم إلى سواحل البحر الأسود الجنوبية مثل طرابيزون أو إلى مدينة أياس الواقعة في الجنوب الشرقي لآسيا الصغرى[2].

وقد شجع المغول التجار على إستخدام هذه الطرقات وذلك ما فرض ووضع المغوليين للأمن والنظام، حتى أصبح الطريق البري أفضل من الطريق البحري الطويل الذي كان يمر بالهند وما به من أخطار وكوارث طبيعية[3].

وما إن سيطر المغول على بغداد زاد ازدحام التجارة المغولية فبدأ يتأثر بتجار الشرق الأقصى التي كانت تصل إلى بغداد عبر الخليج ومنها إلى دمشق وحلب والسواحل الشامية ومصر،وبما أن كانت الدولة المملوكية قائمة فرضت حمايتها على دمشق مما جعل التبادل التجاري المملوكي المغولي يتوسع إلى أن بلغ دروته[4].

---

[1]- إيناس حسنى محمد، المرجع السابق، ص 54.

[2]- محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 128.

[3]- ضومط خليل أنطوان، المرجع السابق، ص 183.

[4]- غوانمة يوسف، تاريخ شرقي الأردن في عصر دولة المماليك الأولى، المرجع السابق، ص 64.

إضافة إلى ذلك أصبحت مصر بوابة التجارة الآتية من الصين و البلدان المغولية المفتوحة الواصلة إليها عبر البحر الأبيض المتوسط والواصلة إلى إفريقيا، وكانت التجارة عبارة عن تجارة الحرير و المواد الغذائية المختلفة[1].

كما شجعت تجارة الرقيق على البحر المتوسط لذي كان يبيعه المغول للمماليك ومن ثم إلى البنقية وجنوة ثم لحقت بهما بيزة، وإحتكرت جنوة تجارة الرقيق القادمة من سهوب روسيا إلى مصر والشام، وعندما تطورت مدينة إياس بفضل التجارة المغولية ضعفت موانئ الساحل الشامي الذي كان تحت رحمةالصليبيين، ورغم مقام ما بين المغول و المماليك من حروب بعد سقوط الإمارات الصليبية فإن ذلك لم يعرقل مسيرة التجارة كثيرا فتقدمت القوافل من بلاد فارس إلى مصر، ومما لا شك فيه أن الحروب تأثر بشكل أو بآخر على سير الحركة التجارية[2].

ومن العوامل التي ساعدت على سهولة العمليات التجارية داخل الإمبراطورية المغولية مع المماليك قيام الخان الأعظم بإنشاءدار سك النقود بالعملة الورقية و الحقيقة كانت النقود الورقية مستخدمة في الصين إلا أن الخان الأعظم أكتاي قام بتقليدها (631هـ\1234م)، ومقر دارسك النقود كان في مدينة كانبالا، التي كانت تصع من لحاء أشجار التوت إلا أن المماليك أي في بداية الأمر لم يتعاملوا بهذه العملة الورقية فإنهم يستثمرون المبلغ في شراء سلع تجارية أخرى تناسب أسواقهم[3].

إن إجتازوا ذلك الأمر بعد فتح الطرقات التجارية وأصبحت مصر ممر تجاري ضخم وإهتم المماليك بكل العملات التي تدخل إليهم، كما كان للمغول عقوبة تزوير الأموال و هذه العقوبة إتخذها المماليك بعد توطيد العلاقات التجارية بينهما[4].

---

[1] - إبن الوردي زين الدين، المصدر السابق، ص 439.

[2] - نور صلاح الدين، المرجع السابق، ص 28.

[3] - محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 129.

[4] - نفسه، ص 130.

و العقوبات التي إتخذها المماليك من المغول في معاقبة تزوير الأموال، تمثلت في أن الذي يقوم بتزوير العملة يجب عليه أن يعدم لأنهم اعتبروهاجريمة عقوبتها الإعدام، و على ذلك لا يجرئ أحدا على القيام بمثل هذه العمل وإلا عرض حياته للموت[1].

وكان يسجل على كل عملة عبارة "كل من زور سوف تقطع رأسه" وكان التعامل بهذه العملة داخل الإمبراطورية وخارجها، ويتقبلها الرعايا والأجانب دون تردد وبعد دخول المغول للإسلام أصبح تظهر عليها عبارات قرآنية، وكانت أعطيات الجند تمنح لهم بهذه العملة نتيجة أهميتها اعتبارهابمثابة الذهب و الفضة[2].

أيضا كانت تأثيرات مغولية غير مباشرة على سلاطين المماليك في مصر حيث أن باقتحام المغول بغداد وسقوطها هرب الكثير من التجار والحرفيين وأصحاب المهن و الحرف نحو مصر، ولقوا ترحيب كبير من قبل سلاطين المماليك واستقبلوهم بحفاوة لأنهم قلو معهم بضائعهم العلمية والفنية التي تحتاج اليها مصر، مما أدت إلى وفرة اليد العاملة وكثرة الحرف في مصر وتنوعت بتنوع الحضارات الأخرى هذا من جهة[3].

ومن جهة أخرى دخول المغول للإسلام شجع على تحسين العلاقات مع المماليك مما أدى إلى تزاحم المبادلات التجارية بينهما، ففي مجال التجارة كانت مبادلات متنوعة منها الحرير والتوابل و المصاحف المختلفة للأجسام والأحجام المجلد، وللأسلحة كالسيوف المختلفة للأحجام و الأشكال إضافة إلى السجادات ذات الألوان المتعددة[4].

وقد إستمر الإسلام داخل القبائل المغولية كلها تدريجيا خاصة سلالة بركة خان من بعده، ومن ذلك أن منكو تيمور قد صك في عهده درهما مضروبا في بلغار عام

---

[1]- السيد الباز العريني، **المغول**، المرجع السابق، ص 81.

[2]- نفسه، ص 80.

[3]- فتحي سالم حميدي اللهيبي، **جوانب من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العصر المملوكي (تغيير جديد)**،الموصل للنشر و التوزيع، د م، 2014، ص 111.

[4]- نفسه، ص 112.

(673هـ/1274م) مكتوبا عليه منكوتيمور خان الأعظم، وفي درهم آخر مكتوب عليه هذا العز الدائم و الشرف القائم على الله[1].

بمعنى أوضح أن بعد إسلام مغول فارس توقف الحرب بين الطرفين مغول إيران وسلاطين المماليك مما ساد أمن الطرقات، فبذلك سهل على التجار التنقل من مكان إلى آخر دون خوف من بطش بعضهم لبعض،و عم الأمن بين المسافرين مما شجع الناس على التنقل من مكان لمكان[2].

ومن تأثيرات أيضابدا المغول بالدفاع عن الإسلام و المسلمين حتى داخل الأسواق فبدا بدفع لظلم عن المساكين، وكف الأذى والقضاء على اللصوص وقطاع الطرق وتخليص الناس منهم كما شجعوا الصداقات و حرموا التعامل بالربا[3].

وقد إهتم المغول والمماليك معا في خدمة بيت المال و المحافظة عليه ووضع عمال مناسبين له لتفادي السرقة والإحتلال، وكان لبيت المال أهمية في شراء الرقيق لأن العرف جرى على أن يشتري السلطان المماليك الجدد بمال من هذا البيت، و السلطان هو الذي يعتقهم من الملكية أما مبلغ شرائهم لم يكن ثابت[4].

ويشترط في الرقيق الذي يشتري بين البلوغ وطول القامة والصحة الجيدة و خصص لهم سوق يسمى بسوق البرجاس[5].

أما بالنسبة للحياة الزراعية في الدولة المملوكية الثانية تعتبر دعامة للإقتصاد المصري حيث شهدت مصر في القرن الأول من حكم السلطانية المملوكية نموا ملحوظا في عدد

---

[1]- محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 412.

[2]- الداودار ركن الدين، المصدر السابق، ص 218.

[3]- محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 421.

[4]- السيد الباز العربي، **المماليك**، المرجع السابق، ص 74.

[5]- إبن تغرى بردى ابو المحاسن، **النجوم الزاهرة**، المصدر السابق، ج6، ص 672.

السكان، تمثل بتوسع السلطان العمراني حول مدينة القاهرةو ارتفاع عدد القرى في الوجهين القبلي و البحري ،كما أدى ارتفاع السكان أيضا إلى وفرة مجموعة من النشطات الحرفية[1].

إلا أن تفكك النظام السياسي والإهمال الصحيو انتشار الأوبئة والطواعين و إستئثار السلطنة الحاكمة بالمقدرات الاقتصادية للشعب المصري، وفقدان الرغبة لدى الفلاحين الصغار في ممارسة الزراعة[2].

فاعتمد المماليك الجراكسة على الجانب الزراعي أكثر مما كان عليه المماليك البحرية، ولأن المغول اعتمدوا الزراعة وتربية المواشي في بلادهم سهل على سلاطين المماليك في الاهتمام بهذا الجانب.[3]

ولدى منغوليا أيضا مخزون معادن كبير من النحاس والفحم الحجري والقصدير وحتى الذهب الذي اعتمده في المبادلات التجارية مع مصر، وهذا دليل على أنهم لم تكن مبادلاتهم التجارية تعتمد على الرقيق فقط.[4]

اهتم سلاطين مصر بالزراعة اهتماما كبيرا حيث كانت الزراعة في ذلك الوقت الحرفة الأولى لغالبية السكان، والمورد الأول الذي عاش عليه معظم الأهالي، ولقد وزع سلاطين المماليك أراضي الزراعية عموما على الفرسان المماليك على شكل إقطاعات، ومن بين هؤلاء الفرسان فيهم مجموعة كبيرة دوى الأصول المغولية مما أثروا في الأرض وامتلكوها وكان لهم أثر إيجابي في خدمة أرض مصر. [5] ولقد مسحت الأراضي الزراعية في عصر المماليك أكثر من مرة ، وهذه العملية كانت تسمى باسم الروك، اشتهر في عصر المماليك

---

[1] - عامر نجيب موسى ناصر، **الحياة الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي**،دار الشرق للنشر و التوزيع، مصر، 2003، ص 92.

[2] - نفسه، ص 93.

[3] - نوار صلاح الدين محمد، المرجع السابق، ص 27.

[4] - السيد الباز العريني، **المغول**، المرجع السابق، ص 92.

[5] - ضومط خليل أنطوان، المرجع السابق، ص 193.

الروك الحسامي الذي أجراه السلطان حسام الدين لاجين سنة (1296م\695هـ) وكذلك اشتهر الروك الناصري الذي أجراه الناصر محمد بن قلاوون سنة (1315م\714هـ).[1]

وكان اهتمام السلاطين المماليك في الزراعة عموما إن ازداد انتاج الأرض ولقد نبعت الزيادة من اهتمام هؤلاء السلاطين بالجسور، ولقد قسمت الجسور إلى قسمين: القسم الأول كان يعرف بالجسور السلطانية وكان يستفيد منها عامة الناس، أما القسم الثاني الجسور التي تختص منطقة معينة وكان السلاطين عموما يرسلون في كل سنة عددا من الأمراء إلى مختلف المناطق لعمارة الجسور.[2]

كان المسؤول عن بناء الجسور من الأمراء يسمى كاشف الجسور، أما المحاصيل الزراعية فكان على رأسها القمح ويليه الكتان وقصب السكر، إضافة إلى الخضر والفواكه وكان أمراء المغول ذوي إقطاعات خاصة بمصر مما يعد لهم الفضل في تنظيم المحاصيل والإشراف عليها، كما كان أسرى مغول فارس يعملون في الأراضي المصرية كفلحين على شكل قن ليس له من الأرض وخيراتها إلا القليل.[3]

وقد اعتمدت هذه المنتجات الزراعية في تشجيع وترويج تجارتها الداخلية والخارجية أيضا، فبعد التحركات العسكرية المغولية من آسيا الوسطى باتجاه الغرب توقفت القوافل تقريبا على الطريق البري الذي كان يعرف بطريق الحرير، والذي يأتي من الصين ويعبر أواسط آسيا ثم إيران ليصل إلى بلاد الرافدين فبلاد الشام ومنه إلى مصر والأناضول يستمر غر با إلى أوبة الشرقية والغربية.[4]

لكن توقف هذا الطريق ليزدهر طريق البحر الأحمر وازدهرت موانئ البحر الأحمر المتاجرة المغولية مع سلاطين المماليك، كانت تأتيهم من الصين بحرا لتدور حول به القارة

---

[1] - ضومط خليل أنطوان، المرجع السابق، ص 193.

[2] - القلقشندي، المصدر السابق،ج4، ص 412.

[3] - نفسه، ج4، ص 413.

[4] - حياة ناصر الحجي، أنماط من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في سلطنة المماليك، ذات السلاسل النشر، الكويت، 1995، ص 199.

الهندية ثم تعبر بحر العرب فباب المندب وعبره وجده لتصل إلى القاهرة والإسكندرية، وكان الوعي الكبير لدى سلاطين المماليك بأهمية هذه التجارة فتتجه هذا التأثير أصبحت مصر تقوم بدور الوسيط بين تجار الشرق وتجار الغرب.[1]

فمن تأثير المبادلات التجارية المغولية المملوكية بصفة عامة والتجارة الغرب والشرق بواسطة الوسيط المملوكي عمر سلاطين المماليك على تأمين طرق التجارة داخل البلاد كي تصل سليمة، كما عملت على إغراء التجار الرق لجلب بضائعهم إلى مصر وقد ضرب السلطان المنصور قلاوون بيد من حديد على العبثين والمعتدين على قوافل التجارة وهذا العقاب اتخذه من النظام الغولى الذي جاء في نظام الياسة، كما أرسل نوابه وأمرهم بحسن معاملة التجار وملاطفتهم والتودد إليهم وترغيبهم بالمجيء.[2]

ومن أهم المنتوجات التي كانت تستبدل أيضا الشب وكان يستعمل من أجل الصباغة وتثبيت الألوان وكانت مصر غنية بهذه المادة كذلك البلسم كان ينتقل من مصر أيضا، إضافة إلى الأحجار الكريمة والزجاج والسكر هذا كان يجلبه المغول من الهند ويتجروا به في مصر، إضافة إلى التوابل الهندية والحرير كما جلبوا من بلادهم منغولي الخشب بأنواعه المختلفة والمعادن والرقيق والجلد والخضر.[3]

كما خصص سلاطين المماليك فنادق خاصة ليقيمون بها التجار وكان في بعض المدن أحياء لجاليات من التجار وكانت هذه الفنادق عبارة عن أبنية مربعة الشكل محاطة بسور متين وتتألف من عدة طبقات، تشرف على ساحة داخلية تستخدم لتعبئة السلع وتفريغها، وكانت مستودعات التجار في الطابق الأرضي كان الفندق يشمل عموما على حمامات وأفران كما كانت تحيط به الحدائق.[4] وكان يشرف على الجاليات التجارية قناصل

---

[1] - حياة ناضر الحجي، المرجع السابق، ص 197.

[2] - محمود درزق سليم، النيل في عصر المماليك، دار القلم، الإسكندرية، 2000، ص 160.

[3] - نفسه، ص 154.

[4] - غوانمة يوسف، المرجع السابق، ص 62.

كل قنصل يمثل دولته ويكون سلطة وصل بين تجار بلاده وبين سلاطين المماليك ،وهو الذي يشرف على رعاية مصالح شؤون جالية بلاده ودفع الظلم عنهم.[1]

أما بالنسبة للصناعة فكانت تأثيرات المغولية على هذا الجانب أغلبها غير مباشرة بإقتحام المغول البلاد الإسلامية واضطهاد المسلمين في بلدانهم، هرب الكثير منهم ودخلوا مصر في حين سلاطين المماليك كانوا في بداية نشأة دولتهم فهم بحاجة إلى عناصر سكانية جديدة تدعم سلطنهم ، فمن بين الذين هربوا ولجؤوا إلى البلاد المصرية الكثير من الحرفين وذوي صناعات مؤهلة خاصة بعد سقوط بغداد.[2]

وبالتالي ازدهرت الصناعة في عصر السلاطين نتيجة تراكم الثروة وكثرة السكان المحليين واللاجئين الهاربين من بطش المغول، ولأن دولة المماليك كانت دولة عسكرية فلقد احتلت الصناعات الحربية مكانا بارزا في النشاط الصناعي، ولقد وجد في القاهرة على سبيل المثال سوقا عرفت بسوق السلاح ولقد تأثروا بالأسلحة المغولية وظهر ذلك من خلال محاصرتهم للصالبين في السواحل الشامية كالمنجنقية وغيرها.[3]

ويرتبط بالصناعات الحربية صناعة السفن إذ حرص السلاطين المماليك على إنشاء أسطول بحري قوي يحمي شواطئ الدولة سواء من البحر الأحمر أو البحر المتوسط، إضافة لذلك اشتهرت الصناعات المدنية لصناعة المنتوجات، ومن المنتوجات التي اشتهرت في ذلك العصر المنتوجات الفسطاطية المنسوبة إلى مدينة الفسطاط وقماش الديبق السنوب إلى مدينة الديبق في مصر ،إضافة إلى الحرير والقطن والصوف وقد ظهرت صناعة الجلدية التي تفننا فيها المماليك حيث تأثرهم بالمغول حيث اتخذوا منهم الجودة والحرفية معا.[4]

لأن دباغة الجلود كانت من أشهر الصناعات لدى المغوليين استخدمها المماليك في ألبسة خيولهم خاصة السروج وتحلى بالذهب، إضافة إلى الصناعات المعدنية اتخذوا منهم

[1] - غوانمة يوسف، المرجع السابق ، ص 88.

[2] - فتحي سالم حميدى، المرجع السابق، ص 114.

[3] - غوانمة يوسف، المرجع السابق، ص 63.

[4] - محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 412.

صناعة الفخار حيث كانت تصنع بها الثريات والأواني المنزلية الطينية و الأبارق والصحون والطسوت (الطشوت)، كما بلغت صناعة الخشب الذي جلب بلاد منغوليا والقبجاق درجة كبيرة من التقدم وزاد عليها المماليك بالزخاف بواسطة حشوات ومخروطات.[1]

وكان الحرفيون عموما ينتظمون في نقابات ولكل نقابة قانون خاص يحدد الشروط التي يجب أن تتوفر في الحرفي ومنتجه، ولكل نقابة من هذه النفايات رئيس أو شيخ له الأمر والنهي على كافة الحرفيين من صنف واحد.[2]

[1]- عامر نجيب موسى ناصر، المرجع السابق، ص 94.

[2]- شركت رمضان، المرجع السابق، ص 433.

الفصل الرابع: الانعكاسات المغولية الثقافية لدولة سلاطين المماليك.

أولا: التأثيرات المغولية الحضارية على الجانب العلمي لسلاطين المماليك.

ثانيا: التأثيرات المغولية الحضارية على الجانب الاجتماعي لسلاطين المماليك.

ثالثا: التأثيرات المغولية الحضارية على الجانب العمراني لسلاطين المماليك.

أولا:التأثيرات المغولية على الجانب العلمي:

يعتبر تأثير المغول على الجانب العلمي واللغوي على المماليك تأثيرا غير مباشر لكنه كان إيجابيا بالنسبة لدولة سلاطين المماليك، حيث أصبح عصر المماليك يمثل قوة ازدهار الحركة العلمية في مصر، ذلك بسبب ما أصاب العالم الإسلامي من نكسات على أيدي المغول في العراق والشام، ففي تلك الفترة لم يجد العلماء في الشرق مكانا يسوده الأمن والاستقرار سوى اللجوء إلى مصر[1].

فقد صارت دولة المماليك مركز علمي ومركز الدولة العباسية بفضل طغيان المغولي على المشرق الإسلامي وقد كان المماليك أثر كبير في ازدهار الحركة العلمية على الر غم من أصولهم غير العربية، وأن الكثير من الأمراء والحكام كانت أصولهم تنتمي إلى المغول لكنهم باعو في أسواق العبيد وجلبوا إلى مصر ووصلوا إلى الحكم بفضل ذكائهم وحنكتهم[2]. فيذكر على سبيل المثال أن الظاهر بيبرس كان مولعا بسماع التاريخ، كما كان الغوري يحرص على عقد المجالس العلمية والدينية بالقلعة وكان يشارك شخصيا في المناظرات والمسائل العلمية التي تطرح للمناقشة في تلك المجالس[3].

ولم يقتصر تشجيع العلماء السلاطين المماليك فقط وإنما تعد ذلك أمراؤهم فقد شغل الكبير منهم باللغة العربية والتاريخ و الفقه، حتى المغول بحد ذاتهم أخذوا اللغة العربية بعد إسلامهم وحفظوا القرآن والحديث باللغة العربية وعملوا على نقله إلى الهند والصين وكثرة المخطوطات في ذلك العصر[4].

وتشمل جوانب المعرفة الأدب والتاريخ والجغرافيا والعلوم الدينية والطب أيضا وأشتهر بالنثر القلقشندي صاحب كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا، وشمس الدين النواحي كما ألف ابن المنظور لسان العرب المعجم المشهور، وبرز أيضا بيبرس وابن خلكان الذي وضع

---

[1]- أحمد عودات، المرجع السابق، ص 166.

[2]- محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 125.

[3]- أحمد عودات، المرجع السابق، ص 167.

[4]- سعيد عاشور، **المجتمع المصري**، المرجع السابق، ص 142.

كتاب وفيات الأعيان و غيرهما إضافة إلى أبو المحاسن ابن تغرى بردي صاحب كتاب النجوم الزاهدة و تقي الدين المقريزي كتابه السلوك والمواعظ والاعتبار (الخطط المقريزية)[1].

وقد برزت العديد من المدارس أشهرها المدرسة الظاهرية التي أنشأها الظاهر بيبرس والمدرسة الناصرية نسبة إلى الناصر محمد بن قلاوون، كما برزت الكثير من المدارس المغولية بعد إعتناقهم الإسلام،أما بالنسبة للمكتبات كانت بمثابة مدارس إبتدائية[2].

و الهدف منها تعليم الأسرى الذين تخاجهم لتدعيم دولتهم واليتامى و العبيد الأمر الذي دفع أهل الخير إلى إنشاء المزيد منها، وقد دفع المغول القبجاق أموال لمصر عبارة عن هدايا لبناء هذه المكتبات بغية التقرب إلى الله وفعل الخير بعد إسلامهم، أي من أجل نيل الثواب،وخصص لها المؤدبو والعرفاء لتعليم الكتابة وقراءة القرآن وتحفيظه[3].

وكان يتم إختيار هؤلاء من أهل العقل والوزع والأخلاق الحميدة و المتصفون باللين و البعد عن القسوة والعنف ومن ذوى الشفقة و الرحمة[4].

كما قام المغولي بحملة عسكرية على بلاد الشام من أجل إسقاط حامية المملوكية هناك ومحاولته دخول مصر للقضاء على المماليك كان دلك عهد السلطان المملوكي فرج بن برقوق سنة (1399م-1412م) أثناء حكمه للمرة الأولى، فقام القائد بنقل جميع العلماء و الحرفيين المهرة إلى عاصمته سمرقند حتى يعطوا دروسا للمغوليين في جميع الجوانب من العلوم العقلية والأدبية، وبهذا إنتهت الحضارة الإسلامية المملوكية وعلومها وأدبها إلى سمرقند ويعتبر أكبر تأثير علمي في حياة سلاطين المماليك في هذه الفترة[5].

وكان السلطان بيبرس يرسل إلى المغول القبجاق برسل محملة بالكتب إضافة إلى ذلك إرسال لهم رجال العلم والدين لتعليمهم العربية، وتلك الكتب تحمل أكثر من سبعين

---

[1]- أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 148.

[2]- أحمد عودات، المرجع السابق، ص 170.

[3]- سعيد عاشور،**مصر و الشام**، المرجع السابق، ص 280.

[4]- سعيد عاشور، **المجتمع المصري**، المرجع السابق، ص 143.

[5]- محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 126.

صفحة فيها الكثير من الآيات القرآنية التي تخص الجهاد ،و مثال ذلك الكتب التي أرسلها بيبرس للخان بركة ضد هؤلاء[1].

كما كان المغول يقومون بالمتاجرة بكتب التي يمنحها لهم المماليك بهدف نشر الدين و اللغة كالمصاحف المختلفة الأحجام المجلدة، إضافة إلى السجادات ذات الألوان الزاهية[2].

ولقد أفاض بركة خان المغولي العطاء بالهبات وأقام حرمة العلم و العلماء حتى عمرت بكبار العلماء،وعلى رأسهم قطب الدين العلامة الرازي و الشيخ سعد الدين التفتازاني والشيخ جلال الدين وغيرهم من فضلاء الحنيفةو الشافعية، ثم بعدهم حافظ الدين البزازي فأصبحت سراى مجمع العلم[3].

القاهرتأثرت بأحياء شهرة دينية و علمية واسعة بعد أن صارت مركز الخلافة العباسية وفي ذلك يقل جلال الدين السيوطي الإيمان و العلم يكونان مع الخلافة أينما كانت، فحين صارت مقر دار الخلافة عظم أمرها وكثرت شعائر الإسلام فيها وصارت محل سكن العلماء ومحط رحال الفضلاء[4].

فيعتبر الغزو المغولي لبلاد الشام أثر إيجابي على مصر ذلك بوفود جماعة كبيرة من العلماء والفقهاء و المثقفين إلى الديار المصرية هاربين من الخطر المغولي، فاجتمعوا بمصر وصارت المعقل الوحيد للحضارة الإسلامية[5].

و أصبحت القاهرة مشعل للثقافة الإسلامية إذ لجأ اليها الفنانون والصناع و الخطباء من فارس والعراق والشام و الوصل حاملين معهم زادهم العلمي[6].

---

[1] - محمود سعيد عمران، المرجع السابق ،ص 409.

[2] - نفسه، ص 409.

[3] - أحمد عودات، المرجع السابق، ص 168.

[4] -جلال الدين السيوطى ،حسن المحاضرة، المصدر السابق، ج2، ص 66.

[5] - شوكت رمضان حجة، المرجع السابق، ص 490.

[6] - ماجد عبد المنعم، **تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1973، ص 152.

تنج عن سقوط بغداد في أيدي المغول أثار ونتائج عديدة في الحياة الإسلامية فالوحدة السياسية للمسلمين أصبحت من الأمور التي يستحيل تحقيقها، أضف إلى ذلك الثقافة الإسلامية منيت على أيدي المغول بسارة كبيرة حين أتلف المغول آلاف من الكتب القيمة و المخطوطات النادرة و قتلوا الكثير من العلماء و الأدباء[1].

واستوا شمل من بقى منهم في مختلف البقاع الإسلامية ومن أهم التأثيرات المغولية الغير مباشرة على المماليك في الجانب العلمي ،هي أن مصر جذبت عددا كبيرا من هؤلاء العلماء مما أدى إلى إنتقال مركز الزعامة و الريادة الفكرية إلى القاهرة ،التي أضحت بحكم وضعها الجغرافي أقرب من بغداد إلى أوروبا مما ساعد على إقتراب العالم الغربي من الحضارة الشرقية[2].

سبب إتلاف المغول الكتب أنهم كانوا يعرفوا الكتابة في بداية الأمر ولم يهتموا بالعلم، حتى عهد جنكيز خان تعلمها القليلون فقط، لكن اهتمامهم الفعلي بالجانب العلمي و الثقافي بعد دخولهم الإسلام، حيث ساهموا في بناء المدارس الإسلامية بمصر[3].

و أهم العصور التي سادت فيها الثقافة الكاملة عصر المنصور قلاوون و إبنيه السلطان الأشرف خليل والسلطان الناصر محمد، وينقسم التعليم في هذا الدور إلى ثلاثة مراحل الأولى ابتدئ من الصغر إلى سن البلوغ،و هذه المرحلة درس فيها أسرى المغوليين و أبناءهم لما سكنوا مصر[4].

كانوا يوضعون في الطباق تحت إشراف الأغوات فيقومون ببعض التمرينات الرياضية ويعلمون الكتابة و القراءة إضافة إلى تلقين آيات من الذكر الحليم، و ضروبا من الفروض

---

[1] - أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 148.

[2] - السيوطي جلال الدين، تاريخ الخلفاء، المصدر السابق، ط2، مج1، ص 309.

[3] - محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 41.

[4] - محمود رزوق سليم،**موسوعة عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي و الأدبي**، مكتبة الأدب، ط2، القاهرة، 1962، ص 267.

الدينية ويعودون الصلاة كما يحافظون بعض الأدعية لتلاوتها في مناسباتها، درس في المدارس تجار المغول الذين نقلوا هذه العلوم إلى البلدان الأخرى التي يرتحلون بها[1].

أما مرحلة التعليم الثانية تبدأ من سن البلوغ وفيها يؤخذ المملوك بكل شدة فلا يتسامح معه إذا غلط أو هنا أو بدأ منه شذوذ خلقي ويقسم الطلاب إلى طوائف وكل طائفة توكل إلى معلم ماهر، وقد درس في هذه المرحلة أبناء الأمراء و المماليك الذين ألزمهم السلطان بكتابة الرسائل للايلخانات الأخرى كما تعلم فيها الجند أيضا ونحن نعلم أن أغلب المماليك من أصول مغولية، وبالتالي أثروا فيهم بشتى الطرق ففي هذه الفترة تعلموا السباحة واللعب بالسيوف و غيرها[2].

أما المرحلة الثالثة تضم فيها كافة من برزت مواهب العلم فيه وضمنت كل من النبلاء والعسكريين وكبار المغوليين الذين أرادوا تلقين اللغة العربية و الفقه[3].

كما كان يوصى تجار الرقيق في اختيارهم من صغار الغلمان ورفع أثمانهم حتى وصل ثمن الواحد إلى آلاف الدراهم، لذلك أكثر المغول من جلب الرقيق إلى مصر لتعليمهم وجني الكثير من الأموال، وبهؤلاء أصبحت مصر مزهرة بمختلف الأجناس و اللهجات و العادات فأصبحوا سادة يدبرون الممالك وقادة يجاهدون في سبيل الله و أهل سياسة يبالغون في إظهار الجميل[4].

ومن التأثيرات ايضا كثرة المماليك و ازدحمت الأسواق بالرقيق الذين كانوا يجلبوا من أجل الدراسة، ثم انضمامهم بالجيش فاشتهرت الفروسية وبرزت منهم سلاطين مصر وكبار أمرائها[5].

---

[1] - محمود رزوق سليم،المرجع السابق ،ط2، ص 269.

[2] - محمد العناقرة، **المدارس في مصر في عصر دولة المماليك (دراسة تاريخية من خلال الوثائق والوقضيات و الحجج 648هـ-923هـ/1250-1517م)**، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2015، ص 280.

[3] - محمود رزوق سليم، المرجع السابق، ص 270.

[4] - المقريزي، **الخطط**، المصدر السابق، ص 41.

[5] - إبن إياس محمد بن احمد، المصدر السابق، ج1، ص 144.

ولذا قسمت مناصب الدولة إلى قسمين قسم المتعممون وقسم الأمراء، وقد أطلق لفظ المتعممين على الفئة المثقفة من أبناء الشعب النابغين في العلم والأدب والمتخرجين من المساجد و هؤلاء يعينوا في القضاء وكتاب الدواوين وكتاب السر وشيوخ المدار س والخوانق وما إلى ذلك، أما الأمراء فأصلهم من معتوقي المماليك وأغلبهم ذوي أصول مغولية و الذين وصلوا إلى الإمارة و لكل واحد من هؤلاء إقطاع يمنحه فيستغله وفق هواه[1].

تلفت المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يبحثون لأنفسهم عن ملجأ يلجأون إليه ومأوى يأوون فيه بعد النكبات المتلاحقة في عهد إنتشار المغوليين وبعد سقوط أكبر دولتهم سقوطا نهائيا و هي الدولة العباسية، فلم يجدوا أمامهم سوى مصر وبلاد الشام حيث اسس المماليك لهم و أقاموا لأنفسهم سلطانا فقد عمل المماليك على رد طغيان التتار، وما وقف سلاطين المماليك و أمرائهم المواقف تلك إلا أنهم مسلمون معنيون بشؤون دينهم مطالبون بدفع الأذى عنه[2].

فتوجهت أنظار المسلمين إلى مصر ولفتوا قلوبهم و أرواحهم إلى القاهرة باعتبارها عاصمة جديدة، وبذلك كله إكتسبت مصر مكانا في الحياة جديدا لذلك أنتقل النشاط العلمي من العراق وبغداد إلى مصر وقاهرتها، ونشرت القاهرة زعامتها العلمية وقيادتها الأدبية على بلاد الإسلامية تقريبا زهاء القرون الثلاثة التي عاشت فيها دولة الممالك، فلولا غزو المغولي ببلاد المسلمين من بلدانهم متجهين إلا مصر التي بفضلهم أخذت الريادة العلمية و أصبحت عاصمة الثقافة[3].

فمن عوامل نشاط الحركة العلمية في مصر وقوع كثير من البلاد الإسلامية في يد المغول فغطى سيل التتارمن أواسط آسيا إلى الشام، فكان مسرحا للنزاع العنيف بين دول

---

[1]- المقريزي، **الخطط**، المصدر السابق، ج3، ص 348.

[2]- محمود رزوق سليم، المرجع السابق، ص 271.

[3]- إبن أم قاسم المرادي،**توضيح المقاصد و المسالك بشرح ألفية إبن مالك**، تر: عبد الرحمان علي سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001، مج1، ص 15.

المغول والمماليك فالتف المسلمون حول من يحافظون عليهم من سلاطين المماليك،و عملوا على تدعيم ملكهم ومن أهم وسائل تدعيم الملك إحياء العلوم و المعارف[1].

أيضا قيام المغول بقتل العلماء وا إتلاف الكتب العلمية و على أثر ذلك فر من فر من العلماء من وجه التتار، أو أنف الإقامة في ظلهم وا إستقر بهم المقام في كف سلاطين مصر وفود العلماء والأدباء إلى مصر والشام، ومن هؤلاءإبن مالك الأندلسي وا إبن خلدون و غيرهما زوال الخلافة العباسية فأتجهت الأعين إلى مصر حيث كانت مركز للخلافة[2].

وا إنتقال الزعامة لمصر من خلال وفود المسلمين إليها هاربين من بطش المغول وتشجيع المماليك للعلم ظهرت العديد من المدارس، أشهرها المدرسة المعزية عمرها السلطان عز الدين إيبك الجاشنكير أول ملوك البحرية وذلك عام (654هـ\1256م)[3].

جامعة القلعة أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون عام (718هـ\1318م) وجعل فيه درسا وقراء، أيضا مدرسة السلطان حسن التي أنشأها السلطان الناصر حسن بن قلاوون من عام (757هـ\1356م) وأستمر العمل فيها ثلاث سنوات، إضافة إلى المدرسة المؤيدية هي الجامع المعروف بجوار باب زويلة أسسها المؤيد شيخ المحمودي وا إنتهت عمارتها عام (817هـ\1414م)وغير ذلك من المدارس والخوانق و الزوايا[4].

فمن تولى التدريس بالموسة الناصرية التي أنشأ العادل و أكملها الناصر بن قلاوون القافي زين الدين على بن مخلوف المالكي لتدريس فقه المالكية، وقد دخل العديد من المغول لأخذ دروس الفقه في هذه المدرسة، وقاموا بنشره في القبجاق لأن مغول القبجاق لأن مغول

---

[1]- محمود رزوق سليم، المرجع السابق، ص 269.

[2]- إبن أم قاسم المرادي، المصدر السابق، مج1، ص 16.

[3]- نفسه، مج1، ص 16.

[4]- المقريزي، الخطط، المصدر السابق، ج4، ص 510.

القبجاق مسلمين من أهل السنة[1]. أما من تولى التدريس بالمدرسة الخرومية المنشأة بعد عام (750ه\1349م) الشيخ بهاء الدين بن عقيل مدرسا للفقه أيضا[2].

وبجلب العديد من الأجناس داخل مصر وكثرة وفودهم جعل التنافس في الحركة العلمية أثر كبير وبديع، في سبيل البلوغ المراكز العالية التي خصصت لهم في القضاء وفروعه في مشيخة الإسلام وفي مشيخة المساجد والخوانق سواء كان الإغراء بالرواتب المادية أم المنزلة الأدبية التي يصلون إليها بمصاحبة السلطان[3].

وقد شهدت مصر إثر انتصارها في معركة عين جالوت وما بعدها حياة ثقافية حافلة بمختلف العلوم والفنون خلافا للحياتين السياسية والاجتماعية، وذلك لاهتمام المماليك بالمدارس والزوايا والربط[4]. فأصبحت القاهرة عامرة بها زاخرة بمجالس العلم والأدب وكان المغوليين لهم دور فعال في بيع كتب المماليك بأسواق الكتب والوراقين للراغبين في التحصيل العلمي والعطاء المعرفي، وقد بلغ عدد المدارس التي ذكرها المقريزي في عصر المماليك نحو خمس وأربعين مدرسة[5].

وعرف هذا العصر حركة نشيطة في التأليف وهذه المؤلفات نقلت إلى الخان القبجاقي من خلال سفارات كان يرسلها السلطان المملوكي إلى الخانات، فظهرت الموسوعات التي

---

[1] - محمود رزق سليم، المرجع السابق، ص 273.

[2] - إبن أم قاسم المرادي، المصدر السابق، ص 19.

[3] - جورج يانج، **تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل**، تر: علي أحمد شكري، مكتبة مديولي، القاهرة، 1996، ص 34.

[4] - **الربط:** جمع الرباط وهو دار يسكنها أهل طريق الله والرباط من الخيل الخمس فما فوق والمرابطون من لازموا ثغر العدو وأصله أن يربط كل من الفريقين خيله ثم صار لزوم الثغر رباطا وربما سميت الخيل نفسها رباطا وقد يطلق هذا على المواظبة على الأمر. المقريزي، **الخطط**، المصدر السابق، ج2، ص 427.

[5] - محمد زغلول سلام، **الأدب في العصر المملوكي**، دار المعارف، مصر، 1971، ج1، ص 83.

تجمع أنواعا شتى من المعارف والعلوم وكثر تأليف المتون والشرح و الحواشي، خاصة في علوم القرآن والحديث والتفسير والفقه و الأصول فضلا عن علوم اللغة[1].

وكان لإنشاء المدارس في مصر في العصر المملوكي أثر كبير في إرساء دعائم النهضة العلمية والثقافية في ذلك العصر، وكان معتادا طوال عصر المماليك أن يكون من أثار السلطان مدرسة أو أكثر وينسجم هذا القول على معظم سلاطين المماليك بداية بالمعز ايبكو انتهاء بالسلطان اللغوي، كما لو كانت هذه المدارس مظهرا من مظاهر السلطة و شعارها[2].

وتجدر الإشارة إلى دور الأوقاف و أهيتها في إثراء النهضة العلمية و الثقافية في مصر خلال العصر المملوكي لما لها من أهمية كبرى في المحافظة على الكثير من المدارس والمنشآت التعليمية، إذ بدونها لا يمكن لأية مؤسسة تعليمية الاستمرار وبخاصة في عصر المماليك لكونها في بداية نشأتها[3]. وقد عمل الخان بركة في إرسال مبالغ الأموال للإسهام في بناء المدارس بمصر، فلقد كان للعامل الفردي لكثير من الأمراء المغوليين الذين بعضهم من أصول مغولية وبعض الأغنياء دور فعال في تشييد المدارس ودور التعليم الأخرى[4].

ففي مجال العلوم خلال العصر المملوكي بأكبر عدد من المؤرخين الكبار منهم إبن خلكان صاحب وفيات الأعيان جلال الدين السيوطي صاحب تاريخ الخلفاء، وفي الجغرافيا عاش في هذه الفترة الرحالة الشهير إبن بطوطة والبحارة إبن ماجد وفي الطب إبن نفيس مكشف الدورة الدموية الصغرى[5].

---

[1]- أحمد جلايلي، **الحياة الثقافية في مصر المملوكية**،مجلة الأدب و اللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد السادس، 2007، ص 174.

[2]- محمد العناقرة، المرجع السابق، ص 11.

[3]- محمد زغلول سلام، المرجع السابق، ص 84.

[4]- محمد العناقرة، المرجع السابق، ص 11.

[5]- محمد زغلول سلام، المرجع السابق، ج1، ص 112.

أما في القضاء نظموه وطوروه و أخذوا من قوانين الياسة ما يكفيهم لمعاقبة المجرمين وفي الحسبة أيضا التي كانت تعاون القضاء،و أيضا ديوان النظر في المظالم المحاسبة رجال الدولة وقد ورثوا نظامي للوزارة والسلطنة من الأيوبيين والفروسية، و الكثير من القوانين من المغولين ونظموا الصناعات كما أخذوا التعليم في شكل حلاقات متساوية بين طلاب العلم[1].

كان للغزو المغولي أثر كبير في الثقافة العربية في العصر المملوكي و هذا الأثر قسمان:سلبي وا يجابي ففي المجال السلبي، أن المغول قد أتلفوا الكثير من كتب العلوم والأدب ونهبوها و هدموا العديد من المراكز العلمية وقتلوا مئات العلماء و الأدباء[2].

إعتدى المغول على المكتبات المسلمين وكتهم وجعلوا من الكتب الثمينة طمعا لنيران لولا صمود المماليك في وجوههم وصدوهم حتى كفوا عن ذلك، فبعد حرق المغول المدارس في حلب و العراق قامت مصر بتنشيط الحركة العلمية، ولعبت المساجد دورا مهما في تنشيط الحركة العلمية ونشر العلوم في العصر المملوكي و هذا ما يؤكده مؤرخو العصر فيقول المقريزي ادا تحدث عن جامع الأزهر آنذاك[3].

لم يزل في هذا الجامع منذ بنى عدة من الفقراء يلازمون الإقامة فيه بلغت عدتهم في هذه الأيام سبعمائة وخمسين رجلا ما بين عجم وزيالعة ومن أهل ريق مصر ومغاربة، ولكل طائفة رواق يعرف بهم فلا يزال الجامع عامرا بتلاوة القرآن ودراسته وتلقينه والاشتغال بأنواع العلوم والفقه والنحو ومجالس الوعظ وحلق الذكر، فيجد الإنسان إذا دخل هذا الجامع من الأنسى بالله والإرتياح وترويج النفس ما لا يجده في غيره[4].

كان للغزو المغولي أثر إيجابية في الثقافة العربية الإسلامية ويتمثل ذلك في كتب التاريخ الخاصة التي سردت أحداث هذا الغزو، و تناولت بعض جوانبه و أثرت المكتبة

---

[1]- محمد زغلول سلام، المرجع السابق ، ج1، ص 113.

[2]- خليل قاسم غريري،**الغزو المغولي و أثره في الشعر**، مجلة جامعة دمشق، المجلد 20، العدد الأول، 2004، ص 14.

[3]- المقريزي، **الخطط**، المصدر السابق، ج3، ص 541.

[4]- نفسه، ج3، ص 541.

المصرية بما قدمته من المعلومات خاصة على معركة عين جالوث، ومنها كتاب تفتت الأكباد للدهلي و غيرها[1].

ويتجلى الأثر الإيجابي في النصوص الأدبية الكثيرة التي واكبت الغزو المغولي وصورت أحداثه والعلاقات السياسية والاجتماعية بين المغول والمماليك السلطانية، أحق إلى ذلك أن الغزو المغولي أثرى اللغة العربية بألفاظ كثيرة متبوثة في كتب التاريخ والأدب والتراجم وهي ذات أصول مغولية، و الجامع بينهما أن المغول كانوا ينطقون بها[2].

ودخلت على اللغة العربية جراء غزوهم العديد من المصطلحات بحيث إستطعت أن تجمع العديد من الكلمات داخل مؤلفات المصرين وتوحيد ما طرأ على بعضها من تطور، فمن بين هذه الكلمات نجد كلمة أزدو و التي تعني المخيم أو المعسكر، وقد وردت في الشعر و النثر أيضا فيقول في الشعر علاء الدين الوداعي الكندي في هزيمة المغول"و أما الأولاد الصغار فكوا في إزد وجنكيز خان وا ٍزدو و جيش المسلمين"[3]

أيضا نجد كلمة ألترا بمعنى في المغولية المذهب ويقول إبن تغرى بالرد كما تحدث تيمور لئك وكان يعتمد على قواعد جنكيز خان في جيع أموره و أخذ من ألتزاما يخدمه[4].

أما في مجال التأثيرات اللغوية فمن المعروف عن المغول أن إحتكاكهم مع دولة أخرى يتطلب اللغة، و هذا أمر معروف عند عامة اللغويين لبد بتوفير لغتين أو أكثر و حتى اللهجات يؤدي لا محال إلى تأثير كل واحد بالآخر، وكلما زادت الإحتكاكات اللغوية بالطبع تزيد حركة التبادل اللغوي و غيرها من المبادلات،و يدخل ذلك حتى في التجارة[5].

و نجد الإحتكاك اللغوي خاصة عندما يلتقي شعبان من جنسيات مختلفة في بلاد واحدة و يستقروا مع بعض الكل يؤثر في الآخر، أو عندما يشترك شعبان مختلفان في حرب واحدة

[1]- صلاح الدين محمد نور، المرجع السابق، ص 210.

[2]- نفسه، ص 212.

[3]- المقريزي، **السلوك**، المصدر السابق، ج2، ص 700.

[4]- إبن ثغرى بردى، **المنهل الصافي**، المصدر السابق، ج6، ص 14.

[5]- صلاح الدين محمد نور، المرجع السابق، ص 133.

أو صراعات طويلة الأمد هنا تتيح فرصة الإحتكاك اللغوي، إشترك المماليك والمغول ضد الصليبيين وتحالف المغول القبجاق ضد أبناء عمومتهم مغول فارس تحالفوا مع سلاطين المماليك فبدأت التأثيرات اللغوية بين هؤلاء إضافة إلى الأسر ودخولهم الإسلام والتجار و المهاجرين[1].

إلا أن الجانب اللغوي و العلمي بصفة عامة من حيث التأثيرات المغولية نادرة أو أقول المعلومات بها شحيحة جدا رغم كثرة المصادر لكنها لم تتكلم عن هذا الجانب لكنني لم أغفل عنها نظرا لأهميتها، وقد تأثت اللغة العربية لدى سكان مصر وبلاد الشام و العصر المملوكي باللسان المغولي التي أستعملت كلغة التخاطب بين سلاطين المماليك وأمرائهم من الأصل المغولي و الذين ظلوا محتفظين بلغتهم الأصلية رغم تعلمهم العربية[2].

وكان هؤلاء الأمراء و القادة من المماليك ذوي الأصل المغولي الذين وفدوا إلى مصر كانوا يخلطون اللسان العربي باللسان المغولي كما أوضحت بذلك بعض المصادر المملوكية، التي إحتوت على العديد من الألفاظ المغولية التي إستعملت في مصر منذ عصر دولة سلاطين المماليك حتى نهاية الدولة أي من البحرية حتى الجراكسة[3].

ويعتبر انتصار المماليك على المغول في معركة عين جالوت عام (658هـ/1260م) أدى إلى وقوع الكثير من المغول أسر في قبضةالمماليك في مصر و الشام ،فكثرت الطوائف المغولية إضافة إلى الهجرات التي تتبعت المغول من كل مكان ولها أسباب عديدة تكلمت عليها من قبل ،هذا ما جعل هؤلاء المغول ينشرون عاداتهم ولهجتهم داخل المجتمع المملوكي[4].

---

[1] - المقريزي،الخطط ،المصدر السابق، ج2، ص 81.

[2] - فؤاد الصياد، المرجع السابق، ص 247.

[3] - السيد الباز العريني، **المماليك**، المرجع السابق، ص 61.

[4] - المقريزي، الخطط، المصدر السابق، ج2، ص 23.

حيث يقول القلقشندي أن مصر أصبحت بهم أهلة المعالم و مركز الريادة العلمية والفكرية وتعدد اللهجات بها و اللغات[1].

وكانوا هؤلاء متمسكين بلغتهم و ثقافتهم كما أنهم وجدوا صعوبة كبيرة في تعلم العربية رغم اعتناقهم الإسلام إضافة إلى ذلك أن السلطان الأول بيبرس لما طبق عليهم سياسة العزلة وأبعدهم عن الأهالي، جعلهم هذا الأمر يبتعدون عن اللغة العربية أيضا الذي كان يسير على نظام الباشا وطريقة حكم جنكيز خان[2].

وبمجيئ المغول حملوا معهم الياسا رغم أن السكان المصريين يعرفون أن معظم هذه القوانين مخالفة للشريعة الإسلامية وأنها سياسة ظالمة، إلا أن هؤ لاء المغول ظلوا محافظين عليها و على تطبيقها كما أن سلاطين المماليك الأوائل من أصول مغولية ،لذا هم كانوا من مشجعي تطبيق هذا النظام[3].

ولما وفدوا هؤلاء المغول إلى مصر محملين قوانين لياسا من الضروري تعلم اللسان المغولي لمعرفة متطلبات هؤلاء الوافدين وترجمة نصوص الياسا للأخذ منها، ما تعلق بالنظم العسكرية والرتب و الوظائف الجديدة أو بعض التنظيمات السياسية للدولة المملوكية[4].

ومنذ ذلك الوقت بدأت تظهر مرحلة الدعوة لتعلم اللغة المغولية أيضا دور السفران التي كان يرسلها السلاطين للخانات لابد أن يرسلها بلغتهم المغولية، لذا كان في قصر السلطان الكثير من المترجمين المبعوثين خاصة وقد كانت مراسلات بين الظاهر بيبرس الأول ومن جاء وراءه من سلاطين المماليك الأوردو الذهبية المسلمة[5].

---

[1] - القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص 458.

[2] -أبو المحاسن، **النجوم الزاهرة**، المصدر السابق، ج7، ص 182.

[3] - صلاح الدين محمد نور، المرجع السابق، ص 135.

[4] - عباس إقبال، **تاريخ المغول**، المرجع السابق، ص 114.

[5] - صلاح الدين محمد نور، المرجع السابق، ص 137.

لهذا الأمر تطلب مترجمين يتقنان اللغتين مثل الرسائل التي كان يرسلها بركة خان كانت معظمها باللسان المغولي، أيضا رسائل العربية و المغولية لترجمة هذه الرسائل والمراسلات وكتب السفارات و غيرها[1].

إن إنتشار موجة تعلم اللغة المغولية خاصة بعد وفود هذه الأعداد الكبيرة من الأويرات عهد كتبغا جعلهم بل شجعهم بالاختلاط بالأهالي المصرين، و نقل العديد منهم إلى سواحل الشام و أسكنهم في منطقة الحسنية في مصر مما زاد احتكاكهم بطبقات المجتمع المملوكي سواء أمراء أم الطبقة العامة، وبالتالي أصبحت الحاجة المحلة لتعلم هذه اللغة ثم برع فيها الكثير من الناس خاصة الأمراء[2].

مثلما ظهر عهد الأشرف خليل إبن قلاوون و عهد الناصر محمد من بعده و من أشهر الأمراء الذين أتقنوا هذه اللغة المغولية في ذلك العصر الأمير سيف الدين الحاج أرقطاي أحد مماليك الأشراف خليل و معه الأمير أيتمش نائب الكرك، أتقنوا اللغة المغولية القبجاقية ويرجع إلى هؤلاء الفضل الكبير في ترجمة العديد من رسائل خانات مغول القبجاق إلى سلاطين المماليك من اللغة المغولية أو التركية إلى العربية، كما أنهم كانا يقومان بكتابة الرسائل السلاطين للخانات الأخرى[3].

وإن هذه الأمور جعلت أو زات من إنتشار العديد من الألفاظ و الكلمات المغولية في مصر مع نوع من التحريف مثل إلياس أو الياسة البعض من الأهالي المصرين حرفوها وجعلوها سياسة، إضافة إلى الألفاظ الخاصة بالوظائف العسكرية والرتب و الكثير من الأسماء أيضا دخل عليها نوع من التحريف[4].

---

[1] - إبن الظاهر، **الروض الزاهر**، المصدر السابق، ص 139.

[2] - المقريزي، **الخطط**، المصدر السابق، ج2، ص 40.

[3] - نفسه، ج2، ص 40.

[4] - أبو المحاسن، **النجوم الزاهرة**، المصدر السابق، ج7، ص 185.

أيضا تحريف السلطان المملوكي كلمة يسوول بتفخيم السين التي أخذها بيبرس و أطلقها علة من يتولى وظيفة رأس نوبة كانت وظيفة عظيمة عند المغول[1].

أيضا بالنسبة للكلمات ذات أصل مغولي إستعملت في الجانب العسكري مثل أطواق أو وطاق ويقصد بها الخيمة خيام الجند وقشلاق أماكن التي سكنها الجند في فصل الشتاء.[2] طمغات بمعنى خاتم و توجد هذه دائما في الرسائل و المراسلات لا يمكن الإستغناء عنها فلولا وجودها تعتبر الرسالة مزورة[3].أيضا كلمة أق طشي و هي مغولية الأصل تطلق على الأمير أخور[4].

زوجة السلطان خاتون أيضا كانت من أكبر التأثيرات المغولية على سلاطين المماليك أنفسهم، أن زوجاتهم المغوليات متمسكا بعادائهم ولغتهم لذا كانت اللغة المغولية داخل القصور السلطانية وحتى الخوندة زوجة السلطان تتكلم مع أبنائها باللغة المغولية، لذا نجد أن أبناء السلاطين منذ صغرهم يتقنون اللغتين مع بعض[5].

فبالنسبة للختم المغولي الذي وضع في الكتب والرسائل وأتخذه المماليك منهم خاتم مربعا الشكل يحمل كتابة صينية يستخدمها المغول في المكاتبات، كما أن رسائلهم كانت صغيرة في العرض وطويلة وتتكون من الورق الذي عرفه المغوليين عند إستلائهم على الصين[6].

إضافة إلى اللغة ظهور الوشم على أوانيهم ودوابهم وكان هذا الوشم يحمل ألفاظ مغولية بحثا لكي يعرف بعضهم بعض مما يؤكد انتشار هذه اللغة في مصر أي داخل المجتمع المصري المملوكي،وتأثر الناس بها و أقبلوا على تعلمها مثل أبو المحاسن وبدر

[1] - أبو المحاسن، **النجوم الزاهرة**، المصدر السابق، ج7، ص 185.

[2] - فؤاد الصياد، المغول، المرجع السابق، ص 247.

[3] - أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، المصدر السابق، ج7، ص 185.

[4] - نفسه، ج7**.** ص 186.

[5] - صلاح الدين محمد نور، المرجع السابق، ص 139.

[6] - نفسه، ص 140.

الدين العيني هؤلاء المؤرخين عاصرو هذه الفترة وكتبو ا لنا العديد من الألفاظ التي تعلموها هم بأنفسهم[1].

[1]- صلاح الدين محمد نور، المرجع نفسه، ص 141.

ثانيا: التأثيرات المغولية على الجانب الاجتماعي لدولة سلاطين المماليك.

لا شك أن العمران البشري مرتبط ارتباطا وثيقا بقيام ونشوء الدولة فالبشر هم الأساس في بناء الحضارة، وبانتقال المغول إلى مصر يعتبر حد ذاته تطور جديد في الجانب السكاني لأنهم أصبحوا صانعوا الأمجاد خاصة بإزدياد القوة البشرية مما يزيد عطائها.[1]

أيضا ما فعله المغول بدمشق وحلب من دمار وخراب جعل أهل الشام يهربون إلى ديار مصر، مما زادت الكثافة السكانية وتنوع الأجناس واختلطت فيما بينها، مكونة جيل جديدا فهذا يعتبر أهم تأثير اجتماعي مغولي.[2]

كما سعى السلطان المملوكي بيبرس لتقرب إلى خان القبيلة الذهبية الذي يدعى بركة فان وهو أحد أولاد جنكيز خان، والتي تمد بلاده من تركستان شرقا إلى شمال البحر الأسود غربا تعرف ببلاد القبجاق والقبشاق عاصمتها سرآي Sarai في شمال غرب بحر القزوين ،حيث تحالف معه وتبادل معه البعوث والهدايا (1261م-1263م).[3]

كما تزوج ابنته وأمر بالدعاء له على منابر القاهرة، وكان تحالفهم المشترك على عدوهم في دولة إيلخانات فارس التي حكمها هولاكو وأولاده شملت العراق وفارس.[4]

ومن التأثيرات على الجانب الاجتماعي أيضا أخذ الكثير من الأمراء المماليك أولاد وأولئك التتارين (المغوليين) للخدمة في البيوت، وكثرة الرغبة فيهم لجمالهم وتزوج الأهالي بهم وببناتهم، واندمج بعضهم في الجيش المملوكي ودخلوا الإسلام واختلطوا بأهل البلاد وهم معرفون بالأويرانية كانوا أتباع هولاكو.[5]

---

[1]- كرد علي، **خطط الشام** ، د م ن، ط2، بيروت، 1969، ج2، ص 106.

[2]- محمد بني عيسى، **الغزو المغولي لدمشق وأثاره السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية**، إش: المد جوارنه، جامعة اليرموك، كلية الأدب، قسم التاريخ، 1997، ص 155.

[3]- نفسه، ص 155.

[4]- محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 126.

[5]- السيد الباز العريني، المماليك، المرج السابق، ص 61.

استمر الترابط بين المماليك ومغول القبجاق وتوطدت العلاقات بينهما مما أدى بهم إلى التزاوج وتوسيع النسل، وظهر ذلك عهد غياث الدين محمد أزيك (1312م-1341\711هـ-741هـ) أرسل الناصر محمد بن قلاوون في عام (711هـ\1312م) يطلب منه الزواج من إحدى أميرات القبجاق والقفجاق.[1]

ونظرا لإعجاب المماليك بحسنوات المغول كانوا يأتين بهن إلى الإسكندرية من أجل اختيار العروس لقادت المماليك، ومن هذا الزواج تأتي العروس بأحسن مالديها من ملابس وزينا تجلب بها الانتباه لأهالي مصر، وهنا بدأ تبادل العادات والتقاليد ودخل ذلك حتى في اللباس.[2]

ففي الزواج أيضا عرف المغول تعدد الزوجات وحتى زوجات الأب والإبن لكن بعد إسلامهم تغير ذلك فأصبحوا لا يتخذون أكثر من أربعة.[3]

بعد إسلامهم أي المغولين بدؤوا بدفع الظلم عن المساكين وكف الأدى والقضاء على اللصوص كما حاربوا الربا، أما سبب كثرة زواجهم بأهالي مصر وأمراء وسلاطين المماليك هو عدم المغالات في دفع مهور الزواج،ايضاوا إقامة الحمامات والمساجد في جميع القرى التي تضمها البلاد ومنع الناس من إحتساء الخطر ومنع إجبار الجواري على الإقامة في دور البغاء.[4]

كان للمغول عادات وتقاليد اجتماعية سار عليها تعتبر جزء من مقومات المشروع المغولي، فمن المعروف أنهم يريدون تطبيقها داخل المجتمعات الإسلامية التي يستولونا عليها فهدفهم من ذلك يريدون السيطرة على العالم الإسلامي كله وضمهم إليهم.[5]

---

[1] - محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 126.

[2] - نفسه، ص 126.

[3] - محمد بني عيسى، المرجع السابق، ص 155.

[4] - محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 421.

[5] - إيناس حسن محمد، المرجع السابق، ص 116.

كذلك انتقلت بعض العادات المغولية الخاصة بالأطعمة والاشربة إلى دولة المماليك وقد انتشر بين المماليك عادة أكل لحم الخيل الذين تعودوا على أكلها في لادهم الاصلى، وقد كان المماليك يشربون الخمر سرا وجهرا ومن أشهر أنواع الخمور القمز أو القراقمز.[1] والقميز في الأصل عبارة عن ألبان الأفراس أي اللبن الحامض يضعونها في قراب ويقومون بخضها جيدا ثم تترك فترة من الوقت حتى تخمر وتصبح صالحة للشرب، وتكون لها نفس خاصية الخمر، وهذا النوع من الخمر كان معروفا لدى المماليك داخل مواطنهم الأصلية أي ببلاد التتار الأولى.[2]

وكان هذا القميز من شعار المملكة عهد السلطان برقوق، فكانت تجتمع الأمراء في الميدان الذي تحت القلعة في كل يوم أحد ويوم الأربعاء ويشربوا مع السلطان هذا القمز.[3]

وقد ذكر ابن اياس في كتابه بدائع الزهور أن العادات التي كان يقومون بها المماليك قد أبطلت مع الكثير من العادات السيئة التي كان يقومون بها، والتي كانت من شعائر المملكة وأن آخر من كان يصنع ذلك من هذه الشعائر كان عهد الملك أو السلطان الظاهر برقوق فقط أما الذين جاؤوا من بعده فقد نبذوا هذه العادات.[4]

رغم اعتناق المغول الإسلام كالخان بركة وشاؤوه ورجال حاشيته ومسلمين فارس وبغداد ومسلمين الأسرى لدولة المملوكية بعد عين جالوت عند ما استقروا وضعوا لكل أمير مؤذن وا إمام، وحتى زوجاته وكانت مدارس تحفيظ القرآن كثيرة وعلى الرغم من هذا فإن هؤلاء المغول المسلمين منهم كانوا لا يزالون متمسكين بكثير من عادات التتار وتقاليدهم المتبعة

---

[1] - عبد العزيز محمود عبد الدايم، المرجع السابق، ص 149.

[2] - الهمداني رشيد الدين، المصدر السابق،ج2، ص 60.

[3] - عبد العزيز محمود عبد الدايم، المرجع السابق، ص 150.

[4] - نفسه، ص 150.

في مغوليا، فمن ذلك عادة تتعارض مع تقاليد الإسلام.[1] كعدم استعمال مياه النهر لا للغسل ولا للاغتسال كنهر النيل لما سكنوا مصر.[2]

وقد نبه على السفراء الذين كان يرسلهم السلطان الظاهر بيبرس إلى بلاط بركة لتوثيق الروابط بين الطرفين بألا يغسلوا ملابسهم في الأوردو، ولكنهم كانوا يغسلونها خفية إذا ما اشتدت حاجتهم إلى ذلك.[3]

وأما المغول الذين قدموا إلى مصر وعاشوا فيها فكانوا متأثرين بالمدينة الإسلامية قبل أي اعتبار آخر ،ومع هذا كانوا لا يزالون في بعض شؤونهم يتبعون عاداتهم والتي اكتسبوها من نصوص الياس المتعلقة بالشؤون الاجتماعية.[4]

كما دخلت بعض الكلمات داخل المجتمع المملوكي مأخوذ من المغول مثل كلمة يورث والتي يقصدون بها مكان إقامتهم، أو أوردو ولهم عادة أنهم كانوا يختارون أماكن معينة يقضون فيها الصيف يقال لها بيلاق،وأخر ى يمضون فيها الشتاء تسمى قيشلاق، واستمروا يسيرونعلى هذا التقليد حتى بعد أن فتحوا البلدان الإسلامية المتمدنة واضطر وا إلى سكن العواصم وكانت الخيم تمثل صفة المدينة بالنسبة لهم.[5]

أما عن الزواج فقد كان للخان أن يتزوج بمن يشاء من النساء وهذا ما ظهر أيضا عند المماليك عندما حكموا مصر، وكان يأخذا مبدأ تعدد الزوجات والعادة المتبعة أنه إذا تغلب على ملك أو أمير أو عقد معه إتحادا أو تحالفا ولم يفي بوعده فإنه يتزوج من أخته أو ابنته وأما إذا تغلب عليه وقتله فكان يتزوج من أمرآته.[6] وهذه العادة نقلت إلى مصر وطبقتها السلاطين هناك وكان جنكيز خان يسير على تلك الطريقة وحتى خلفائه من بعده، ويقال أن

[1] - إيناس حسني محمد، المرجع السابق، ص 93.

[2] - عبد المعطي الصياد، المرجع السابق، ص 351.

[3] - إيناس حسن محمد، المرجع السابق، ص 93.

[4] - حافظ أحمد حمدي، **الشرق الاسلامى**، المرجع السابق، ص 129.

[5] - إيناس حسني محمد، المرجع السابق، ص 116.

[6] - شوكت رمضان حجة، المرجع السابق، ص 471.

عدد زوجات جنكيز خان كان يزيد عن 500 زوجة لكن بدخول المغول الإسلام حدوا من هذه العادات ولم يتعدوا إلى أكثر من أربعة نساء.[1]

بعد موت الخان كانت تئول جميع نسائه إلى أكبر أبنائه وله الحق في أن يتحكم فيهم وأن يتزوج بمن يشاء منهن بإستثناء والدته، كما أنه أن يمنحهن لأصدقائه أو يطلق سراحهن، وأما مجموع الأبناء والأقارب والأشخاص الذين هم من عشيرة الخان أو الأمير فقد كان يطلق عليهم كلمة أروع بمعنى عشيرة أو سلالة، أما رعايا الخان الذين يخضعون سيطرته فقد كان يطلق عليهم نقطة أو لوس.[2]

المجتمع المغولي في البداية كان يقوم على الطبقية فقد كانت القبلية مقسمة إلى ثلاث طبقات طبقة النبلاء وكانوا يلقبون بالألقاب بهادر أي الباسل، وتوبان أي النبيل وستسن أي الحكيم، والطبقة الثالثة هي طبقة الأرقاء وكان لكل جماعة أو عشيرة من المغول رئيسا قد يكون ملكا خان أو زعيما ياكي أويكي وبهذا اللقب اشتهر رؤساء قبائل الغابة أمثال أويرات ومرعيت، لقد أثرت البيئة التي عاشت فيها تلك القبائل تأثير كبير على حياتهم الاجتماعية والاقتصادية ونقلوها إلى مصر محملين كل ما هو سلبي وا إيجابي.[3]

أما الطبقة الثانية فكانت طبقة النوكور أي الأحرار، وعلى هؤلاء كان يرتكز النظام العسكري والسياسي في منغوليا وكانوا يؤلفون طبقة المحاربين والموالين له.[4]

فقد عاش المغول الذين أقاموا في منطقة الغابات حول بحيرة بايكال ونهر عامور عيشة بربرية على الصيد في الغابات والسمك في الأنهار والبحيرات ،أما الذين عاشوا في الإستبس فقد عاشوا على تربية الخيل والماشية والأغنام، عاشوا على تحركات فصول السنة كانت تحركاتهم نحو المراعي في المناطق المجاورة حتى وصلوا البلدان الإسلامية ظلوا يبحثون عن المراعي مما كانوا سببا في المنازعات والغارات والسلب والنهب، وقد قام سلاطين

[1] - عبد المعطي الصياد، المرجع السابق، ص 352.

[2] - حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، المرجع السابق، ص 219.

[3] - إيناس حسني محمد، المرجع السابق، ص 31.

[4] - نفسه، ص 31.

المماليك بمحاربتهم نتيجة سلبهم لبعض الأراضي والممتلكات في دمشق التي كانت تابعة للمماليك حينما كانوا ينتقلون بخيولهم.[1]

وما يتصفون به من قوة الاحتمال والمعاناة الجهد والتعب وشجاعة وحب المخاطر واتساع الأفق وحب التسلط، كانوا جيش جاهز في كل لحظة وهذه القوة والشجاعة كانت في ثابتى في المماليك ذاتهم لكونهم ذوي أصول مغولية فهي راسخة بصدورهم.[2]

وبعد إسلام الكثير منهم قام السلطان المملوكي بجلب مجموعة من هؤلاء ونظم لهم نوعا من الحياة الاجتماعية ،ذلك لإستفادة من تجاربهم التي عاشها والشدائد التي عاناها.[3]

أما بالنسبة لغذائهم كانوا يتخذون من لحوم الحيوانات على اختلافها من خيول وكلاب وذئاب وكان غذائهم قليل خاصة في فصل الشتاء إذ تقسوا عليهم الطبيعة ولم يجدوا ما يصطادونه وقد اشتهروا بصيد الخنازير وكانت لحومهم المفضلة، ومع إسلامهم أبطلوا هذه العادات لكنهم ظلوا يأكلون الحشرات حتى بعد إسلامهم وكذا ابتعدوا عن أكل اللحوم الميتة.[4] كما كان لهم خاصة لحفظ اللحوم وهي تقطيع اللحم إلى شرائح رقيقة ويعلقوها في الشمس والهواء لتجف دون أن تعتريها العفونة، وهذه الطريقة اتخذها المماليك أثناء حروبهم وهجراتهم الطويلة في الغالب.[5]

كما كانت ملابسهم بسيطة جدا تتفق والبيئة التي يعيشون فيها وكانت في الغالب مصنوعة من الصواف ووبر الإبل أو من جلود الحيوانات، ولم يكن فرق كبير بين ملابس

---

[1]- جون مان، **جينكيز خان الحياة والموت والإنبعات**، تر: حسن عبد العزيز عويضة، هيئة أبو ظبي للثقافة والسياحة، أبو ظبي، 2013، ص 328.

[2]- محمد ماهر حمادة، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، المرجع السابق، ص 65.

[3]- نفسه، ص 57.

[4]- مقال د مؤلف: **التاريخ الإسلامي ودراسته الشرقية**، جامعة الملك سعود، كلية الأدب، قسم التاريخ، الرياض، ص 12.

[5]- عبد المعطي الصياد، المرجع السابق، ص 347.

الرجال وملابس النساء وكان من عادة المغول أنهم لا يغيرون ملابسهم طول فصل الشتاء.[1] وأما في الصيف فيكتفون بتغيرها مرة واحدة كل شهر، وببداية تأثيراتهم مع الدولة الإسلامية عرفوا نشاط تجاري واسع حيث عرفوا الحرير في أسواق المشرقية التي جلبت من الصين والهند ،أحبوا لباس المماليك لذا غير الخان الأعظم المغولي لاباسه وأضاف إليه الحرير ما تسمى بالعبائه المملوكية.[2]

يقسم المقريزي المجتمع في عصر المماليك سبع طبقات : القسم الأول أهل الدولة والثاني أهل اليسار من التجار وأولى النعمة من ذوي الرفاهية والثالث الباعة وهم متوسطو الحال التجار ويقال لهم اصحاب البز، ويلحق بهم أصحاب المعايش وهم السوقة والقسم السابع ذو الحاجة والمسكنة وهم السؤال الذين يتكففون الناس ويعيشون منهم.[3]

وأهل الدولة التي تكلم عليهم المقريزي والذي وضعهم في رأس الطبقات الاجتماعية السبع هم سلاطين المماليك والأمراء، وأتباعهم من جند المماليك والوزراء والكتاب وأرباب السلطة وضم إليهم كذلك القضاة، بينما جعل طلاب العلم في القسم الخامس وترفع المماليك ودرجاتهم وكانوا أجناسا كثر فيهم من الجراكسة والتتار المغوليين.[4]

وكان السلاطين من هذه الأجناس ولم يسمحوا لأحد غيرهم لتولي الحكم عنهم خاصة المصريين، وأن السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون أراد أن يستخدم المصريين ورقاهم أمراء ومقدمين.[5]

وكان لباس المماليك مختلف عن عامة الشعب هوزى الجند لكنه يزيد عليه في الزركشة والفخامة وكان للسلطان زوجات من المماليك المغوليات القبجاق ومن بنات الأمراء ونواب

---

[1] - عباس إقبال، المرجع السابق، ص 114.

[2] - علي محمد محمد الصلابي، **المغول والتتار بين الانتشار والانكسار**، مركز السلام للتجهيز الفني، مصر، 2009، ص 26.

[3] **-** المقريزي،**إغاثة الأمة**، المصدر السابق، ص 72.

[4] - نفسه، ص 72.

[5] - ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، المصدر السابق، ج7، ص 310.

السلاطين وحتى من الرقيق وبنات الملوك كما كان يرتدون ريش لنعام الحرير والديباج الموشى بالذهب. وكان السلطان يرتدي مواكبه الرسمية قباء أحمر.[1]

عندما يريد الخان يتعاطى على أحد من رعاياه ويرغب في تكريمه فإنه يسلمه بنفسه كأسا من النبيذ أو القميز فيتناوله الشخص ويقوم بتأدية التحية وكان العطف والتقدير بالمغولية يسمى سيورغاميشى.[2]

أو يعطونهم لوحات تقديرية ويطلق عليها بابزة Piza وهي في حجم كف اليد وينقش عليها اسم الله واسم الخان وهذه العطايا قدمت لسلاطين المماليك لشكرهم على استقبالهم في مصر ومنحهم أماكن خاصة يسكنون بها.[3]

لم يقتصر التأثير المغولي على دولة سلاطين المماليك في الجانب العسكري والسياسي فقط بل يشمل المجتمع المملوكي، من حيث الظواهر الاجتماعية ومن عادات وتقاليد مغولية التي حملها الوافدين على أكتافهم وأدخلوها مصر وبلاد الشام، الذين جاؤوا وجلبوا معهم فرسانهم ونسائهم وأولادهم.[4]

فغضت أرض مصر والشام بطوائف المغول وانتشرت عاداتهم وطوائقهم.[5] لما جاؤوا المغول المغول إلى مصر بنى لهم السلطان قلاوون حيا خاصا بهم في منطقة ،أسماها اللوق أو باب اللوق في البداية أراد عزلهم عن أهالي مصر وكان ذلك على شكل مستوطنة، إلا أن هذه العزلة لم تمنع المغول بنشر عاداتهم كما أن الأهالي ضموا الكثير من هذه العادات والتقاليد رغم أنهم مسلمين وفيها ما يتعارض مع الشريعة الإسلامية.[6]

---

[1]- محمد زغلول، المرجع السابق، ج1، ص 52.

[2]- فؤاد عبد المعطي الصياد، المرجع السابق، ص 358.

[3]- نفسه، ص 358.

[4]- أبو المحاسن، **النجوم الزاهرة**، المصدر السابق، ج7، ص 19.

[5]- المقريزي، **الخطط**، المصدر السابق، ج2، ص 221.

[6]- ابن عبد الظاهر، **الروض الزاهر**، المصدر السابق، ص 137.

كانت التأثيرات الأولى بإرسال الخان المغولي من القبجاق جاريات كانت ضمن الهدايا والمراسلات خاصة في عصر السلطان قلاوون أثناء السفارات بينهما ،مثل تلك السفارة التي وصلت مصر سنة (704هـ/1304م) بما كانت تحمله من جوار كثيرة والعديد من المماليك حتى وصلت مائتي جارية وأربعمائة مملوك، ولا شك من أن هذه الجاريات قد حملن الكثير من العادات والتقاليد المغولية كونها قريبة من السلطان نفسه ومن أهله أسكنت قصورهم وكذلك بيوت الأمراء.[1]

لذلك كان أول من تأثر بهذه العادات هو السلطان المملوكية نفسه ،مثل أكل لحوم الخيل في الحفلات والمناسبات التي كان يقيمها سلاطين المماليك وكان لحم الخيل هو الطعام الرئيسي المفضل لدى المغول، ولم يقتصر التأثير المغولي على الأطعمة فقط بل شمل صناعة العديد من أنواع الخمر من لبن الخيل التي كان يتناولها المماليك وسلاطينهم أثناء الحفلات والمناسبات.[2]

كما كان الشراب المفضل لدى المغول الأوزبك بالرغم من إسلامهم كانوا حارصين على شراب القميز عقب طعامهم مباشرة، ونجد ابن بطوطة قد تناوله بنفسه حيث انه قال ذلك في كتابه الرحلة وقال أنه لا خير فيه وأنه شراب مسكر وهو البيرة الغير مصفاة.[3]

ويذكر الرحالة البندقي ماركوبولو Marco pomo أثناء رحلته إلى بلاد خان المغول عام (674هـ/1275م) ويذكر سفير الملك لوسي التاسع إلى المغول الراهب وليم ريبرك William Rubrucuck ،أن هذا الشراب هو الشراب المفضل لدى السواد الأعظم من المغول وكان يطلق عليه اسم الكزمس Kuzmos.[4]

[1]- سعيد عاشور، **مصر والشام**، المرجع السابق، ص 154.

[2]- نفسه، ص 154.

[3]- نفسه، ص 137.

[4]- صلاح الدين محمد نور، المرجع السابق، ص 121.

وطريقة صنعه توضع ألبان الأفراس في تراب ثم تخض بقوة وتترك حتى يتخمر ويذكر وليم ربرك أنه شراب ممتاز منشط جدا، إلا أنه يلذغ لسان المرء أثناء شربه فله طعم الخل وعند شرابه يحدث نشوة روحية.[1]

ويبدوا أن المغول الوافدين إلى مصر نقلوا طريقة عمل هذا القميز إلى مصر، وكان سلاطين المماليك وأمراؤوهم أول من أقبل على شرب خمير اللبن ،ولم يقتصر شربه عهد بيبرس فقط بل تعدى عهد السلاطين الذين حكموا من بعده عهد منصور سيف الدين قلاوون ابنه الأشرف خليل.[2]

كما كانت بعض العادات المغولية الأويراتين غير محببة عند المجتمع المصري في عهد سلاطين المماليك الكثير منهم ظل على وثنيتهم ولم يسلموا إلا القليل فقط، ومن عاداتهم لم يصوموا شهر رمضان كما أكلوا اللحم الميتة المقتولة والمضروبة لأنهم حرموا ذبح الحيوان.[3]

لم تكن التأثيرات المغولية على سلاطين المماليك في المأكل والمشرب فقط بل تعدت إلى ذلك وامتد إلى اللباس، الزي الذي ارتداه المماليك رجالا ونساء خاصة في المناسبات والاحتفالات أيضا الدينية والاجتماعية ،حيث ارتدوا المعاطف والأقبية المغولية المصنوعة من الحرير الأصفر.[4]

فبنسبة للسراقوج وهو أحد ألبسة الرأس المأخوذة من قبيلة القفجاق الذهبية وهو عبارة عن قلنسوة لها شكل مخروطي طويل بحافة مقلوبة، وهذه القلنسوة في البداية كان يرتديها العساكر فقط ويبدوا أن هذه الأخيرة انتشرت بين عامة الناس بجانب الأمراء والسلاطين، ثم تحولت في المجتمع المصري إلى لباس رأس للسيدات.[5]

---

[1] - صلاح الدين محمد نور، المرجع السابق ، ص 122.

[2] - السيد الباز العريني، **المماليك**، ص 179.

[3] - ابن الفرات، المصدر السابق، مج8، ص 204.

[4] - ابن إياس، المصدر السابق، ج4، ص 104.

[5] - صلاح الدين محمد نور، المرجع السابق، ص 148.

تأثروا أيضا بتصفيف الشعر لدى سلاطين المماليك وأمرائهم وذلك بترك شعورهم ترسل طويلة بإرخاء ذوائب الشعر، وظلت مستمرة إلى غاية حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون في عهده الثالث، الذي أبطل هذه التصفيفة عندما قام بحلق شعور رأسه بعد عودته من الحج عام (715هـ/1315م) ويرجع أن السلاطين الذين أتوا بعده ساروا على نفس النمط المناصر.[1]

كما كان دور الجواري بارزا في نقل فن الغناء والموسيقى قد حملن معهم الطرب إلى مصر، ويتضح ذلك سنة (732هـ/1331م) أرسل إلى سعيد إيلخان مغول فارس إلى السلطان الناصر محمد مغنيين مغولتين، مما يوضح انتقال هذا الفن إلى المجتمع المصري إلا أن المصادر أغلبها وحتى المعاصرة منها لم تقم بذكر الفن والموسيقى سوى ابن بطوطة وقليلون.[2]

لما رحل ابن بطوطة إلى الأوزبك ونزل في منطقة تسمى أراق حيث أنه كان ضيف عند أمير هذه المدينة هناك شاهد وسمع العديد من الغناء والطرب القبجاقي المغولي، ومن هؤلاء فن هؤلاء المغنيات التي أرسلوهم إلى مصر لكي يتغنوا بهم السلاطين.[3]

إضافة إلى ذلك انتشار ظاهرة الزواج المجتمع المصري المملوكي بالمغول خاصة القبجاقين سواء أميرات أم جواري وحتى من عامة الناس، نظرا لجمال المغوليات وهذا الزواج زاد في حدثة التأثيرات وانتار الكثير من العادات والتقاليد.[4]

مما نتج عن هذا التزاوج ظهور فئة جديدة أو نقول جيل جديد يطلق عليه اسم (المولدين) ومن هؤلاء المولدين من ارتقى السلطنة، مثل الناصر محمد بن قلاوون وبدأ الزواج المختلط عند دخول (الأويراثية) لما استقدمهم كتبغا وأنزلهم في حارة تدعى (الحسينية) وأفتن الناس

---

[1] - المقريزي، **السلوك**، المصدر السابق، ج2، ص 148.

[2] - ابن بطوطة، المصدر السابق، ط2،ج1،ص 240.

[3] - نفسه، ص 240

[4] - صلاح الدين محمد نور، المرجع السابق، ص 126.

بنسائهم، فأخذوا طائفة من بلاد الشام حتى يتكاثر نسلهم رغم أنهن ظلوا على وثنيتهم غير مسلمات.[1]

وقيل أن أول من فتح باب الزواج بالمغوليات هم القادة العسكرين وكان أولهم (الأمير سيف الدين البركي السلحدار) عهد الظاهر بيبرس لما تزوج (ست كليلة) المدعوة (دولاى أبلة عبد الله التتارية)، وحتى سلاطين المماليك أنفسهم وأغلبهم كانت لتحقيق أهداف سياسية لتدعيم الصلات المغول والمماليك بمصر مثلما حدث سنة (716هـ/1316م) عندما أراد الناصر محمد بن قلاوون عقد معاهدة مع أزيك خان مغول القبجاق أرسل سفارة طالب منه أحد الأميرات من بين جنكيز خان.[2]

في بداية الأمر كانت الأميرات يرفض الزواج منهن اعتباره خروج عن عاداتهم وتقاليدهم وبذلك وضعوا شروط قاسية لإتمام الزواج ،وكانوا ينظرون إلى مماليك مصر والشام رغم أنهم من جنسهم على أنهم عبيد ورق وأقل منهم مرتبة ،إذن أزبك اختار له أميرة وكانت ابنة أخو أزبك خان اسمها (طلنباى).[3]

إلا أن الناصر لم تكن هذه الزوجة الوحيدة له من المغوليات بل كانت خاتون طغاى أو الخوندة الكبرى زوجته هي أيضا مغولية أخت أحد أمراء الناصر، كانت فائقة الجمال وهي أكبر امرأة مغولية ظلت متمسكة بعادات وتقاليد المغول اعتنقت الإسلام وأنجبت صبي يدعى (أنوك).[4]

ومن قبله تزوج السلطان المنصور بن قلاوون من ابنة سكياى بن قراجين فأنجبت له الناصر، لم يقتصر الزواج على السلاطين فقط بل تعدى إلى أبناءهم حيث تزوج الملك الصالح نور الدين على بن قلاوون المنصور الذي شاركه في سلطانه بأميرة مغولية ابنة

[1] - المقريزي، المصدر السابق، ص 22.

[2] - صلاح الدين محمد نور، المرجع السابق، ص 127.

[3] - محمد بن عيسى، المرجع السابق، ص 155.

[4] - المقريزي، **الخطط** ، المصدر السابق، ج2، ص 382.

الأمير سيف الدين نوكية بن بيان بن قطوغان التي كانت قبل ذلك زوجة السلطان كتبغا، كما كان يطلق على أبنائهم الجدد أسماء مغولية.[1]

[1]- المقريزي، **الخطط** ، المصدر السابق ، ج2، ص 71.

ثالثا: التأثيرات المغولية على الجانب العمراني والفني.

أثر المغول على الفن المعماري المصري في عصر المماليك فمن التأثيرات المعمارية المغولية على دولة المماليك هور نوع من القباب يعرف بالقباب السمرقندية،[1] ومن أمثلتها قبة مدفن صرغتمش وقبة التربة السلطانية، وقبة يونس الدوادر بباب الوزير وتبه هذه الأمثلة القباب السمر قندية ومن أمثلتها قبة تيمورلنك (805هـ/1405م) المعروفة بجوار أمير بسمرقند.[2]

وتمتاز القباب السمرقندية برقبتها الطويلة التي يقل قطرها البدن نفسه، ويبدأ تكوير القبية من الداخل ابتداء من عقد شباك الرقية بينما يبدأ من الخارج على مسافة كبيرة من كتب الشباك.[3]

وقد اختلف العلماء بأن هذا النوع من القباب فمنهم من ذكر أن شيوعه في بلاد المغول قبل شيوعه في مصر، ويؤكد أن هذا الطراز قد نقله المغول إلى مصر أثناء هجرتهم وتمازجهم بالمماليك هناك.[4] تعتبر دولة المماليك أعظم قوة إسلامية حيث استطاعت أن تسجل لنفسها في تاريخ الحضارة الإسلامية قمة ذهبية فترك سلاطينها أمثلة رائعة لفنون العمارة والصناعة والزخرفة ،وتميز عصرهم بالعمارة الدينية والمدنية التي أقاموها من مساجد وقيساريات.[5]

وحدائق ومدارس.[6] والتي أثرت تأثيرا كبيرا على حضارات وشعوب الدول الأخرى المعاصرة لها فلا نستطيع أن نغفل الآثار والسمات المصرية المملوكية في الأبنية والأنصاب القائمة

---

[1] -عبد العزيز محمود عبد الدايم، المرجع السابق، ص137. زكي محمد حسن، **في الفنون الإسلامية**، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2013، ص 154.

[2] - حسن عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية في القاهرة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهر ة، 1994، ص 103.

[3] - زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص 154.

[4] - عبد العزيز محمود عبد الدايم، المرجع السابق، ص 138.

[5] **- قيساريات**: أو قيصريات وهو الأصل اللغوي لاسم القيسارية نسبة إلى القيصر والتي تعني هنا سوق القيصر أو الإمبراطور وعي بنايات اتخذها المماليك عن الغرب: صلاح الدين محمد نور، المرجع السابق، ص 7.

[6] - صلاح الدين، محمد نور، المرجع نفسه،ص7.

والرسوم على الجدران والفسيفساء وشواهد القبور في دولة الأوردو الذهبية.[1] أي دولة مغول القبجاق المسلمة في روسيا والتي تظهر المؤثرات المملوكية كلما تقادم عليها الزمن. كما شيد المهندسون المعماريون المصريون الأبنية والضروح في بلاد القرم وفي مدينة سراى (أوساراي).[2] بركة عاصمة دولة الأوردو الذهبية.[3]

تعتبر العاصمة سراى نموذج للعمران الإسلامي الذي قام به المغول التي بناها الخان باطو، وصارت عهد الخان بركة من أعظم البلدان وأحسن المدن وأترها، ويذكران مدينة سراى كانت مدينة إسلامية البنيان بديعة الأركان.[4]

فزدهر العمران المغولي عند مزيجه بالجانب الإسلامي بالنفورات وسط المساجد وأفاض البهاء بالزخارف المغولية واتساع الشوارع، وأن المنازل متصلة الدور لا خراب فيها ولا بساتين ومدينة سراى وحدها تحتوي على ثلاثة عشرة مسجدا.[5]

في البداية كان المغول يتخذون لهم خيمة كبيرة لدرجة أنها تسع خمسمائة رجل وتكون مكسوة باللباد الأبيض وبتأثرهم بالمسلمين تطورت خيمهم وانتقلت إلى بنايات إسلامية، لكن يغلب عليها الطابع المغولي من زخارف وفنون وبهاء.[6]

أثر المغول في الجانب العمراني على المماليك عندما هاجم العراق وأسقطها وهاجم الشام اضطر الفنانون والبناءون للهروب ودخلوا مصر، مستأمنييت فيها ورحب بهم سلاطين المماليك بهم أدى ذلك إلى تنوع أبنيتهم وأصبحت أصول مختلفة.[7]

---

[1] - **الأوردو**: لقط مغولي معناه المعسكر أو الجيش والمراد به معسكر السلطان: صلاح الدين محمد نور، نفسه.

[2] - **سراى:** أومراى أوساري وهي مدينة عظيمة في مستو من الأرض على شط نهر الأتل نهر أتيل تقع على شط متشعب من نهر الغولي والذي أجمع عليه الجغرافيون أنه لم يكن الأنهار الجارية والمياه لعذبة أكبر منه: صلاح الدين محمد نور ابن بطوطة، المصدر السابق، ط2،ج1، ص 256.

[3] - محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 411.

[4] - ابن بطوطة، المصدر السابق، ط2،ج1،ص 256.

[5] - نفسه، ص 256.

[6] - محمود سعيد عمران، المرجع السابق، ص 406

[7] - أحمد عودات، المرجع السابق، ص 163.

شهد العصر المملوكي إنتاجا باهرا في فن العمارة وهندسة البناء بأسلوب لم يعرفه تاريخ مصر منذ أيام الفراعنة،حيث بلغ فن العمارة أبهى مظاهره من مساجد ومدارس وأخرجه وحتى الحمامات والبيمارستانات، لأن المماليك لهم فن الإبداع والاتقان.[1] وخير مثال على روعة فن العمارة جامع السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون الذي يحتوي على أبواب فخمة وفوقه قبة عظيمة، وبداخله العديد من الزخارف وهذه الزخارف كانت دليل واضح على تقدم فن العمارة في العصر المملوكي.[2]

لحقبة البرجية أيضا برزت الأبنية الفخمة مثل مدفن برقوق ومدفن قنايتباى بالصحراء الشرقية بالقاهرة إضافة إلى مجمع قلاوون الذي يضم قبة ومدرسة وبيمارستان وقصر قوصون وراء مدرسة السلطان الناصر حسن، وتتميز العمارة في العصر المملوكي بالاهتمام بوجهات المساجد وجمال ماذنها وزخرفة أرضيتها وبالسقوف المذهبة.[3]

وقد تأثر فن العمارة في العصر المملوكي بالأصول النورية والأيوبية كما تأثروا بالفن السوري والعراقي أثناء غزو المغولي لهم، وبدخول المغول لمصر تأثروا بفنونهم أيضا وأدخلوا ذلك في بنابتهم فأصبحت مصر مأوى للفنانين والصناع المسلمين.[4]

واستبدلت بدلا من الأجر الحجارة لبناء المأذن ،وظهرت القباب بخفتها وطرافتها وزخرفتها حيث ظهرت في هذا أما المنابر فبرزت تحفتها بدقة الصناعة الخشبية.[5]

وكانت أبواب المساجد الرئسية تغطى بالمعدن وتضع قناديل المساجد أما الشبابيك فكانت تصنع من الزجاج الملون وترسم عليه أزهار ومثال ذلك جامع قايتباى، ثم أدخلت عليها

---

[1] -عبد الفتاح عاشور، **مصر والشام**، المرجع السابق، ص 294.

[2] - نفسه، ص 295.

[3] - أحمد عودات، المرجع السابق، ص 163.

[4] - عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص 295

[5] - زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص 73.

أشكال بنائية مغولية وهندسية، حيث أصبحت تستخدم العاج في الترصيص خاصة حشوات المقابر وفي قطع الأثاث.[1]

إضافة إلى ذلك بلغت صناعة المعادن درجة كبيرة من الإتقان فجمعت بين الزخارف النباتية التقليدية وزخارف جديدة التي أدخلها الخارجيون كالمغول في ذلك العصر، مثل رسم أزواج من الطيور مرتبة داخل معينات إلى جانب الكتابة على الأواني الزجاجية والفخارية.[2]

أما بالنسبة للأواني كانت تطلى بالون الشفاف أما الفخار المطلي كان يستعمل في بيوت الأمراء، أما بالنسبة لصناعة المنسوجات فكان تطريزها يمتاز بخطوطه المتعرجة والأشكال المسننة والتفريعات المزهرة ذات الألوان المتباينة.[3]

برز في الجانب المعماري ما يعرف بالأبلق وهذا نوع من الروخام يصف طابق فوق طابق ويكون طابق أسود يعلوه طابق باللون الأبيض حتى تكتمل البناية وهذا كان يستخدم في بناء الخانات، ومن الخانات التي برزت في دمشق ثم انتقلت إلى مصر والتي اتخذها المغول عند دخولهم الإسلام والتي كانت بمثابة فندق أو نزل لسفراء والتجار.[4]

يتكون من طابقين علوي وسفلي وفي وسط الخانات من الداخل توجد به ساحة كبيرة تتوسطها نفورة مياه، هذه الخانات كانت مركز لتجار تطورت وأصبح لكل نوع من التجار خانات خاصة بها كخانات خاصة بالحرير وخانات الشعير وغيرها يتوفد عليها التجار من كل مكان، كما لها وظائف متعددة كما أنها تحتوي على ثمانية قباب تعلوها وباب كبير حديدي ونوافذ مستطيلة واسعة أما موقعها يكون دائما داخل الأسواق.[5]

ومنهم من ذكر مصر وخصوبتها ورغد العيش فيها وبعدها عن أخطار المغول جعل منها خير ملجأ يتوفر فيها الأمن والعيش، فهاجر إليها الكثير من مسلمي الفرس وعرب العراق

---

[1] - زكي محمد حسن، المرجع السابق، ص 601.

[2] - ديماند م س، **الفنون الإسلامية**، تر: أحمد محمد عيسى، دار المعارف، مصر، 1982، ص 157.

[3] - نفسه، ص 258.

[4] - صالح لمعى مصطفى، **التراث المعماري الإسلامي في مصر**، دار النهضة العربية، بيروت، 1984، ص 35.

[5] - نفسه، ص 155.

والشام. في (ق7هـ/13م) مما جعل تأثيرات معمارية وزخرفية تظهر في مصر في ذلك القرن والذي يليه.[1]

فبرزت الخوذة المفصصة التي تشبه العمامة تكسوها زخرفة خضراء بأعلى مئذنتي جامع الناصر بت قلاوون بالقلعة (735هـ/1335م)، واستخدام الزخارف المعروفة بالدالات في إحدى هاتين المئذنتين يدل على توافد تأثيرات مغولية على مصر، وهو الكل الذي نراه في بعض القباب التي شيدت في ذلك العهد مثل قبتى التربة السلطانية وأن مهندس خانقاه بيبرس الجاشنكير كان مغوليا.[2]

كما كان معمار تبريزي ببناء منارتي مسجد قوصون على مثال منارة جوهر علي شاه في تبرير وزير الملك المغولي الفارسي أبو سعيد، وكان هذا النوع من القباب هو الشكل المفضل في تركستان وفارس وما بين النهرين ثم انتقل إلى مصر.[3]

وقد تبادلت التأثيرات المعمارية والفنية بين البلاطين المغولي والمملوكي، دليل ذلك أن السلطان المنصور قلاوون جهز هدية نسبة إلى بركة ومبلغ ألفا دينار برسم عمارة جامع قرم وأن تكتب عليه ألقاب السلطان وجهز حجار لنق ذلك وكتابتها بالأصباغ.[4]

فقد انتقلت التاثيرات المملوكية إلى العمارة المغولية وانتقلت الكثير من العناصر المعمارية والزخرفية الأسيوية إلى القاهرة المملوكية، لم يكن للمغول طرازا معماريا أو فنيا مميزا بل تأثروا تماما بالحضارة الصينية والفن الصيني بعد أن استولوا على الصين.[5]

وحتى أن دخل المغول القبيلة الذهبية الإسلام عهد بركة خان وكذا مغول الأسرة الإيلخانية التي استولت على فارس، وأقاموا بها دولة مغول فارس الإسلامية منذ عهد أحمد

[1] - فريد شافعي، **العمارة العربية في مصر الإسلامية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1994، ص 280.

[2] - عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 35.

[3] - عبد العزيز محمود عبد الدايم، المرجع السابق، ص 139.

[4] - المقريزي، **السلوك**، المصدر السابق،ج1، ص 738.

[5] - صلاح الدين محمد نور، المرجع السابق، ص 141.

تكودار الذي اعتلى عر إيلخانات المغول بعد أبغا واعتنق الإسلام (681هـ/1282م) تهذب افرا إها واتبعوا الحضارة الإسلامية ، لكنهم لم يكن لها طراز معماري مميز.[1]

فالأسرة الإيلخانية التي قامت في إيران منذ (735هـ/1336م) تهدب إفرادها بالحضارة الإيرانية وا إمتاز عصرهم بتأثير الأساليب الفنية أو المعمارية الصينية في فنون إيران كان المعمار المغولي مشبع بالأساليب الفنية الصينية، والتي عمروا بها إيران نفسها وما جاورها من البلدان التي تأثرت بفنونها لاسيما مصر.[2]

ويبدوا أن حروب المغول التي اجتاحوها في آسيا وشرق أوربا ليصلوا إلى حدود مصر كان يخربون المدن التي كان يمرون بها ثم إباحة القتال العام، لكنهم كانوا يبقوا محافضين على الصناع وأرباب الحرف لكي يرسلونهم إلى تركستان ومنغوليا لإنشاء مبانيهم هناك.[3]

كما أن هؤلاء الوافدين الأوائل إلى مصر سواء عهد السلطان الأول بيبرس والدين من بعده لم يكن يحملوا معهم أي طراز مغولي إلى مصر, حتى يضعوه في المنشأة العمرانية أو يساهموا به في النهضة العمرانية الضخمة التي شهدتها مصر في العصر المملوكي، لكن قد أسهم العديد من الأمراء والسلاطين وحتى زوجاتهم ذوي أصول مغولية بعد اعتناقهم الإسلام وتمشهم به في النهضة المعمارية في مصر.[4]

سجلوا لأنفسهم آثار خالدة في تاريخ العمارة المملوكية حيث شهرت أيامهم وتميزت بعمائرهم الدينية والمدنية، التي تأثرت في إحياء القاهرة العديد من المساجد وخانقاوات وأحياء أو حارات وقيساريات ومنازل وأودرو وكالات، للتجار الوافدين إلى مصر بجانب بعض الأربطة والدروب والحمامات والمدارس.[5]

---

[1]- شوكت رمضان حجة، المرجع السابق، ص 174.

[2]- زكي محمد حسن، **الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي**، دار منصور لنشر، القاهرة، 1946، ص 41.

[3]- فؤاد الصياد ، المرجع السابق، ص 261.

[4]- فتحي بشير طاهر، **نماذج من تطور عمارة المساجد** (من العصر الأموي إلى عصر المماليك)، كلية العمارة جامعة، الرباط، الخرطوم، 2013، ص 45.

[5]- يحي وزيري، **موسوعة عناصر العمارة الإسلامية**، مكتبة مديولي، القاهرة، 1999، ص 134.

ومن أمثلة ذلك رحبة كتبغا المنسوبة إلى السلطان زين الدين كتبغا وكانت من جملة اصطبل الجميزة ،وكانت أيضا تقع تجاه داره التي كان يسكنها وهو أمير قبل أن يستقر في دست السلطنة.[1]

أيضا دار طيئال التي كانت بخط الخراطيين داخل الدرب المعروف بخربة صالح وكان موضوعها مارستان خلال العصر الفاطمي، وأنشأ هذه الدار الأمير طينال التتري الجنس وكان أحد المماليك الناصر محمد بن قلاوون كما كانت تنسب إليه أيضا قيسارية بسويقة أمير الجيوش.[2]

إضافة إلى ذلك حكر أقبغا الذي ينسب للأمير المغولي الأصل أقبغا بن عبد الواحد استادار السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وشقيق زوجة السلطان المعروفة باسم طغاى الخونده الكبرى وأم ابنة الأمير أنوك.[3]

وأذن اقبغا للناس في تحكيره فحكر وبنى فيه العديد من المساكن وكانت له مدرسة مجاورة للجامع الأزهر بالقاهرة ، وكان أول من عمر حكر أقبغا استادار الأمير جنكل أو جنكلي بن البابا المغولي الأصل فتبعه الناس، ولما بنى الناس عرف بالأدر لكثرة من سكن فيه من التتر والوافدين من أصحاب الأمير ابن البابا الذي عمر هو نفسه تجاه هذا الحكر حمامين.[4]

كما أنشأ ابن البابا بالعمارة هذا الحكر بظاهرة سوق وجامع ،وهناك درب خارج باب زويلة ينسب إلى هذا الأمير المغولي يعرف بدرب ابن البابا.[5]

وكان الأمير سيف الدين قوصون المغولي الذي وفد من القبجاق أكثر الأمراء نشاطا خلال النهضة المملوكية العمرانية،الذي وفد إلى مصر صحبة خوند الأميرة المغولية زوجة الناصر محمد بن قلاوون، هذا الأمير الذي أصبح من كبار الدولة وارتفع شأنه بالديار

[1] - المقريزي، **الخطط**، المصدر السابق، ج2، ص 50.

[2] - نفسه، ج2، ص 76.

[3] - نفسه، ج2، ص 425.

[4] - زكي محمد حسن، **الفنون الإسلامية**، المرجع السابق، ص 78، صلاح الدين محمد نور، المرجع السابق، ص 144.

[5] - المقريزي، **الخطط**، ، المصدر السابق، ج2، ص 133.

المصرية وأن السلطان الناصر محمد زوجة ابنته وقد كان وقد كان له دور كبير في الناط العمراني الكبير.[1]

كان يتنافس مع غيره من الأمراء مثل ابن البابا وبشتاك في فعل الخيرات وبناء المساجد والزوايا ،وله بنايات عديدة منها الجامع الذي أقامه خارج باب زويلة وعرف باسمه (730هـ/1329 م)، بالإضافة إلى الخانقاه داخل باب القرافة اتجاه الجامع المنسوب إليه.[2]

وأتم عمارتها سنة (732هـ/1335م) وأقام بجانب مسجده هذا حماما عرف باسمه، إضافة إلى داره التي بناها بالرميلة تحت القلعة اتجاه باب السلسلة وحكر قوصون أيضا القصر المعروف باسمه بالقرب من مسجد ومدرسة السلطان حسن، بجانب الوكالات التي أنشأها بما فيها من فنادق وخانات كان ينزل بها التجار ببضائعهم من بلاد الشام.[3]

إضافة إلى حكر قوصون كان مجاورا لقناطر السباع اشتره وأذن للناس بالبناء عليه، لم يقتصر البناء والتشيد العمراني في العصر سلاطين والأمراء فقط بل امتد يشمل أميرات مغوليات وزوجات وبنات سلاطين المماليك.[4]

وهناك دار طولباى أو طلنباي المنسوبة إلى الأميرة الترية طلنباى زوجة الناصر محمد وهناك أيضا قصر يعرف بقصر الحجازية كان قد بدأ في بناءه الأمير قوصون ومات قبل أن يتم بناؤه، بعد ذلك اشترته خوندتتر الحجازية ابنة السلطان الناصر فعمرته عمارة مملوكية وتأنقت فيه وأجرت الماء على أعلاه.[5]

---

[1]- فتحي عبد الرازق أحمد، **العمارة الإسلامية في مصر**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2009، ص 233.

[2]- ابن بطوطة، المصدر السابق، ط2،ج1،ص 62.

[3]- المقريزي، **الخطط**، المصدر السابق، ج2 ،ص 425.

[4]- صلاح الدين محمد نور، المرجع السابق، ص 149.

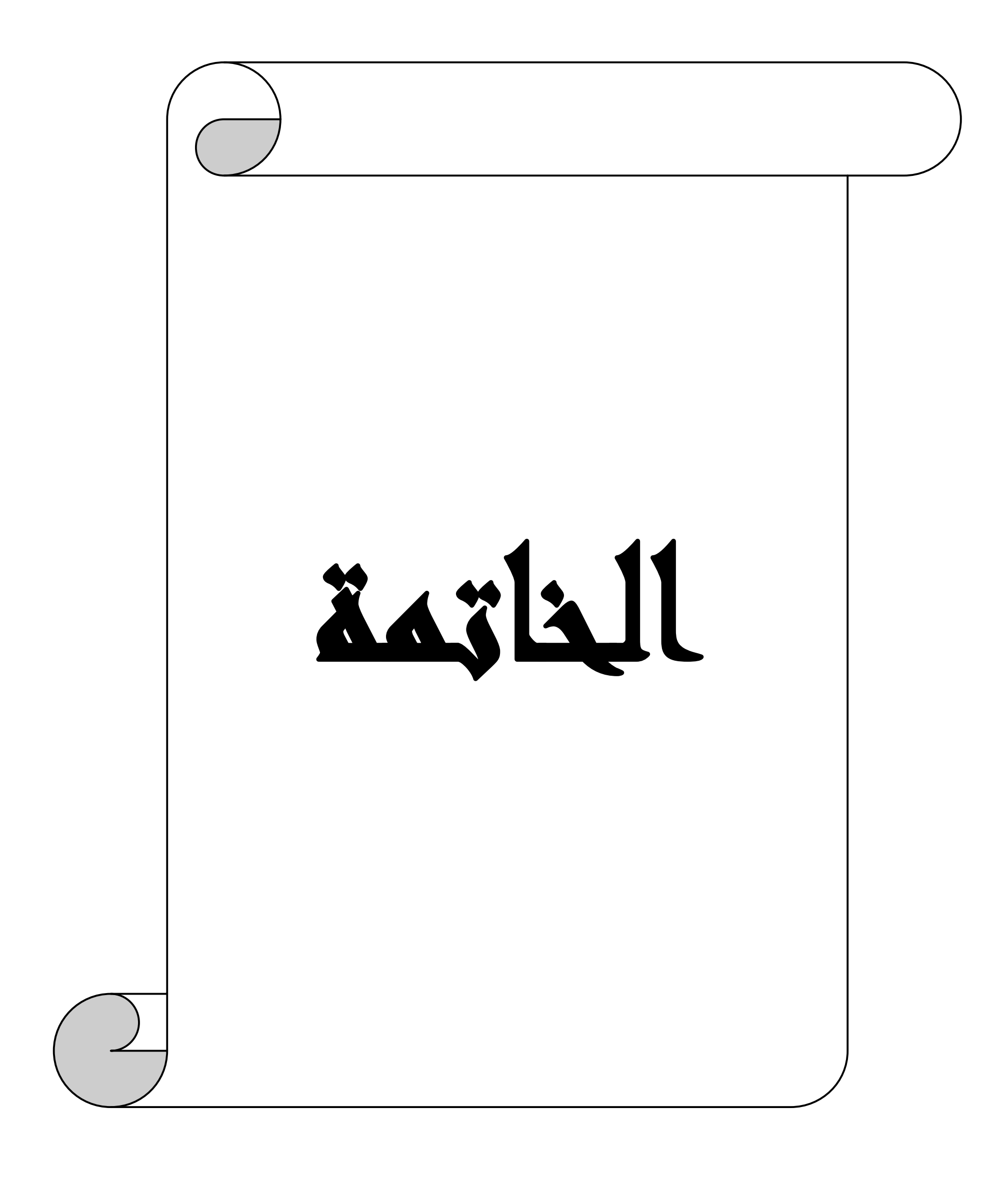
[5]- أندريه ريمون،**القاهرة تاريخ حاضر ة**، تر: لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1994، ص 115.

وعملت تحت القصر اصطبلا كبيرا لخيولهم وساحة واسعة يشرف عليها من شبابيك حديدة وأنشأت بجواره مدرستها التي عرفت بالمدرسة الحجازية ،وهناك إحدى الأدر الكبرى بالقاهرة عرفت بدار أرخوند،كانت تنسب إلى الأميرة خواندر دوتكين زوجة الأشرف بن قلاوون.[1]

إضافة إلى خانقاه كانت تعرف باسم خانقاه أم أنوك وهي الخاتون طغاي، إضافة إلى رباط الست كليلة يقصد بالرباط هنا بيت الصوفية ومنزلهم المعروف باسم دولاى ابنة الأمير عبد الله التتري وزوج الأمير سيف الدين البرلى السلاحدار الظاهري، وجعلته مسجدا أو رباطا ورثبت فيه إماما ومؤذنا.[2]

[1]- زكي محمد حسن، **فنون الإسلام**، المرجع السابق، ص 601.

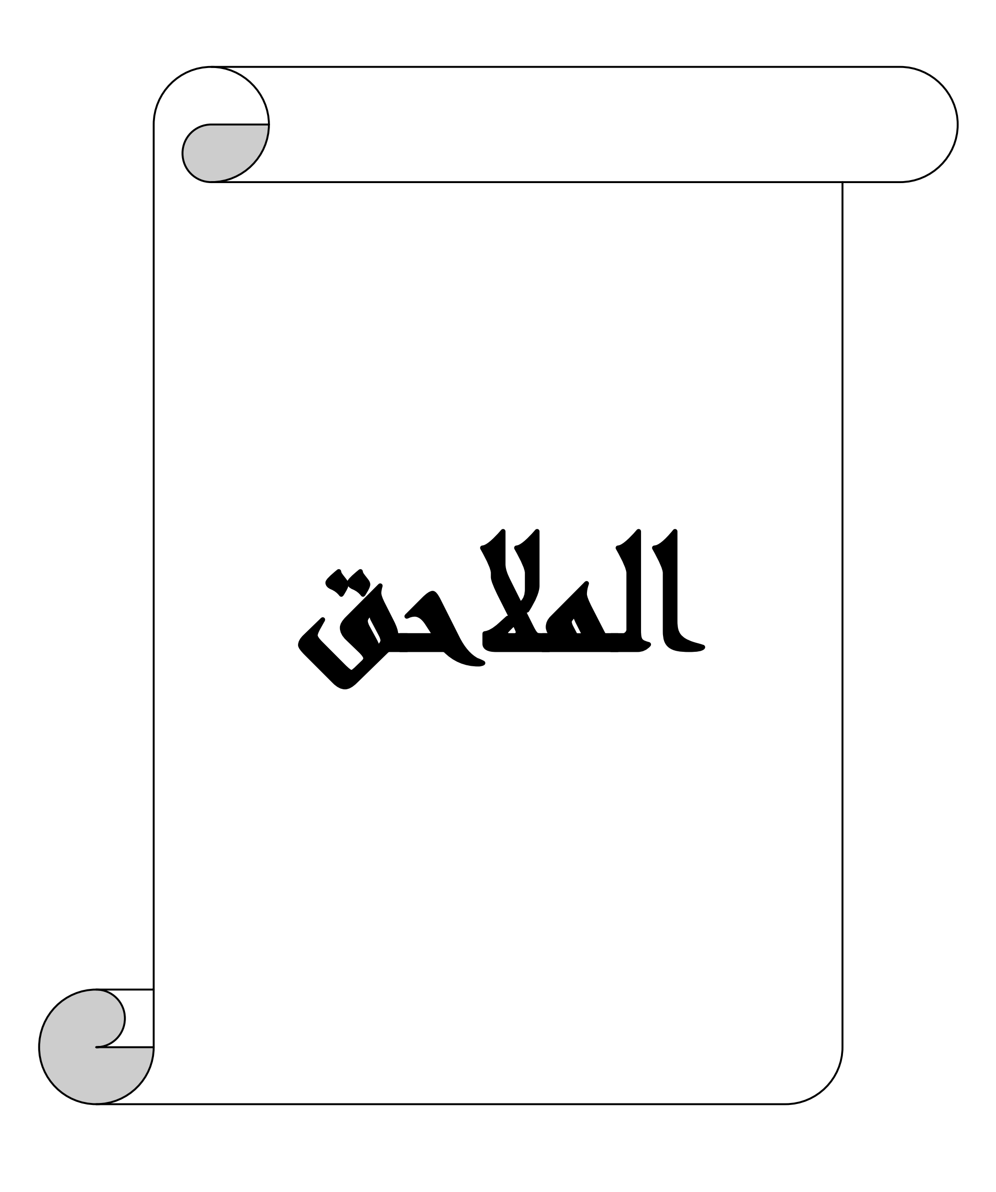
[2]- المقريزي، **الخطط**، المصدر السابق، ج2، ص 428.


الخاتمة

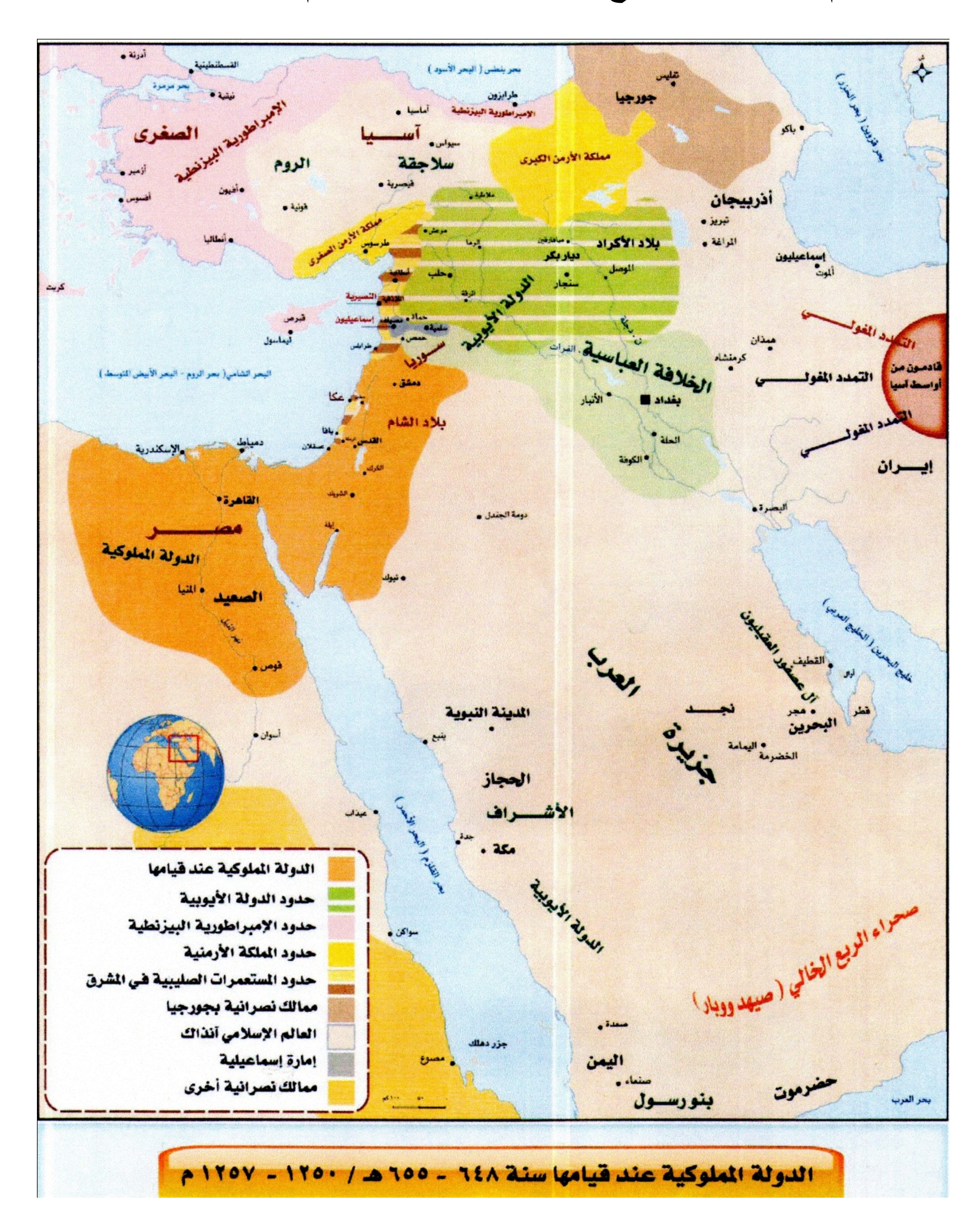
ومما تقدم يمكننا استخلاص النتائج التالية:

- أن أولئك الجلبان الذين كانوا يمثلون الدماء الفياضة والمتدفقة في عروق الجيش المصري الأيوبي ثم المملوكي ارتفع مقامهم وتسلموا السلطة السياسية والعسكرية في مصر والشام تحت اسم سلاطين المماليك.
- أن أسرى المغول الذين جلبوا إلى مصر المغول والمهاجرين إليها قد حملوا على أكتافهم وسواعدهم عاداتهم وتقاليدهم ولغاتهم التي تعصبوا لها ونجحوا في نشرها داخل مصر.
- تعد معركة عين جالوت لإيقاف التوسع المغولي على أراضي المسلمين ومنعهم من دخول إفريقيا.
- إثر دمار الشرق الإسلامي فأدى إلى ضعف الدولة الأيوبية قامت على أنقاضها دولة سلاطين المماليك.
- رغم إسلام المماليك إلا أنهم تأثروا بالمغول وأخذوا قوانين الياسة لتسيير إدارتهم الجديدة.
- رغم إسلام مغول فارس إلا أنهم ظلوا يثيرون القلاقل لسلاطين المماليك لأنهم اتخذوا والمذهب الشيعي المعادى للسنة.
- يعتبر عصر المماليك فترة انحطاط الحركة العلمية في الشرق الإسلامي لكن استطاعت مصر النهوض به من جديد.
- أما في مجال العمران شهد العصر المملوكي إنتاجا باهرا في فن العمارة وهندسة البناء بأسلوب مميز ذلك بدخول عليه الكثير من الزخارف المغولية والفارسية وحتى العراقية.
- بإسلام المغول وتأثرهم بسلاطين المماليك شجعوا الأوقاف مما برزت العديد من المساجد والمدارس وحاربوا الربا والسرقة.
- أثبتت الدراسة أن الدولة المملوكية الأولى أكثر الفترات استخداما لعمال التجسس بينما كانت أقل الفترات استخداما لهم في العصر الجركسي.
- تأثر فن العمارة المملوكي بالأصول المغولية كما تأثر بالفن العراقي والشامي عندما كانت مصر مأوى للفنانين والصناع والحرفيين المسلمين الوادين إليها.

وفي الأخير أشكر الله عز وجل على حسن عونه وتوفيقه، وأرجوا أن أكون قد وفقت في معالجة الموضوع وأن يحقق أهدافه العلمية ولو بالقدر القليل.


الملاحق

الملحق رقم (1):خريطة توضح الحدود الجغرافية أثناء قيام الدولة المملوكية[1]



1- سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، أطلس تاريخ العصر المملوكي، مكتبة العبيكان، الرياض،2011، ط1، ص24.

الملحق رقم (2):جدول يوضح سلاطين الدولة المملوكية

جدول سلاطين الدولة المملوكية أولاً: المماليك البحرية

م	السلطان	تاريخ الحكم
١	شجر الدر	٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م
٢	المعز عز الدين أيبك	٦٤٨ - ٦٥٥ هـ / ١٢٥٠- ١٢٥٧م
٣	المنصور نور الدين علي بن أيبك	٦٥٥ - ٦٥٧ هـ / ١٢٥٧- ١٢٥٩م
٤	المظفر سيف الدين قطز	٦٥٧ - ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩- ١٢٦٠م
٥	ركن الدين الظاهر بيبرس البندقداري	٦٥٨ - ٦٧٦ هـ / ١٢٦٠- ١٢٧٧م
٦	السعيد ناصر الدين محمد بركة خان بن بيبرس	٦٧٦ - ٦٧٨ هـ / ١٢٧٧- ١٢٧٩م
٧	العادل بدر الدين سلامش بن بيبرس	٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م
٨	المنصور سيف الدين قلاوون	٦٧٨ - ٦٨٩ هـ / ١٢٧٩- ١٢٩٠م
٩	الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون	٦٨٩ - ٦٩٣ هـ / ١٢٩٠- ١٢٩٣م
١٠	الناصر ناصر الدين بن محمد بن قلاوون المرة الأولى	٦٩٣ - ٦٩٤ هـ / ١٢٩٣- ١٢٩٤م
١١	العادل كتبغا	٦٩٤ - ٦٩٦ هـ / ١٢٩٤- ١٢٩٦م
١٢	المنصور حسام الدين لاجين	٦٩٦ - ٦٩٨ هـ / ١٢٩٦- ١٢٩٩م
١٣	الناصر ناصر الدين بن محمد بن قلاوون المرة الثانية	٦٩٨ - ٧٠٨ هـ / ١٢٩٩- ١٣٠٩م
١٤	المظفر بيبرس الجاشنكير	٧٠٨ - ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩- ١٣١٠م
١٥	الناصر ناصر الدين بن محمد بن قلاوون المرة الثالثة	٧٠٩ - ٧٤١ هـ / ١٣١٠- ١٣٤٠م
١٦	المنصور سيف الدين أبو بكر بن الناصر محمد	٧٤١ - ٧٤٢ هـ / ١٣٤٠- ١٣٤١م
١٧	الأشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد	٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م
١٨	الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد	٧٤٣ - ٧٤٣ هـ / ١٣٤٢م
١٩	الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد	٧٤٣ - ٧٤٦ هـ / ١٣٤٢- ١٣٤٥م
٢٠	الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد	٧٤٦ - ٧٤٧ هـ / ١٣٤٥- ١٣٤٦م
٢١	المظفر زين الدين حاجي بن الناصر محمد	٧٤٧ - ٧٤٨ هـ / ١٣٤٦- ١٣٤٨م
٢٢	الناصر أبو المحاسن حسن بن الناصر محمد المرة الأولى	٧٤٨ - ٧٥٢ هـ / ١٣٤٨- ١٣٥١م
٢٣	الصالح صلاح الدين بن محمد بن الناصر محمد	٧٥٢ - ٧٥٥ هـ / ١٣٥١- ١٣٥٤م
٢٤	الناصر أبو المحاسن حسن بن الناصر محمد المرة الثانية	٧٥٥ - ٧٦٢ هـ / ١٣٥٤- ١٣٦١م
٢٥	المنصور صلاح الدين محمد بن حاجي	٧٦٢ - ٧٦٤ هـ / ١٣٦١- ١٣٦٣م
٢٦	الأشرف أبو المعالي شعبان بن حسين	٧٦٤ - ٧٧٨ هـ / ١٣٦٣- ١٣٧٧م
٢٧	المنصور علاء الدين علي بن شعبان بن حسين	٧٧٨ - ٧٨٣ هـ / ١٣٧٧- ١٣٨١م
٢٨	الصالح صلاح الدين حاجي بن شعبان بن حسين	٧٨٣ - ٧٨٤ هـ / ١٣٨١- ١٣٨٢م

1- سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث،المرجع السابق،ص14.

جدول سلاطين الدولة المملوكية ثانياً : المماليك البرجية

م	السلطان	تاريخ الحكم
١	الظاهر سيف الدين برقوق: المرة الأولى	٧٨٤- ٧٩٠ هـ/١٣٨٢-١٣٨٨م
٢	الصالح حاجي بن شعبان	٧٩٠-٧٩٢ هـ/١٣٨٨-١٣٩٠م
٣	الظاهر سيف الدين برقوق: المرة الثانية	٧٩٢-٨٠١ هـ/١٣٩٠-١٣٩٩م
٤	الناصر أبو السعادات فرج بن برقوق	٨٠١-٨١٥ هـ/١٣٩٩-١٤١٢م
٥	الخليفة العباسي المستعين	٨١٥ هـ/١٤١٢م
٦	المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي	٨١٥-٨٢٤ هـ/١٤١٢-١٤٢١م
٧	المظفر أحمد بن شيخ	٨٢٤ هـ/١٤٢١م
٨	الظاهر سيف الدين ططر	٨٢٤ هـ/١٤٢١م
٩	محمد بن ططر	٨٢٤- ٨٢٥ هـ/١٤٢١-١٤٢٢م
١٠	الأشرف برسباي	٨٢٥-٨٤١ هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م
١١	أبو المحاسن يوسف بن برسباي	٨٤١-٨٤٢ هـ/١٤٣٨م
١٢	الظاهر جقمق	٨٤٢- ٨٥٧ هـ/١٤٣٨-١٤٥٣م
١٣	المنصور عثمان بن جقمق	٨٥٧ هـ/١٤٥٣م
١٤	الأشرف إينال	٨٥٧-٨٦٥ هـ/١٤٥٣-١٤٦١م
١٥	المؤيد أحمد بن إينال	٨٦٥هـ- ١٤٦١م
١٦	الظاهر أبو سعيد خشقدم	٨٦٥-٨٧٢ هـ/١٤٦١-١٤٦٧م
١٧	الظاهر يلباي المؤيدي	٨٧٢ هـ/١٤٦٧م
١٨	الظاهر تمربغا	٨٧٢ هـ/١٤٦٨م
١٩	الأشرف قايتباي	٨٧٢-٩٠١هـ / ١٤٦٨-١٤٩٦م
٢٠	محمد بن قايتباي: المرة الأولى	٩٠١-٩٠٢هـ/١٤٩٧-١٤٩٨م
٢١	الأشرف قانصوه خمسمائة	٩٠٢هـ/١٤٩٧م
٢٢	محمد بن قايتباي: المرة الثانية	٩٠٢.٩٠٤هـ/١٤٩٧.١٤٩٨م
٢٣	الظاهر قانصوه الأشرفي	٩٠٤-٩٠٥ هـ/١٤٩٨-١٥٠٠م
٢٤	الأشرف أبو النصرجانبلاط	٩٠٥-٩٠٦هـ/١٥٠٠-١٥٠١م
٢٥	العادل سيف الدين طومان باي الأول	٩٠٦هـ/١٥٠١م
٢٦	الأشرف أبو النصرقانصوه الغوري	٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م
٢٧	الأشرف طومان باي الثاني	٩٢٢-٩٢٣هـ/١٥١٦-١٥١٧م

1- سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث،المرجع السابق،ص170.

الملحق رقم (3):خريطة موضح عليها موقع معركة عين جالوت



1- سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث،المرجع السابق،ص48.

الملحق رقم (4):جدول يوضح الخلفاء أثناء أحياء الخلافة العباسية في مصر

جدول الخلفاء العباسيين في مصر

م	الخليفة ولقبه	تاريخ الحكم	
١	أبو القاسم أحمد بن محمد الظاهر (المستنصر بالله)	٦٥٩ - ٦٦٠ هـ	١٢٦١ م
٢	أبو العباس أحمد بن الحسن (الحاكم بأمر الله الأول)	٦٦٠ - ٧٠١ هـ	
٣	أبو الربيع سليمان بن أحمد (المستكفي بالله)	٧٠١ - ٧٣٦ هـ	
٤	أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد (الواثق بالله الأول)	٧٣٦ - ٧٤٢ هـ	
٥	أبو العباس أحمد بن سليمان (الحاكم بأمر الله الثاني)	٧٤٢ - ٧٥٣ هـ	
٦	أبو الفتح أبو بكر بن سليمان (المعتضد بالله الأول)	٧٥٣ - ٧٦٣ هـ	
٧	أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (المتوكل على الله الأول) (١)	٧٦٣ - ٧٧٩ هـ	
٨	أبو يحيى زكريا المستعصم بالله (المستعصم بالله) (١)	٧٧٩ - ٧٧٩ هـ	
٩	أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (المتوكل على الله الأول) (٢)	٧٧٩ - ٧٨٥ هـ	
١٠	أبو حفص عمر بن إبراهيم (الواثق بالله الثاني)	٧٨٥ - ٧٨٨ هـ	
١١	أبو يحيى زكريا المستعصم بالله (المستعصم بالله) (٢)	٧٨٨ - ٧٩١ هـ	
١٢	أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (المتوكل على الله الأول) (٣)	٧٩١ - ٨٠٨ هـ	
١٣	أبو الفضل العباس بن محمد (المستعين بالله)	٨٠٨ - ٨١٦ هـ	
١٤	أبو الفتح داود بن محمد (المعتضد بالله الثاني)	٨١٦ - ٨٤٥ هـ	
١٥	أبو الربيع سليمان بن محمد (المستكفي بالله الثاني)	٨٤٥ - ٨٥٤ هـ	
١٦	أبو البقاء حمزة بن محمد (القائم بأمر الله)	٨٥٤ - ٨٥٩ هـ	
١٧	أبو المحاسن يوسف بن محمد (المستنجدبالله)	٨٥٩ - ٨٨٤ هـ	
١٨	أبو العز عبد العزيز بن يعقوب (المتوكل على الله الثاني)	٨٨٤ - ٩٠٣ هـ	
١٩	أبو الصبر يعقوب بن عبد العزيز (المستمسك بالله) (١)	٩٠٣ - ٩١٤ هـ	
٢٠	محمد بن يعقوب بن عبد العزيز (المتوكل على الله الثالث) (١)	٩١٤ - ٩٢٢ هـ	
٢١	أبو الصبر يعقوب بن عبد العزيز (المستمسك بالله) (٢)	٩٢٢ - ٩٢٣ هـ	
٢٢	محمد بن يعقوب بن عبد العزيز (المتوكل على الله الثالث) (٢)	٩٢٣ - ٩٢٣ هـ	١٥١٧ م

تنازل الخليفة العباسي المتوكل على الله محمد بن يعقوب في هذا العام للسلطان العثماني سليم الأول بالخلافة

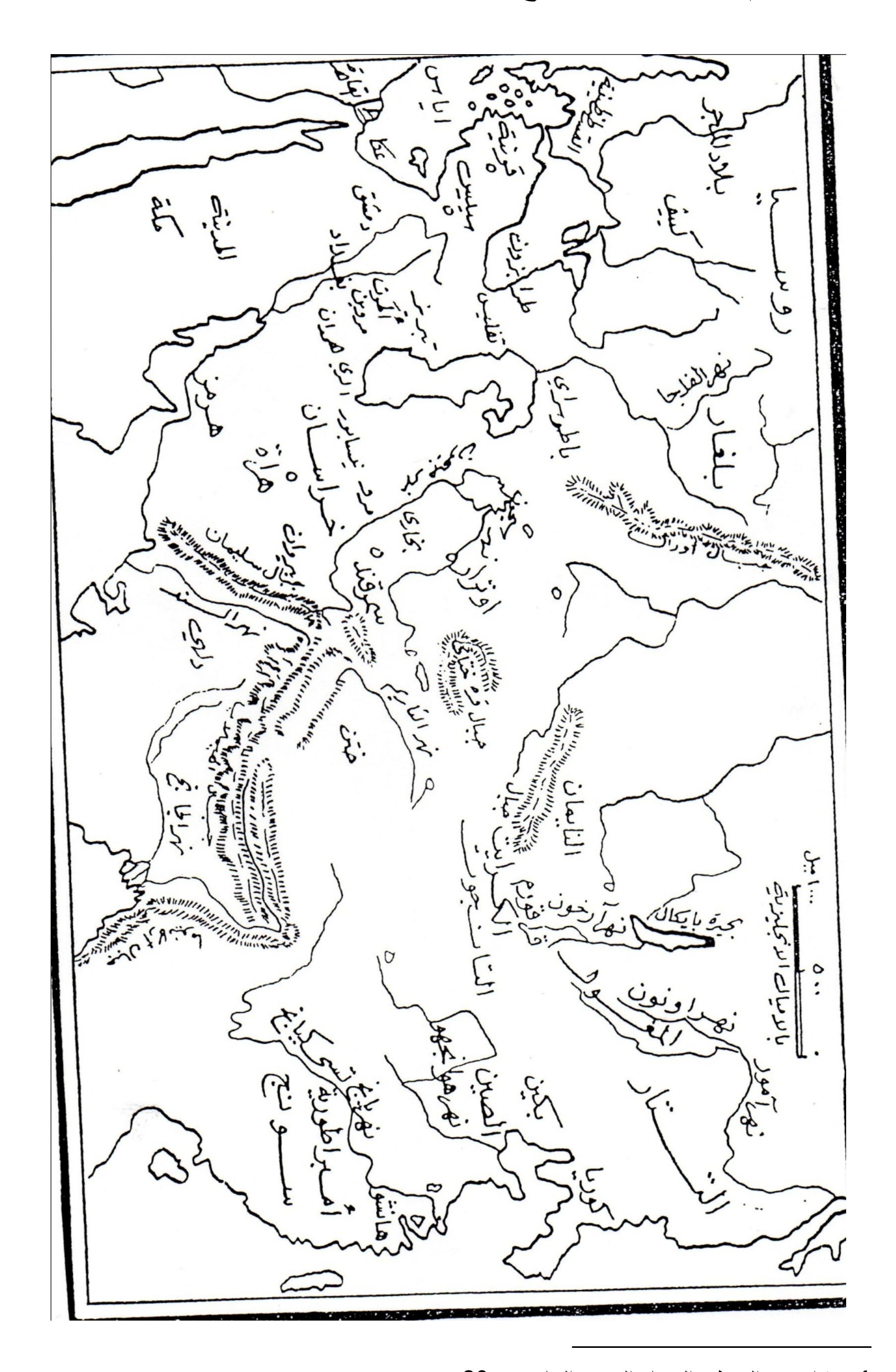
1- سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث،المرجع السابق،ص53.

الملحق رقم (5):العلاقات السياسية بين المماليك والايلخانيين.



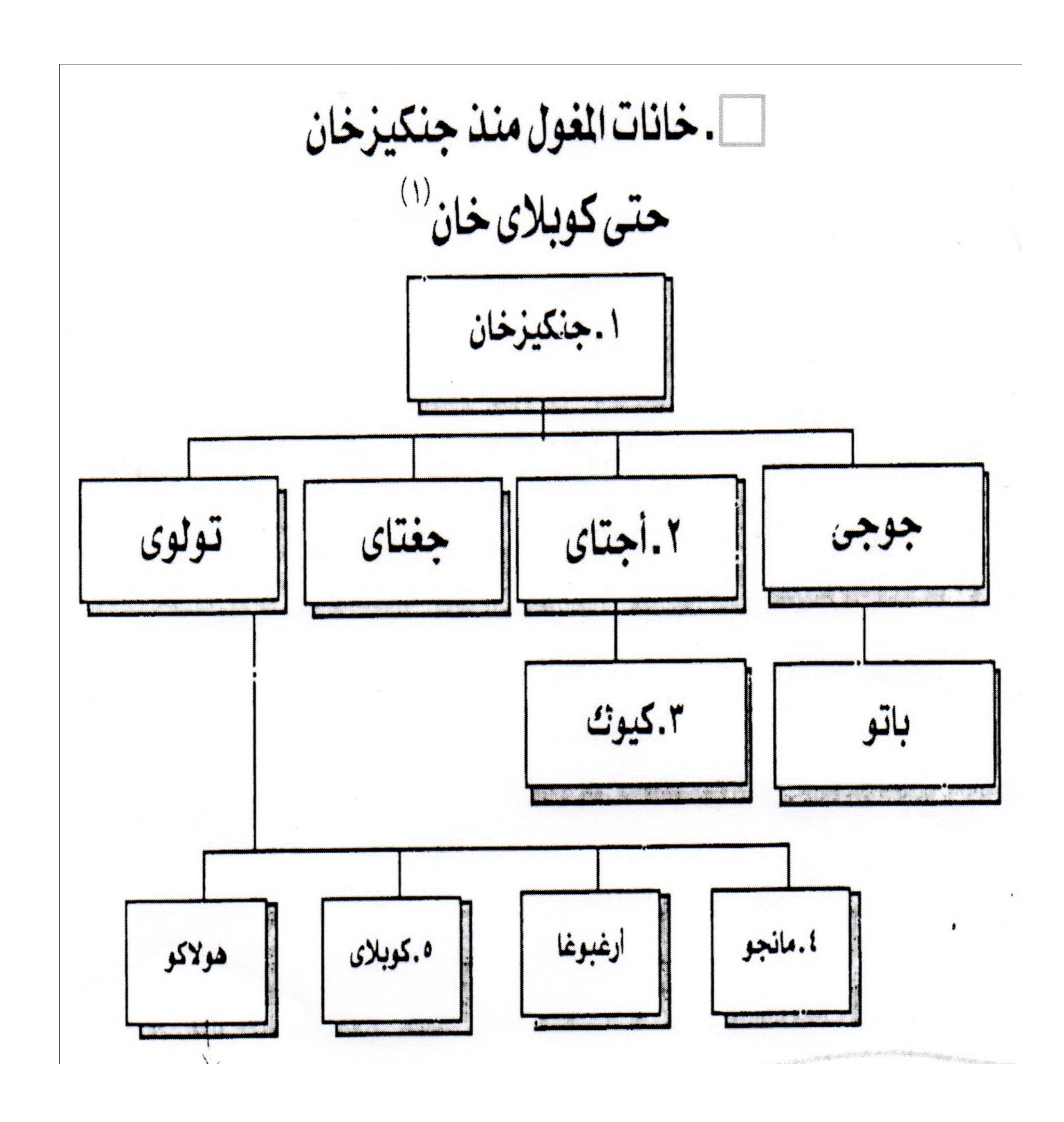
1- سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث،المرجع السابق،ص131.

الملحق رقم (6):خريطة توضح إمبراطورية المغول



1- فؤاد عبد المعطى الصياد،المرجع السابق،ص26.

الملحق رقم (7):مخطط يوضح خانات المغول منذ عهد جنكيز خان



1- حافظ أحمد حمدي، المرجع السابق،ص160.

الملحق رقم (8):مخطط يوضح ايلخانات مغول فارس

٢- إيلخانات فارس (بنو هولاكو) (٦٥٤-٧٣٦هـ/١٢٥٦- ١٣٣٥م)

(١) هولاكو
(٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)

(٢) أبغاخان
(٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م)

طرغاي

(٣) أحمد (تكودار)
(٦٨٠هـ/١٢٨٢م)

(٦) بايدو (٦٩٤هـ/١٢٩٥م)

(٤) أرغون خان
(٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م)

(٥) كيخاتو
(٦٩٠هـ/١٢٩١م)

(٧) محمود غازان
(٦٩٤هـ/١٢٩٥م)

(٨) محمد خدابنده أولجايتو
(٧٠٣هـ/١٣٠٤م)

(٩) أبو سعيد بهادرخان
(٧١٧- ٧٣٦هـ/١٣١٧- ١٣٣٥م)

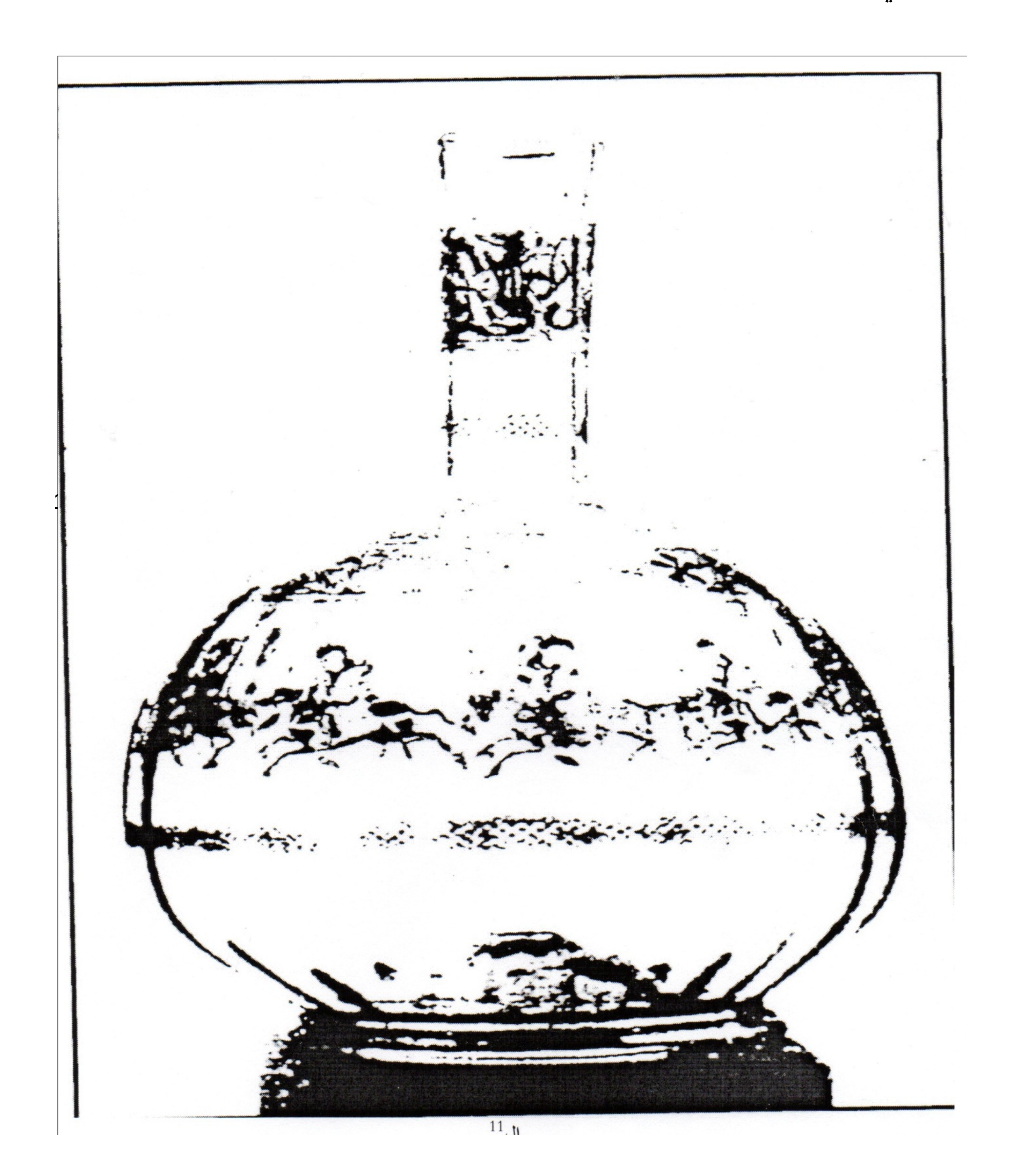
1- شوكت رمضان حجة،المرجع السابق،ص520.

الملحق رقم (9):منظر لجيوش المغول وألبستهم العسكرية



1- حافظ أحمد حمدى،المرجع السابق،ص121.

الملحق رقم (10):قنينة من الزجاج في عهد المماليك مرسوم عليها الجيش المغولي.



1- حافظ أحمد حمدي،المرجع السابق،ص106 .

قائمة

المصادر والمراجع

I- قائمة المصادر:

1. إبن الأثير علي بن محمد غبن الأثير الجزري عز الدين (ت 630هـ)، الكامل في التاريخ، تر: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط4، بيروت، 2003 ، ج12.
2. بن إياس الحنفي محمد بن أحمد (ت929هـ)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1984، ج1.
3. إبن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي (ت779هـ)، مهذب رحلة ابن بطوطة المسماةتحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، دار الحداثة، ط2، بيروت، 1958 ، ج1.
4. بيبرس ركن الدين المنصور الناصري الدوادار المصري (ت725هـ)، زبده الفكر في تاريخ الهجرة، تج: دونلدس ريتشاردر، بيروت، 1998.
5. بيبرس المنصور الدوداداري ركن الدين (ت 735هـ) مختار الأخبار في تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة (702هـ)، تر: عبد الحميد صاع حمداني، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 1993.
6. ابن تعزى بردى يوسف أبو الحسن (ت874هـ)،النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1963، ج6، ج7.
   - المنهل الصافي و المستوفي بعد الوافي،تر:محمد محمد أمين، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 2012، ج2.
7. الجبرتي عبد الرحمان بن حسن برهان الدين (ت1240هـ)، تاريخ عجائب الآثار في التراجم و الأخبار، دار الجيل، بيروت، ج1.
8. ابن خلدون عبد الرحمان (ت808هـ)، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1992، مج5.

9. إبن دقماق صارم الدين إبراهيم بن محمد بن ايدمر العلاني (ت659هـ)، نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، تر: سمير طيار، المكتبة المصرية، القاهرة، 1999.

- النفخة المسكية في الدولة التركية: تر: عمر تدمري، مكتبة العصر للنشر، صيدا، 1999.

10. الدواداري أبو بكر بن عبد الله إبن أيبك (ت713هـ)،كنز الدرر وجامع الغرر، تج: هانس روبرت ويمر، مصادرة تاريخ مصر الإسلامية، القاهرة، 1960، ج8.

- الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تر: هاني روبرت رويمر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة و النشر، القاهرة، 1960، ج1.

11. الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله شمس الدين (ت748هـ)، العبر في خبر من غبر ويليه ذيول العبر، تر: أبو هاجر محمد السعيد بن بيسوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985، ج3.

- تاريخ الإسلام، تر: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط2، 1990 ، مج2.

12. الزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي (ت1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 2010.

13. ابن سباط العربي حمزة بن أحمد،تاريخ ابن سباط،تر:عمر التدمرى،مؤسسة بروس برس، طرابلس، 1993، ج1.

14. السبكي عبد الوهاب تاج الدين (ت771هـ)، معيد النعم ومبيد النقم، تر: محمد على النجار، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1948، مج1.

15.السخاو ي محمد بن عبد الرحمان شمس الدين (ت902هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار جيل، بيروت، 1992، ج2.

16. السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر الفضل (ت 911هـ)، تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، ط2، بيروت، 2003 ، مج1.

• حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة،تح:محمد أبو الفضل إبراهيم،دار إحياء الكتب العربية،1967.

17. ابن شاكر الكتبي محمد (ت 764هـ)، عيون التواريخ، تر: عفيف نايف حاطوم، دار الثقافة، بيروت، 1996، ج20.

18. أبو شامة المقدسي الدمشقي شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمان أبن إسماعيل (ت665هـ)، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالديل على الروضتين، تر: محمد زاحد ابن الحسن الكوثري، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 2002 ، ج2.

19. ابن شداد بهاء الدين(632هـ)،النوادر السلطانية و المحاسن اليوسفية،تح:جمال الدين الشيال،الدار المصرية،القاهرة،1964.

20. الصفدي بن أيبك صلاح الدين خليل (ت764هـ)، الوافي بالوفيات، تج: تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، 2000، ج9.

21. ابن طباطبا محمد بن علي المعروف بإبن الطقطقا (ت709هـ)، الفخري في الآداب السلطانية و الدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، 2012، مج1.

22. إبن الطولوني الحسن بن حسين بن أحمد المعروف بابن الطولوني (ت923هـ)، النزهة السنية في أخبار الخلفاء و الملوك المصرية، عالم الكتب، 1988.

23. إبن العبرى أبي الفرج جمال الدين (ت685هـ)، تاريخ الزمان، تج: الأب إسحق أرملة، دار المشرق، بيروت، 1986.

24. العسقلاني ابن الحجر (ت852هـ)، نزهة الألباب في الألقاب، تج: عبد العزيز محمد بن صالح السديري، مكتبة الرشد، الرياض، 1989، ج2.

25. العيني بدر الدين محمود (ت 855هـ)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تر: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987، ج1، ج2.

26. أبو الفداء عماد الدين عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمد (ت 732هـ)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسنية المصرية، ط1، القاهرة، 2010 ، ج3.

- التبرك المسبوك في تاريخ الملوك، تر: محب الدين أبي سعيد العمري، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت، 1997.

27. إبن أم قاسم المرادي (ت 749هـ)،توضح المقاصد و المسالك بشرح ألفية إبن مالك، تر: عبد الرحمان علي سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001، مج1.

28. القزويني زكريا محمد بن محمود (ت 682هـ)، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت 1989.

29. القلقشندي أبو العباس شهاب الدين احمد بن على بن احمد (ت 821هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تج: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ج4.

30. إبن القلاسني حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي (ت 555هـ)، تاريخ دمشق الكبير، تج: سهيل زكار، دار حسان، دمشق، 1983.

31. بن كثير إسماعيل بن عمر (ت774هـ)، البداية و النهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1990، ج2.

32. المقريزي تقي الدين ابي العباس احمد بن علي (ت 845هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تج: عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ج1، ج2.

- الخطط المقريزية، تح: محمد زينهم مديحة الشرقاوي، مكتبة مديولي، القاهرة، ج3، ج4.

- إغاثة الأمة بكشق الغمة، شر: محمد مصطفى زيادة، جمال الدين محمد الشيال، مطبعة لجنة التاليف و الترجمة للنشر، القاهرة، 1940.

33. ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي المصري جمال الدين أبو الفضل (ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2010، مج 10.

34. النويرى شهاب الدين،نهاية الأرب في فنون الأدب،تح: مفيد قميحة،دار الكتب المصرية،القاهرة،2004،ج27.

35. الهمداني رشيد الدين فضل الله (ت 717هـ)، جامع التواريخ (تاريخ المغول)، تر: محمد صادق نشأتو آخرون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1960، ج2.

36. ابن الوردي زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر الكندي (ت 749هـ)، تتمة المختصر في أخبار البشر،دار المعرفة للطباعة و النشر، 1970، ط1، ج2.

37. اليونيني قطب الدين موسى بن محمد (ت 726هـ)، ذيل مرآة الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1992، ط2، ج1.

II/ المراجع:

1. إبراهيم أحمد العدوي، نهر التاريخ الإسلامي متابعة العليا وفروعه العظمى، دار الفكر العربي، القاهرة.

2. إبراهيم ترخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، دم ن، القاهرة، 1960.

3. أحمد حطيطي، حروب المغول، دار الفكر اللبناني، لبنان، 1994.

- قضايا من تاريخ المماليك السياسي والحضاري،دار الفرات للنشر و التوزيع، بيروت، 2003.

4. أحمد شبيلي، موسوعة التاريخ الإسلاميو الحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

5. أحمد عبد الكريم سليمان، المغول و المماليك حتى نهاية عصر بيبرس، دار النهضة العربية، القاهرة، 1994، ط2.

6. أحمد عودات وآخرون (تاريخ المغول و المماليك من القرن السابع الهجري حتى القرن الثالث عشر الهجري)، دار الكندي اربد، بيروت، 1990.

7. أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولىفي مصر و الشام، دار النهضة العربية، بيروت، 1986.

- في التاريخ الأيوبيو المملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006.

8. أرمينيوس فامبري، تاريخ بوخاري منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، تر: أحمد محمود السداتي، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1995.

9. أرنو لد توماس، الدعوة إلى الإسلام، تر:حسن إبراهيم حسن و آخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970.

10. إسماعيل الخالدي، العالم الإسلامي و الغزو المغولي، مكتبة صلاح الدين، الكويت، 2014.

11. أندريه ريمون، القاهرة تاريخ حاضرة، تر: لطيف فرج،دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع، القاهرة، 1994.

12. أنطوان خليل ضومط، الولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي و العسكري، دار الحداثة، القاهرة، 1982، ط2.

13. أنور زقلمة، صفحات من تاريخ مصر، المماليك في مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999.

14. إيناس حسن محمد المغول و غزو الدولة الإسلامية، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، 2014.

15. بدر مصطفى طه، محنة الإسلام الكبرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993

16. برتولد شبولر، العالم الإسلامي في العصر المغولي، تح: خالد اسعد عيسى: دار حسان، دمشق، 1982.

17. جورج كريك، موجز تاريخ الشرق الأوسط، تر: العصر الاسكندراني، دار الطباعة الحديثة، دم ن، د ت.

18. جورج يانج، تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل، تر: علي أحمد شكري، مكتبة مديولي، القاهرة، 1996.

19. جورجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي،دار الهلال للنشر و التوزيع، القاهرة، ج4.

20. جون مان،جنكيز خان الحياة والموت و الإنبعاث، تر: حسن عبد العزيز عويضة، هيئة أبو ظبي للثقافة و السياحة، أبو ظبي، 2013.

21. حافظ أحمد حمدي،الدولة الخوارزمية و المغول، دار الفكر العربي، القاهرة، 199.

- الشرق الإسلامي من قبيل الغزو المغولي، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000.

22. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام العصر العباسي الثاني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1968، ج1.

23. حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن،النظم الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1939.

24. حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة.

25. حسن الباشا، دراسات في الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1988.

- الألقاب الإسلامية في التاريخ و الوثائق والآثار، الدار الفنية للنشر و التوزيع، القاهرة، 1989.

26. حسن عبد الوهاب، تاريخ المساجد الأثرية في القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994.

27. حسن عبيد، الحكام من عصر بني العاص إلى عبد الناصر، دار النهضة العربية، القاهرة، 1988.

28. حياة ناصر الحجي، أنماط من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في سلطنة المماليك، ذات السلاسل للنشر، الكويت، 1995.

29. خالد عزام، موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العباسي، دار أسامة، عمان، 2003.

30. دريتا كرافولسكي، العرب وإيران دراسات في التاريخ والأدب من المنظور الإيديولوجي، المؤسسة الجامعية للدراسة و النشر، بيروت، 1993.

31. رجب محمد عبد الحليم، إنتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، القاهرة.

32. زكي محمد حسن، في الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، دار منصور للنشر، القاهرة، 1946.

- في الفنون الإسلامية، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2013.

33. سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث،أطلس تاريخ العصر المملوكي،مكتبة العبيكان،ط1،الرياض،2011.

34. ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، تر: السيد الباز،دار الثقافة للنشر و التوزيع، د ب، 1967.

35. سعيد أحمد برجاوي، الحروب الصليبية في المشرق، دار الآفاق العلمية، بيروت، 1984.

36.سعيد عبد الفتاح عاشور،مصر و الشام في عصر الأيوبيين و المماليك، دار النهضة العربية، بيروت، دت.

- الحركة الصليبية صفحة مشرق في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة الأجلو المصرية، ط4، القاهرة، 1996، ج2.

37. سليمان بن حمد العودة، كيف دخل التتار بلاد المسلمين،طيبة للنشر و التوزيع، ط3، الرياض، 2000.

38. السيد الباز العريني،تاريخ الحروب الصليبية المغول والمماليك ونهاية الشرق الفرنجي، دار الثقافة، بيروت، دس.

- المغول، دار النهضة العربية، بيروت، 1986.
- المماليك،دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1981.

39. السيد عبد العزيز سالم،تاريخ الأيوبيين و المماليك، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 2003

40. سيد علي الحريري، الحروب الصليبية أسبابها حملاتها نتائجها، تح: عصام محمد شبارو، دار التضامن مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، 1988.

41. شوكت رمضان حجة، العلاقات بين دولة المماليك الأولى ودولة إيلخانية فارس (648-736هـ/1250-1335م)، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، الأردن، 2005.

42. صالح لمعي مصطفى، التراث المعماري الإسلامي في مصر، دار النهضة العربية، بيروت، 1984.

43. صلاح الدين محمد نور،الطوائق المغولية وتأثيراتها العسكرية والسياسية و الاجتماعية في عصر دولة المماليك البحرية (658-783هـ/1260-1381م)

44. عامر نجيب موسى ناصر، الحياة الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي، دار الشرق للنشر، مصر، 2003.

45. عباس إقبال، تاريخ المغول، تر: عبد الوهاب علوي، المجمع الثقافي للنشر، أبو ظبي، 2000.

46. عبد الحكيم العفيفي، موسوعة مائة حدث إسلامي، دار أوراق شرقية، بيروت، 1997، ط2.

47. عبد القادر أحمد اليوسفي، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين11 ميلادي و12 ميلادي، المكتبة العصرية، بيروت، 1969.

48. العقيد محمد أسد الله، جنكيز خان، دار النفائس، القاهرة، د س.

49. عبد الله حمد المخيال، المغول رعاة السهول، مكتبة العبيكان، الرياض، 2007.

50. عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1979، ج2.

- تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجو المصرية، القاهرة، 1973.

51. علي محمد الطلابي، المغول والتثار يين الإنتشار و الإنكسار، مركز السلام للتجهيز الفني، مصر، 2009.

52. عماد الدين خليل، المغول، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر، دار الفرقان، د ب، 1985.

53. غوانمة يوسف، في التاريخ والحضارة العربية و الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000.

- تاريخ شرقي الأردن في عصر دولة المماليك الأولى، وزارة الثقافة و الشباب، عمان، 1979.

54. فايد حماد عاشور، للعلاقات السياسية بين المماليك و المغول في الدولة المملوكية الأولى، دار المعارف، مصر، د س.

55. فتحية النبراوي، قضايا العالم الإسلامي ومشكلاته السياسية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1983.

56. فتحي بشير طاهر، نماذج من تطور عمارة المساجد (من العصر الأموي إلى عصر المماليك)، كلية العمارة، جامعة الرباط لنشر، الخرطوم، 2013.

57. فتحي سالم حميدي اللهيبي، جوانب من الحياة السياسية والاقتصاديةو الاجتماعية في العصر المملوكي (تغير جديد)، الموصل للنشر و التوزيع، 2014.

58. فتحي عبد الرزاق أحمد، العمارة الإسلامية في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 2009.

59. فريد شافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1994.

60. فؤاد عبد المعطى الصياد، المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، 1970.

61.فيليب حقي و آخرون، تاريخ العرب، دار الكشاف، دب، دس، ط4، ج2.

62. قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، التاريخ السياسي والاجتماعي، مؤسسة عين، دب، 2009.

- في تاريخ الأيوبيين و المماليك، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، د ب، 2009

63. كرد علي، خطط الشام، د م ن، بيروت، 1969، ط2، ج2.

64. كارل بروكلمان، تاريخ للشعوب الإسلامية الإمبراطورية و إنحلالها، تر: نبيه أمين فارس، دار العلم للملايين، بيروت، 1961، ط3.

65. محسن الأمين العاملي، موسوعة أعيان الشيعة، دائرة المعارف الكبرى، دمشق، 1983، مج3.

66. محمد أسد الله صفي، تيمور لنك، دار النفائس، بيروت، 1992.

67. محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق و المغرب، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1989، ط2.

68. محمد العناقرة، المدارس في مصر في عصر دولة المماليك (دراسات تاريخية من خلال الوثائق والوقفيات و الحجج (648-923هـ/1250-1517م)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2015.

69. محمد جمال الدين سرور، دولة الظاهر بيبرس في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993.

70. محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، دار المعارف، مصر، 1971، ج1.

71. محمد سعيد عمران، المغول و الأوروبيون و الصليبيون و قضية القدس، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2003.

72. محمد علي البار، كيف أسلم المغول، دار الفتح للدراسات و النشر، الأردن، 2008.

73. محمد عبد المنعم الجمل،معالم تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي في نهاية العصر المملوكي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

74. محمد فتحي أمين، الغزو المغولي لديار مصر، دار الأوائل، ط2، دمشق، 2005 ، مج1.

75. محمود السيد،التتار و المغول، مؤسسة شباب الجامعة للنشر، الإسكندرية، 2006.

76. محمود رزوق سليم، النيل في عصر المماليك، دار القلم، الإسكندرية، 2000.

- موسوعة عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي و الأدبي، مكتبة الأدب، ط2، القاهرة، 1962.

77. محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية، المكتب الإسلامي، دمشق، دت، ج1.

78. محمود شلبي، حياة الملك المظفر قطز، دار جيل، بيروت، 1992.

79. محمود ماهر حمادة، دراسة وثيقة للتاريخ الإسلامي ومصادره، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988.

- وثائق الحروب الصليبية و الغزو المغولي للعالم الإسلامي (1096-م1404م) منشورات مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1982.

80. محمود ندسم أحمد فهيم، الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1983.

81. م.س ديماند، الفنون الإسلامية، تر: أحمد محمد عيسى، دار المعارف، مصر، 1982.

82. مفيد الزبيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي العصر المملوكي، دار أسامة، عمان، 2003.

83. نظير حسان سعداوي، نظام البريد في الدولة الإسلامية، دار مصير للطباعة، القاهرة، 1953.

84. نعمان محمود جبران، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، مؤسسات حمادة للخدمات و الدراسات الجامعية، الأردن، 2000.

85. وليم موبر، تاريخ دولة المماليك في مصر، تر: محمود عابدين سليم حسن، مكتبة مدبولي، 1995.

86. يحي وزيري، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، مكتبة مدلولي، القاهرة، 1999.

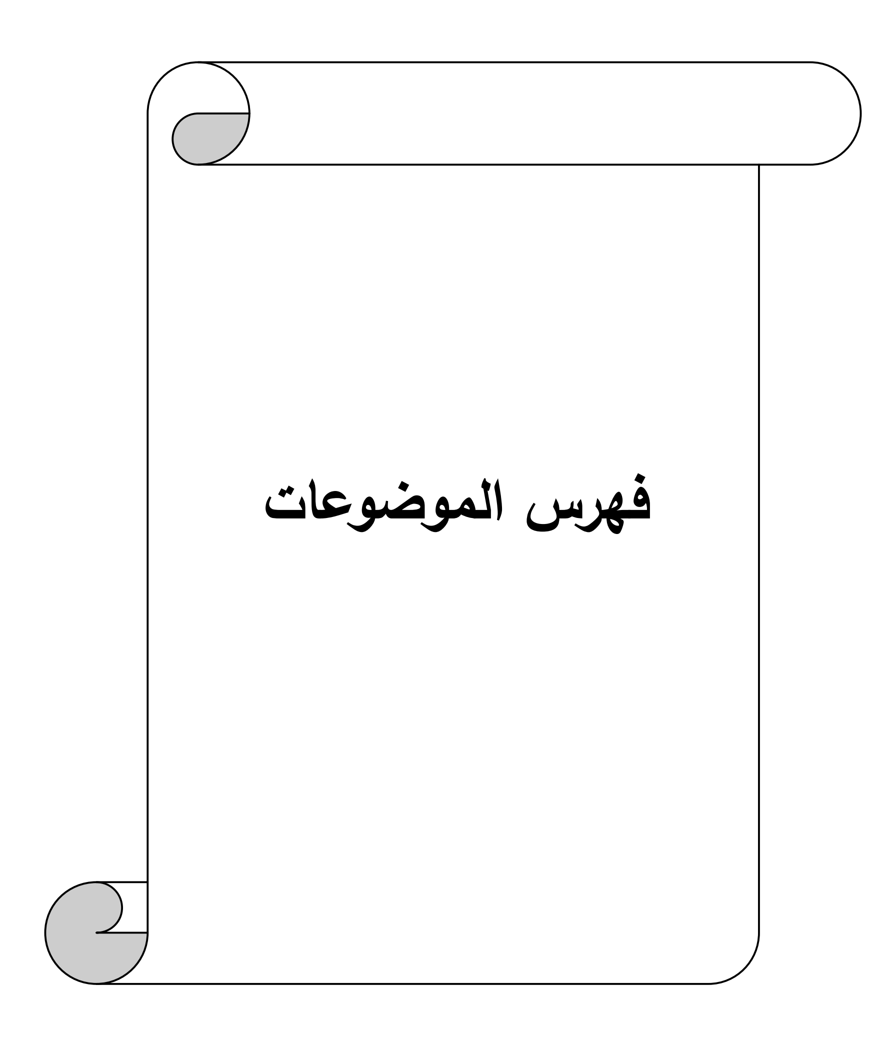
الرسائل و المقالات:

I-المقالات:

1. أحمد جلايلي، الحياة الثقافية في مصر المملوكية،مجلة الأدب و اللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد السادس، 2007.
2. خليل قاسم عزيزي،الغزو المغولي و أثره في الشعر،مجلة جامعة دمشق، العدد الأول، 2006، مج 20.
3. عبد العزيز محمود عبد الدايم، تأثيرات المغول الحضارية على دولة سلاطين المماليك، جامعة القاهرة.

II-الرسائل:

1. عبد المعز عصري محمد بن عيسى،الغزو المغولي و أثارهالسياسية والإجتماعية و الثقافية (هولاكو-محمود غازان-تيمورليك)، إش: أحمد جوارنة، جامعة اليرموك، كلية الأدب، قسم التاريخ،1997.
2. محمد بن عيسى،الغزو المغولي لدمشق وأثاره السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية، إش: أحمد جوارنه، جامعة اليرموك،كلية الأدب،قسم التاريخ،1997.


فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات...